البصائر

في خطب المنابر

(١)



إعداد

د. عويض بن حمود العطوي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العطوي، عويض حمود

البصائر في خطب المنابر / عويض حمود العطوي ، الرياض ١٤٢٥هـ

....ص ، ١٧×٢٤ سم

ردمك ٧-٩٦٩-٤٦-٩٩٦٠

١ . خطبة الجمعة أ . العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٥/٦٩١٩

رقم الإيداع ١٤٢٥/٦٩١٩

ردمك : ٧-٩٦٩-٤٦-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



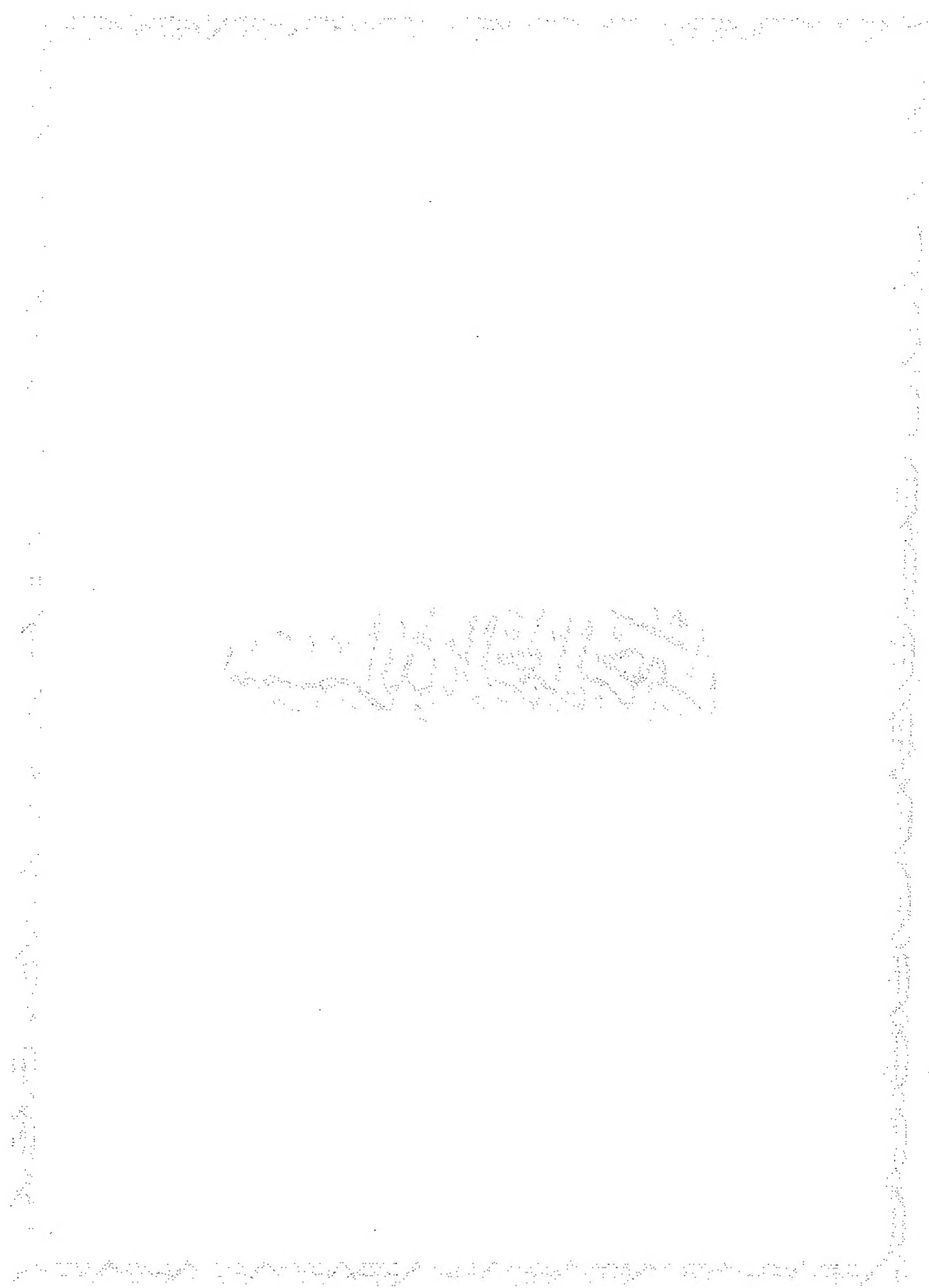
دار المسلم للنشر والتوزيع

ص.ب ١٧٣٥٦ . الرياض ١١٤٨٤ . المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٠٥٥٠٣٩ . فاكس ٤٠٣٧١٤٣ . جوال ٠٥٠٤٢٣٧٦٨٧

www.dar-almuslim.com

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله الذي فضَّل الإنسان بتعلّم البيان، وجعل من الكلمات مفاتيح الجنَان.

والصلاة والسلام على رسول الأنام، خير من نطق بالضاد، الذي سرى نبؤه في كل واد، أوتي جوامع الكلم، وملك زمام الفصاحة، وأمسك بخطام البلاغة، فانساقت على لسانه درر الكلام، وجواهر البيان .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٢].

أما بعد :

فالخطابة فن له أصوله، ومجال له تأثيره، وجمع له جمهوره، لذا كانت الخطب سمة في هذا الدين، شملها الإسلام بتنظيمه، وأحاطها بعنايته، حتى كان منها السنوي مثل: عرفة، والعيدين، ومنها الأسبوعي كالجمعة، ومنها ما يكون في النوازل كالكسوف والاستسقاء .

والخطبة المنظمة المكررة من كل ذلك هي الجمعة، وقد جعل الإسلام لها من الأحكام ما يدل على عناية فائقة بها، فلا يوجد تجمع يطلب فيه من المسلم مهما كان قدره، ومهما علت منـزلته ورتبته، أن يتنظف ويتطيب، ويلبس أحسن ثيابه، ثم يحضر إلى المسجد مبكراً، مثل الجمعة.

لا يوجد تجمع يطلب فيه من المسلم أياً كان أن ينصت ويسكت ويتابع، ويترك كل المشغلات من كلام أو لهو كما هو الحال يوم الجمعة والخطيب يخطب .

كل هذا يدل على تقدير رفيع لمنـزلة الخطبة، فلماذا لا نجد لها في نفوس الناس تلك المنـزلة التي ينبئ عنها كل ذلك؟.

إن الخطبة إذا تأملناها من زاوية نظر الشرع لها، وجدناها أهم من المحاضرة، والندوة، وما شابهها، ومع هذا فالمتحدثون يعتنون بالمحاضرات والندوات من ناحية الإعداد والتحضير أكثر مما يعتنون بالخطبة، مع أن جمهورها كبير، وفيه من لا يحضر المحاضرات ولا الندوات .

وعلى هذا فلا بد من إعادة النظر في الاهتمام بالخطبة من جوانب عدة أهمها:

موضوع الخطبة :

لا بد للخطيب من وضع مخطط سنوي وآخرشهري، ومن خلاله يعرف الخطيب ما ينتقي من موضوعات، هذا أمل ومطلب قد يتحقق وقد يتعسر أحياناً، ولكن ينبغي ألا يترك.

كما أن الموضوع يجب أن يكون مما يهتم به الناس، لا أن يكون بعيداً عن آمالهم وآلامهم، وليعلم الخطيب أن الموضوع كلما كان قريباً من واقع الناس، كلما كان التفاعل معه أفضل، والاستجابة له أحسن ، كما لا بد للخطيب ألا يكون في مهب الريح يميل مع كل حدث، ويتحدث في كل موضوع، فهو إذا فعل ذلك دائماً أخل بخطبته، وابتعد عما يهم الناس .

التحضير والإعداد :

لا بد للخطيب من أن يحمل هم الخطبة، فيحضر لموضوعه جيداً، بعد أن يختاره بعناية ضمن خطة مرسومة، ثم يجمع ما يستطيع من الأدلة والبراهين والتقسيمات.

وعلى هذا فلا بد أن يشغل الموضوع بال الخطيب الأسبوع كله، يقرأ حوله، ويفكر في عناصره، ويجمع أدلته، ويكتب كل ذلك ويدونه.

الأسلوب والصياغة :

قد يكون المضمون جميلاً، والموضوع جذاباً، لكن الثوب الذي يعرض فيه خَلِقٌ متهالك، أو منفر غير مؤنس، وهنا لا بد أن يتدرب الخطيب على صياغة الأساليب وكتابة الخطب، وذلك بالإكثار من القراءة في الأساليب الرفيعة، وأن يتعرف إلى خصائص الكلام، وأن يحاول جاهدا تجويد أسلوبه بكثرة المران على الكتابة.

أساليب التشويق والتأثير والإقناع :

ينسى بعض الخطباء الهدف من الخطبة، وهو إيضاح الحق، ودلالة الناس عليه وإقناعهم به، ما فائدة عشرات الخطب إذا كان الناس لا يلقون لها بالاً، ولا تقنعهم بشيء؟.

لذا فلا بد للخطيب من معرفة أساليب التشويق التي تشد السامعين، كما لا بد له من معرفة وسائل التأثير في المتلقين، كما عليه أن يجمع إلى ذلك الإقناع والحجة ، فهذه ثلاث ركائز لا بد للخطابة الفاعلة منها.

القدرات الخاصة:

لا بد للخطيب أن يعتني بقدراته الخاصة المطلوبة في الخطابة، فعليه أن يتساءل أهو يحسن الإلقاء، ألديه مهارات جيدة في العرض؟، وهكذا . . .، لذا فلا بد له من التدريب وحضور دورات متخصصة في هذه المجالات، وإلا كان نسخة مكررة كل أسبوع دون إضافة أو إبداع .

الزمان والمكان :

معلوم أن لكل مقام مقالا، فليس من اللائق أن يتحدث خطيب عن الترف في مجتمع فقير معدم، لأن وسائل الاتصال بينهم وبين الخطيب ستكون حينئذ مبتورة، كما لا بد من مراعاة المكان والزمان من حيث التهيئة والحالة المناخية، فالمكان الضيق، أو الذي يتوسط الأسواق، أو يكون على الطريق، لا بد فيه من الإيجاز، وكذلك شدة الحر والزحام لا بد من مراعاتها لدى الخطيب حتى لا يشق على الناس بالإطالة.

نصائح خطابية:

١ـ اختر كلماتك بعناية فهي مرسولك إلى المستمعين وإياك والكلمات التي تجرح المشاعر أو تمس الكرامة .

٢ـ ابتعد عن ضمائر الخطاب (أنتم)، في مناقشة السلبيات واستخدم مكانها (نحن) .

٣ـ تحاشَ التخصيص في معالجة الأخطاء ، وعليك بأسلوب (ما بال أقوام)، أو (بعضنا قد يفعل كذا) . . .

٤ـ حاول أن تخاطب الجوانب الوجدانية في المتلقي وذلك بأن تدعو له بالخير، والهناء والسعادة، فتضمن خطبتك عبارات مثل: «أدام الله سرورك ـ زادك الله فضلاً ـ وهكذا . . .».

٥ ـ اسأل نفسك قبل الخطبة ماذا تريد أن توصل للمستمعين وماذا تريد منهم أن يفعلوا، وحدد في ضوء ذلك أهداف خطبتك ، واكتبها مستحضراً ذلك.

٦ـ عليك بخريطة الخطبة «ورقة كبيرة يتوسطها موضوع الخطبة ، والهدف منها، وتتشعب منه العناصر ، وما يتعلق بها من أدلة أو نصوص . . .»، فهذا يعطيك تصوراً واضحاً لخطبتك ، ويوقفك على مواضع الإتقان والخلل فيها .

٧ـ حاول أن يكون لخطبتك مشروع عمل واقعي، يمكن أن يخرج به المستمعون من الخطبة، فمثلاً لو كنت تتكلم عن الجنة ونعيمها، اذكر في آخر الخطبة بعضاً من الأعمال التي توصل إلى الجنة ، مثلاً «البناء في الجنة»، يمكن تحقيقه بطرق منها:

أ) بناء المساجد .

ب) المحافظة على السنن الرواتب .

ج) الصبر على المصائب .

٨ ـ اعتن بأسلوبك وأعد النظر في ترابط الجمل، واقرأ النص أكثر من مرة حتى تدرك خدمة التراكيب للمعاني .

٩ـ اضبط بالشكل ما تستطيع من الكلمات، حتى لا تقع في اللحن الذي هو

من أظهر عيوب خطباء هذا الزمن، وهو عيب يمكن التخلص منه بالتدريب والتعلم، والاستعانة بمن يحسن ذلك .

١٠ـ اسأل نفسك قبل الخطبة لماذا تريد أن تخطب، فهذا يساعدك على تصحيح النية،لأن الصدق هنا مهم جداً،بل هو من أسس نجاح الخطبة.

هذه بعض الخواطر السريعة ، والكلمات الخاطفة، أحببت تقديمها بين يدي هذه المجموعة من الخطب، التي توالت عليها السنوات فتباعدت مناسباتها، وتنوعت أسبابها، فتباينت أحياناً أساليبها.

هذه المجموعة جمعتها من خطب كثيرة لدي دون ترتيب مقصود، بل آثرت أن تكون منوعة الموضوع ، متباينة الزمن . وقد أفدت فيها من تجارب السابقين، وأبحاث الجادين، وحاولت فيها التجديد في الأسلوب، والعرض والإقناع، فإن أصبت فذلك هو المنى، وإن كان غير ذلك فمن ذا الذي ترضى سجاياه كلها.

وإني لأقدم شكري مسبقاً لمن سددني في فكرة، أو أسلوب، أو نبهني إلى خطأ.

كما أشكر كل من أسهم في إخراج هذه المجموعة، وأسأل الله للجميع التوفيق والفلاح .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

د / عويض بن حمود العطوي

عميد كلية المعلمين في تبوك

وإمام وخطيب جامع أنس بن مالك

في حي الورود بتبوك ص ب: ١٠١١٠

٣٠/٣/ ١٤٢٥هـ

بريد الكتروني D_ahha@islamway.net

مقدمة تصلح لكل خطبة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، إليه المشتكى، وهو المرتجى، علامات ربوبيته باهرة، ودلائل وحدانيته ظاهرة .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه، أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

خَلِّ الذُّنُوبَ صغيرها	وكبيرها فهو التقى
واصنعْ كماشٍ فوقَ أر	ضِ الشوكِ يحذرُ ما يرى
لا تحقرنَّ صغيرةً	إنَّ الجبالَ من الحصى

أما بعد :

التوحيد[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فقد ينحرف الإنسان عن الطريق القويم، وقد يقع في هفوات وسقطات، وقد يلم بمعاص ومنكرات، وليس أحد منا يبرئ نفسه من الزلل، ولا أعماله من الخلل، لكن أن يصل القدح إلى أصل الدين، وأن يمس جناب التوحيد فهذا ما يجب بيان خطورته، وإظهار عواقبه.

يا أيها الفضلاء، لا يعني حديثنا هنا اتهام الناس في عقائدهم، ولا الحكم على نواياهم، فهذا ليس لأحد من البشر، وليس مرادنا هو التحذير من أمور غير واقعية، بل مقصودنا أن المتأمل لأحوال الناس، وبعض أقوالهم وأفعالهم يجد أموراً تقدح في أصول الإيمان، وتحدث شرخاً في أصل الدين، وقد يكونون عنها غافلين، أو لخطرها متجاهلين، فإن كان أحدنا سالماً منها فليحمد الله، ويسأل ربه حسن الختام، وإن أَلَمَّ بعضنا بشيء منها فليعد إلى ربه وليصلح مساره.

عباد الله، إن قضية القضايا، وأصل الأصول، وشعار الأمة، وراية الملة كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، يا لها من كلمة ما أثقل وزنها وأعظم شأنها، وأبعد مدلولها، كلمة بعضنا لا يدرك مقتضياتها، ولا يشعر بغاياتها، إنها كلمة تعني أن الله هو الإله وما سواه مألوه، وأنه خالق وما سواه مخلوق، وأنه قاهر وما سواه

---

(١) ألقيت هذه الخطبة عام (١٤٢٢هـ).

مقهور، إنها باختصار دعوة صريحة إلى التوحيد وخلع لكل الآلهة من دون الله، إنها إفراد الله بالعبادة.

التوحيد يا أمة التوحيد، عليه قامت دعوة الرسل، وعليه اجتمعت كلمتهم، فكلهم يقولون: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

إن أعظم أنواع الانحراف، وأخطر ألوان الفساد الإشراك مع الله، وصرف بعض حقوق الإله العظيم إلى غيره، يا له من تعد على حق العظيم، يا لها من جرأة في جنب القاهر الحكيم، يُعبد غير الله، يُذبح لغير الله، يُنذر لغير الله، يُدعى غير الله، يُستعان بغير الله، يا له من أمر جلل، وخطب عظيم، يوجب سخط الجبار، ويُستنزل به غضبه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء:١١٦].

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن أشرك معي غيري تركته وشركه**» [رواه مسلم وابن ماجه].

الشرك منازعة للعظيم سبحانه في حقوقه، لذا كان عظيمة عظمى وكبيرة كبرى، قال ﷺ لأصحابه: «**ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله...**»، فإذا وقع هذا الانحراف في الأمة فقد لاحت راية ضياعها، وظهرت معالم غيابها، وتبدت علامات أفولها، لأنها فقدت مصدر قوتها، وسر عظمتها.

عباد الله، إنه قد يدور في الصدور، أو يجول في الخواطر الآن سؤال مفاده، أيوجد من المسلمين من يشرك بالله، ومن يصرف حقاً هو لله لغيره؟.

أرجو ألا يتملكك العجب، ولا تأخذك الدهشة **أيها الفاضل**، إذا قلت

لك: إنه يوجد من المسلمين اليوم من يشابه الجاهليين في مقالهم، بل ويحاول تبرير خطئه والدفاع عن شِرْكه، ويوجد منهم من هو دون ذلك، إنه شرك أكبر أو أصغر، إنه مراتب: إنه شرك دون شرك، وكفر دون كفر، لكن عليك **أيها الفاضل** أن تكون أكثر خوفاً على توحيدك وإيمانك، من صاحب الجواهر على جواهره ، وأن تحيطه بعنايتك واهتمامك أكثر من صاحب المال بماله، فأي خيربعد الإشراك بالله، وأي فلاح بعد التعدي على حقوق الله وصرفها لغيره جلت قدرته، وأي حياة بعد ذهاب أصل الدين .

إذا الإيمـانُ ضـاعَ فـلا أمـان ... ولا دنيـا إذا لـم تبـق دينـا

ومن رضـي الحيـاة بغيـر ديـن ... فقـد جعـل الفنـاء لهـا قرينـا

اعلم **بارك الله فيك**، أن قوادح التوحيد كثيرة، منها ما يخرج من الملة ويوجب سخط الله والنار، ومنها ما هو دون ذلك فكن منها على حذر، فإني مذكرك بما ييسر الله منها، نسأل الله أن ينجينا منها، ونحمده سبحانه على عظيم نعمه وجليل عطائه .

يا أيها الفضلاء، أين التوحيد من أناس يطوفون بالقبور، ويلوذون بالحجر، ويذبحون للشجر، ويتمسحون بالأضرحة، ويستغيثون بالموتى، يعتقدون فيهم الضر والنفع، ويطلبون منهم العون والمساعدة، رحماك يا الله أليست هذه عظيمة من العظائم، الله يخلق ويرزق، ويحيي ويميت ثم يُدعى غيره ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم ٤٠] ، في عصرنا هذا تموج سفينة بأهلها فتبلغ القلوب الحناجر، ويعظم الكرب فيلجأ بعض من فيها من المسلمين

إلى الاستغاثة بشيخ مات منذ ستمائة سنة، قائلين: ياابن عيسى يا ابن عيسى، حلها يا عمود الدين، سبحان الله الكفار عند الضيق يدعون الله وحده مخلصين له الدين، وبعض المسلمين اليوم لا يلجأون إلى الله لا عند الضيق ولا في الرخاء، أليس ذلك شرخاً في إيمان الإنسان، بل إنه نقض لأصل التوحيد، أي إيمان بعد هذا، وأي دين بعد هذا، ألا يخاف أولئك سطوة الجبار وغضب الحليم القهار، يشركون معه الموتى والأشجار والأحجار، يشركون مع القدير العجزة والضعفاء، والعجماوات والجمادات، أين العقول المدبرة، بل أين العقيدة النيرة ؟، الأموات قد أفضوا إلى ما قدموا، ما ردوا الموت عنهم لما جاءهم، فكيف يردونه عن غيرهم ؟

﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ ﴾ [الفرقان: ٣]، الأموات، والأحجار، والأشجار ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤ ﴾ [فاطر: ١٤] .

يا عبد الله، لا تقل هو نبي مرسل، أو ولي صالح، فكلهم عبيد لله قدراتهم محدودة، ليس لهم من الحول إلا ما أقدرهم الله عليه، لا تقل أنا موحد، وأتخذ الأولياء وسائط، فتلك هي حجة الجاهليين، وذلك سندهم، ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ ﴾ [الزمر: ٣] ، فلا يُرفع الرسول فوق مرتبة الرسالة، فهو بشر اصطفاه الله، وله من المكانة في القلوب شيئاً عظيماً، لكن أن يجعل له بعض الناس من

القدرة مالا يكون إلا للخالق، فذلك ما حذر منه ﷺ ونبهنا إليه فقال: «**لا تجعلوا قبري بعدي وثناً يعبد**» ، «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله**» .

أيها الفاضل، فإن سلمك الله من ذلك، فاحذر السحر والكهانة، فإنها من نواقض التوحيد، عجباً لإنسان أنعم الله عليه بالإسلام والصحة والأمان ثم هو يلوذ بعراف، أو يستعين بساحر، أو يصدق كاهناً، عجباً له أين عقله، أين دينه ألا يخاف، ألا يخشى الله؟، يستعين بمارقين، يستعين بأفاكين، يستعين بمدعي الغيب، ألا يعلم أن الساحر كافر، ألا يدرك خطورة الذهاب إليهم، وعرض المشكلات عليهم ، قال ﷺ : «**من أتى عرافاً فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**».

أمّا إن صدقه فكما قال ﷺ: «**من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**» [رواه الأربعة والحاكم] .

عباد الله ، بعض الناس يكون بعيداً عن هذا القادح، لكن إذا ألمّ به المرض، ووقع تحت وطأة الألم، تنازل قليلاً قليلاً حتى يرضى أخيراً بحكم السحرة وفعلهم، معللاً لنفسه ومبرراً لخطئه، وهذا أمر خطير، ومنزلق كبير، أين الصبر، أين الدعاء، أين الإيمان بقضاء الله وقدره، لقد وجه ﷺ بالصبر مع إمكان العلاج المشروع، فكيف بالعلاج المحذور، لما جاءته تلك المرأة السوداء التي كانت تصرع، وطلبت منه أن يدعو الله ليشفيها، فخيَّرها بين أن يدعو الله لها فتشفى وبين أن تصبر على مرضها ولها الجنة فاختارت الصبر فأقرها على ذلك.

إذاً بقاء المرض ليست ذريعة لاستحلال المحرم وما جعل الله الشفاء فيما حرم سبحانه .

ومن الأمور الخطيرة ، والبوادر الشنيعة، ما يفعله أولئك المجرمون الذين يسعون في الأرض فساداً فيذهبون إلى السحرة يغررونهم بالمال، حتى يفرقوا بين المرء وزوجه، والصاحب وصاحبه، يفعلون ذلك لخلافات كلامية، أو حزازات نفسية، يا هذا قبل أن تتعاقد مع السحرة اعلم أنك قد بعت دينك، وخربت رأس مالك، فاتق الله ولا تؤذ الخلق، ولا تسع في الأرض فساداً فإن الله لا يحب المفسدين، اتق الله وانسلخ من معاونة السحرة، وتقرب إلى الله بمقتهم، بل يجب أن نكون كلنا يداً واحدة ضدهم، نبلغ عن أوكارهم، ونكشف عوارهم، فإنهم قد أفسدوا كثيراً، نسأل الله أن يهتك سترهم ، ويفضح أمرهم .

عباد الله، لو تحقق التوحيد في القلوب، وعرفنا للخالق جل شأنه قدره، ما رأينا بيننا من يؤمن بقراءة الكف والفنجان والحظ، وما يسمى بتحضير الأرواح، ويبني على ذلك قرارات، ويشيد آمالاً، يا هذا أهم يعلمون الغيب؟، أم هم شركاء لله في الملك، حاشاه سبحانه، إذاً فكيف يطلب علم الغيب من العاجزين المارقين ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣] ، إن علم الغيب لو كان لأحد سوى الله ، لكان للأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، لكنه أمر اختص الله به ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النمل: ٦٥]، وعجباً لأناس علقوا قراراتهم، ومهامات حياتهم، وسعادتهم وشقاءهم على كلام المنجمين وأصحاب البروج، فهذا له برج العقرب، وذاك برج الثور، وثالث برج الأسد، وهكذا أوهام في أوهام، وشقاء في شقاء، وانحراف يتلوه انحراف، يمضي بعض المسلمين وراء تلك الخزعبلات

معصوب العينين، فاقد البصيرة ، مهزوز الإيمان، يا أيها المؤمن وأين الله، المالك، القادر ، الرازق؟، يا هذا هل كان قارئ البروج ومفسرها ، عالماً بالغيب مطلعاً على أمور الكون، أم لعله مشارك للخالق في تقدير الأمور سبحان الله هذا بهتان عظيم ؟، ماذا عندهم حتى يُصدَّقون ، وماذا يملكون من القدرة حتى يُتَّبعـون ؟ ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ۝ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ [الطور: ٤١-٤٣] .

فاحذروا **يا عباد الله** من هذه الأبراج في بعض الصحف والمجلات والإذاعات فهي من قوادح التوحيد الخطيرة، إذْ هُمْ بها يدعون علم الغيب، ويقسمون السعادة والشقاء ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٣٢] ، وقال ﷺ : **«أخاف على أمتي ثلاثاً: حيف الأئمة، وإيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر»** صحيح الجامع، ومما يدل على ضعف اليقين، وتقلص التوحيد، وقلة الوثوق بالعزيز القدير الاعتماد على التمائم والأحجبة والخيوط والخرز من أجل الاستشفاء، أو دفع البلاء، عجباً لنا كيف هان علينا التوحيد حتى جعلنا لهذه الأشياء قدرة استغنى بها بعضنا عن ربه سبحان الله، وأين الله، وأين مالك الملك؟ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝﴾ [النمل: ٦٢]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ [الأنعام:١٧] ، إنها والله لا تزيد الإنسان إلا مرضاً ، قال ﷺ: **«لرجل عليه حلقة في يده انزعها فإنها لا تزيدك إلا**

وهنا ، ولو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً » [رواه أحمد]، وقال ﷺ: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له » [رواه أحمد] ، وقال ﷺ: «من تعلق تميمة فقد أشرك ».

عباد الله، الاحتكام يجب أن يكون لشرع الله لا لقوانين وضعية، ولا لأعراف قبلية، فإن من قوادح التوحيد الرضا بذلك أو فعله، لأن الحكم لله وحده، فإذا جاءك شرع الله **ايها الفاضل** ، فلا تقدم عليه شيئاً لا ترضى به بديلاً، عجباً لأناس يُدْعون إلى حكم الله في حل قضاياهم، ثم ينحونه جانباً، ويحكمون أعرافهم وقوانينهم زاعمين أحياناً أنها أقدر من الشرع، وأعظم ردعاً، ومن اعتقد ذلك فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، لأن في ذلك اتهاماً للخالق العظيم، وقدحاً في شرعه القويم، يدل على هذا قول بعضهم: «الشريعة بحر الظلمات »، «أعطنا القانون واترك الكانون» ويقصدون الشرع، «صلح أعوج ولا شريعة سمحاء»، ويصفون القاضي عندهم بأنه: «مرد الحق»، و «مقطع الحق» وربما يكون أجهل الخليقة، ولا تستقر النفوس ولا تهدأ إلا بالاحتكام إليه، وليس من شك أن هذا جرم خطير وانحراف كبير، إذ ليس للإنسان الخيار إذا جاءه حكم الله بل عليه التسليم والانصياع ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦] ، ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور: ٥١] ، ومهما ظن ظان أنه بقدرته أن يسن من القوانين ما يصلح به شؤون البشر فهو مخطئ وعاجز، لكن شرع الله هو المنهج الصحيح للحكم والتحاكم، به تهنأ النفوس، وينتشر العدل، وإن أردت دليلاً فانظر إلى هذه البلاد الطيبة كيف هي

أقل دول العالم في نسبة الجريمة، وأكثرها أمانا واستقراراً بفضل تحكيم شرع الله والرضا به، والعالم من حولنا يموج في قوانين وضعية وتشريعات بشرية، لم يزدد بها إلا تفككا وضياعاً، وتفسخاً وانحلالاً ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنعام:٥٧] .

ومما هو دليل على ضعف الإيمان، والشعور بالضعف والضيق، محبة الكفار وموالاتهم ونصرتهم، فذلك أمر خطير، وداء وبيل يقول الله فيه: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة ٢٢] .

نفى الله عنهم الإيمان حتى ولو كانوا من أهليهم، وهذا لا ينافي معاملتهم بالحسنى ودعوتهم إلى الهدى بالحكمة، أما أن ينطوي القلب على حبهم، وينصرون ويؤازرون فهذا ما يثلم جناب التوحيد، ويؤثر في معتقد الإنسان ، ولا بد أن يفرق الإنسان بين المودة، والمعاملة الحسنة .

ومن قوادح التوحيد أيضاً، الحلف بغير الله، فذلك إشراك بالله لأن الحلف عبادة، والعبادة لا تصرف إلا لله، فلا يحلف الإنسان بالنبي، ولا بالولي، ولا بالأمانة ولا بالآباء، ولا بالشرف بل بالله وحده «**لا تحلفوا بآبائكم فمن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** »، «**من حلف بالأمانة فليس منا**»، «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت**» فإن كان الحالف لا يعتقد التعظيم للمحلوف به، فهو شرك أصغر، وإن اعتقد فيه القدرة والتعظيم فهو كفر أكبر مخرج من الملة، لأن الحلف تعظيم وتوثيق، وليس ذلك إلا لله فاحفظوا أيمانكم، وانتبهوا لهذه الألفاظ فإنها خطيرة .

ومنها غير ما ذكرنا مما يجري على الألسنة وهو قادح في جناب التوحيد الاستهزاء بالدين، وذلك أمر استهان به الناس، وأطلقوا لألسنتهم العنان بالسخرية والاستهزاء، فتارة يهزؤون بشرع الله ذاته ويصفونه بأنه شرع أهوج، وهذا كفر صريح عافانا الله وإياكم من ذلك، وتارة يهزؤون بعباد الله المؤمنين فهذا يضحكون من ثوبه، وذاك من لحيته، وذلك من كلامه، وهذا أيضاً خطير لأنه إما أن يكون مقصده الشخص لا الشرع فيكون ذلك كبيرة من الكبائر، وإما أن يكون مقصده الشخص متلبساً بالشرع، فيكون كفراً مخرجاً من الملة، قال المنافقون عن النبي ﷺ وأصحابه في تبوك ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] .

فانتبهوا **أيها الفضلاء**، فالأمر جد وليس بالهزل، ولا تغرينك المجالس، ولا تغرنك ضحكات الضاحكين، ولا تندر المتندرين، فالأمر خطير، وأثره عميق، ومداه بعيد.

ومالا يكاد يمر على الخاطر، ولا يأتي بالبال، أن يسب المسلم ربه جل جلاله أو رسوله ﷺ أو دينه، يالها من عظائم، يالها من جرائم، يا لها من كبائر، الإنسان الحقير يسب العظيم الكريم، الإنسان الضعيف يسب الرحيم الرؤوف رحماك يا الله، ما أحلمك وما أكرمك.

عباد الله، إننا قد نسمع عبارات تصك الآذان خصوصاً في أوساط الشباب يلعنون فيها الدين، ويسبون فيها الملة، يا لها من كلمات يصعق الإنسان المؤمن قبل

أن يقولها ، لكنها كثرت من القطعان التي تربت على كل شيء إلا احترام دين ربها، وتوقير نبيها، وإجلال خالقها، قال ابن قدامة ﷺ: «من سب الله تعالى كفر سواء أكان مازحاً أم جاداً » وقال الشيخ ابن باز ﷺ: «سب الدين والرب جل وعلا كل ذلك من أعظم أنواع الكفر بإجماع أهل العلم»، وهو ردة عن الإسلام ونكوص عن دين الله، نسأل الله أن يعصمنا من الزلل .

ومما يقدح في التوحيد من الألفاظ كثير نذكر منها:

قولهم: أنا بالله وبك، أنا في حسب الله وحسبك، مالي إلا الله وأنت، أنا عاني الله وعانيك، أنا متوكل على الله وعليك، هذا من الله ومنك، هذا لله ولك، هذا الله ولموتانا، الله لي في السماء وأنت لي في الأرض، ما شاء الله وشئت، لولا الله وفلان ما حصل هذا.

كل هذا وما شابهه رفع للمخلوق وتسوية له بالخالق، وهذا تطاول في حق الله، وتعد عليه قال رجل للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت، فقال ﷺ: **أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده** » رواه النسائي وابن ماجه .

قولوا ما شاء الله ثم فلان، لولا الله ثم فلان .

ومن الألفاظ الخطيرة المنافية للتوحيد قولهم: «إن فلان أخو الرحمن»، «فلان وجهه وجه رحمن » ، «ربنا صاحب الكبد الخضراء»، «أتركك لصاحب الخيمة الزرقاء» «يأكل معك الرحمن » «يا ولد الرحمن »، « هذا ولد رحمن » سبحان الله تجسم وتشبيه، ونسبة للولد، تعالى الله وتقدس، لكنه الجهل والانسياق وراء العادات وعدم السؤال والتفقه في الدين .

ومن نتائج ثقافة المسلسلات قولهم «لا حول لله »، « فلان الله افتكره »، نفي للحول عن الله، ووصف لله بالنسيان، وغير ذلك من الألفاظ الكثيرة الخادشة لصفحة التوحيد الناصعة، ألفاظ ورثها البعض من الأجداد، واستقدمها آخرون من مجتمعات أخرى، ونقلها آخرون من المسلسلات والأفلام.

يا أيها الفاضل، قبل أن تتفوه بالكلمة زنها، قلّبها، اسأل عنها، لا تكن إمعة تقول ما يقول الناس، وتفعل ما يفعل الناس، خاصة فيما يتعلق بدينك الذي هو رأس مالك، فكن على حذر وحاسب نفسك ، واستعرض قاموس ألفاظك، فما كان صالحاً فأبقه، وما كان طالحاً فاطرحه .

عباد الله، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فتوحيد الله، والإقرار بربوبيته، والقيام بحقوقه، وإفراده بالعبودية هو مصدر السعادة، ومنطلق القوة، إنه يمد صاحبه بقوة هائلة يصمد معها في الشدائد، وزاد عظيم يقهر به الشبهات، وحصانة تمنعه من الشهوات، الموحد مستقر هانئ، سعيد مطمئن، لأنه معتمد على العظيم، لأنه يعبد رباً واحداً، ويسجد لإله واحد، هل يستوي هو ومن تتنازعه الأهواء، وتتقاذفه الآراء شركاء متشاكسون ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩].

التوحيد تعلق كامل بالله، تسليم كامل لحكم الله، رضى كامل بأقدار الله، توكل كامل على الله.

الموحد لا يلجئه المرض أو الحاجة إلى السحرة والعرافين، والكهنة والأفاكين، لأن باب الله مفتوح، وبيده الشفاء وحده، وإليه يرجع الأمر كله.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٠]، قال ﷺ: **«ثلاثة هن حق: لا يجعل الله مَنْ له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، ولا يتولى اللهَ عبدٌ فيوليه غيرَه، ولا يحب رجل قوماً إلا حشره معهم»** رواه الطبراني بسند جيد.

الموحد لا يعتمد إلا على خالقه ولا تغريه الأموال، ولا تلجئه الحاجات إلى

ما يثلم أصل دينه ، بل يصبر ويصابر ، ولا يضره كثرة الهالكين، لسان حاله .

إذا عــدد النــاس أربــابهــم فنحــن لنــا ربنــا الواحــد

وإذا اعتمدت النفوس المهزوزة على قوى البشر، اعتمد هو على الله الواحد القهار ، ويل لمن تعلق بغير الله، أو رجا غيره، شرب المؤمنون صفواً، وشرب هو كدراً .

التوحيد رفعة وسمو، والتعلق بغير الله ذلة ومهانة، أين عابد الأوثان من عابد الرحمن، الملك الديان، ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزمر: ٢٩] .

التوحيد حياة، والتعلق بغير الله موت، لقد كانت « لا إله إلا الله » تهز الجسد المتدنس بأرجاس الجاهلية فتطهره وتعقمه، حتى يصبح حياً بعد موات، عزيزاً بعد ذلة ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] ، « أحد أحد » يرددها عبد حبشي في صحراء مكة، تبعث فيه من القوة ما يواجه به عتو قريش وطغيانها، «أحد أحد» شعار التوحيد سما بها بلال، وسقط النسيب أبو لهب بالكفر والشرك :

خذلــت أبــا جهــل أصالتــه وبــلال عبــد جــاوز السحبــا

لقد كان الموحد يقرأ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦]، فلا تقف أمامه قوة ، ولا يحجزه عن مراده أحد، ولقد كان يقرأ: ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨] ، فلا يكاد يرفع شكاية لأحد، ولا يتفوه بتوجع لمخلوق،

بل ربما لم يسأل أحداً أن يناوله حاجته تقع على الأرض .

كانوا يتلقون العقيدة ليجعلوها واقعاً ملموساً، حيا معاشاً لا معلومات محفوظة، ثم الأقوال والأعمال تنقضها .

يا أيها الفضلاء، أليس من العيب فينا أن يفهم الجاهليون قدر هذه الكلمة، كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » أكثر منا فيرفضون قولها، أو التفوه بها، لأنها تعني قلباً كاملاً لكل مقاييسهم، وتبديلاً لكل سلطانهم، إنها نقل من عبودية البشر إلى عبودية رب البشر، إنها كلمة هزت كل قوانينهم، وزعزعت كيانهم، وأرعبت قلوبهم، حتى أحجموا عنها، وخرست ألسنتهم عن التفوه بها، واعترضوا وقالوا ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ ﴾ [ص: ٥]، «لا إله إلا الله» كلمة فيها الحرية الحقيقية، فيها العز المكين، والشرف المتين في ظل عبادة رب العالمين، «لا إله إلا الله» : هي النداء الذي لا يمل الموحد ترداده، وهي القول الذي لا يتلاشى مداه، « لا إله إلا الله» كلمة ثقيلة الوزن، عظيمة المعنى يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: « **يا موسى لو كانت السموات وعامرهن غيري في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله**» .

إنها كلمة تعصم دم صاحبها، وتدخله في حزب المسلمين، إنها كلمة يرجى لصاحبها دخول الجنة « **من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة**»، هذا هو التوحيد، عزة ورفعة، وقوة ومنعة، ورضى وسعادة، صاحبه في كنف مالك الملك، هانئ العيش قرير العين.

هذا هو التوحيد إقرار بوحدانية الله، وعلم بمدلول كلمة التوحيد «لا إله إلا الله » إخلاص وصدق، وقبول وانقياد، وتسليم ومحبة .

سبحان الله كيف يرضى الإنسان أن ينـزل من السمو إلى الدون، ومن العزة إلى الذلة، ومن التعلق بالله إلى التعلق بمن دونه ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف:٥]، ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [الرعد: ١٤] .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

حتى لا تزل القدم[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فجميل من العاقل ألا يتعامى عن الشر الذي يحيط به، ومحمود فيه ألا يتجاهل الخلل الذي يعرفه من نفسه، وأجمل من هذا كله، وأكثرُ حمداً أن يبادر للعلاج، ويشحذ الهمة في سبيل رأب الصدع وإصلاح العطب .

عباد الله، إننا نتعرض في سيرنا إلى الله للعوارض والصوارف، ونتصادم مع الأعداء المثبطين فما العدة في تلك الحرب، وما السبيل للخلاص من تلك العداوة.

أيها الأخ الكريم، إليك أهم الأسباب والأسلحة التي بها تبلغ هدفك وتدرك غايتك.

أولاً : حسن الصلة بالله .

أيها المسلم، كيف يمكن أن يثبت الإنسان على الطريق، والعلاقة بينه وبين ربه خراب، والحبال مبتورة، كيف يثبت مَنْ باع دينه واشترى دنياه، كيف يثبت من أسرف على نفسه وقطع الصلة مع ربه، يا هذا أما سألت نفسك، من الحافظ؟ إنه الله، من الهادي؟ إنه الله، من بيده قلوب العباد؟ إنه الله، يا عبد الله، احفظ الله يحفظك، ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف:٦٤].

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في عام (١٤٢٣هـ).

معاشر الفضلاء، لابد من تعاهد هذه الصلة حتى تحسن العلاقة، وتكون أهلاً لنصر الله ومعيته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل : ١٢٨]، ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧]، يقول ابن القيم : «وتحت هذه الآية كنز عظيم من وفق إليه ... وأحسن استخراجه فقد غنم ومن حرمه فقد حرم » .

عباد الله، إن من زاغ قلبه عن ربه فقد زاغ عن الطريق: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف : ٥]، لكن إذا آمنوا واتقوا ثبتهم الله، لأن الإيمان هو عنوان العلاقة بين العبد وربه وهو مقياسها، يسأل هرقل أبا سفيان عن أصحاب رسول الله فيقول: «هل يرتدُّ منهم أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه قال لا: قال هرقل: وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشتُهُ القلوب » [رواه البخاري]، ومما يزيد هذا الصلة ويقويها المبادرةُ إلى الطاعات والإكثارُ من النوافل والعبادات والمجاهدةُ في ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٩]، وتلك هي الغاية وذلك هو الهدف .

ثانياً : تدبر القرآن .

هذا القرآن الذي هو حبل الله المتين، وهو الهداية لمن طلبها، ما بالنا عنه معرضون لا نقرؤه إلا قليلاً، ولا نتدبره إلا نزراً، نمر على آياته فكأنها لا تعنينا، ونردد أوامره وكأننا غيرُ مخاطبين بها .

فيا من أراد الثبات، عليك بالقرآن أعطه حقّه، وأوله العناية المستحقّة، تعلم قراءته، ورتل آياته، وتدبر معانيَه، ونفِّذْ أوامره، واجتنب نواهيه، وتمعن في

قصصه يحصل لك الثبات وتبتعدْ عن غوائل الشيطان، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٢].

ثالثاً : الدعاء .

وهو السلاح الأمضى، والعامل الأقوى، كم ثبت نفساً متزعزعة، وكم رد إلى الطريق قلباً شارداً، لأن فيه التَّنصلَ الكاملَ من الحولِ والقوةِ، والاعترافَ بها لله القادر سبحانه.

انظر **يا عبد الله**، كيف يعلمنا رسول الهدى هذا السبيل، هاهو ﷺ يكثر في دعائه يقول : «**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» رواه أحمد وإسناده حسن كما قال الهيثمي، ويقول ﷺ : «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد**»، وكان يقول : « ... **رب اجعلني لك شكاراً، لك ذكاراً، لك رهاباً، لك طواعاً، لك أواهاً منيباً، رب تقبل توبتي واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري**» [رواه الترمذي وقال حسن صحيح، وروى الطبراني والحاكم وقال الهيثمي إسناده حسن]، وروي أنه ﷺ قال: «**إن الإيمان يخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم** » .

فيا **عبد الله**، إذا ألمت بك ملمة، أو أحسست بحياد عن الطريق، أو ضعف في الإيمان، أو ركون إلى معصية، فعليك بالدعاء ردد دائماً : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران ٨]،

﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا ﴾ [البقرة ٢٥٠].

رابعاً : صحبة الصالحين :

عباد الله، إن للإنسان من صاحبه نصيباً في كل شيء حتى في دينه، فقد يزيد الإيمان بسبب الصحبة الصالحة، وقد ينقص بسبب الطغمة الفاسدة، قد يختل المرء في سيره فيسنده صاحبه الصالح ويدُلُهُ على الطريق، كيف لا وقد ربط رسول الله ﷺ بين الصحبة والديانة فقال: « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»، وقال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح أبي داود [٤٩١٨] : «**المؤمن مرآة المؤمن، المؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطُه من ورائه**».

وانظر **رعاك الله** إلى موسى عليه السلام ماذا طلب عندما أرسله ربه إلى فرعون، لقد طلب طلب مُعيناً صالحاً : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [طه: ٢٩-٣٤]، وهذا هو الإمام أحمد وهو من هو في يوم المحنة بفتنة خلق القرآن يساق إلى السجن فيقول له محمد بن نوح: يا أبا عبد الله، اللهَ اللهَ، إنك لست مثلي أنت رجل يُقتدى به، قد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله، فثبت الإمام أحمد ولم يجبهم إلى القول بخلق القرآن » .

يا عبد الله، صحبة الأخيار رافد لا تستطيع الاستغناء عنه في سيرك إلى الله، والصالحون لن يصيبك منهم إلا الخير، فهم كبائعي المسك، انظر **رعاك الله** إلى كلبٍ صحبَ بعض الصالحين فذكر بسببهم في القرآن إلى يوم القيامة ﴿ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ ﴾ [الكهف: ١٨]، فكيف بصاحب يصحب الصالحين، وصحبة الصالحين قد تكون بمرافقتهم، والمشي معهم، وقد تكون بقراءة تاريخهم،

وتمثل سيرهم، ففي ذلك أكبر الأثر في الثبات قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : ١٢٠]، إذا كان هذا في حق الرسول الكريم فكيف بحالنا نحن؟، لابد أن نطَّلِعَ على سير العظماء والنجباء، وننهل من سيرهم العطرة، ونربي أنفسنا وأولادنا على أخلاقهم العالية، وعبادتِهم العظيمة، وصبرهم الجميل :

أحب الصالحين ولست منهم ... لعلي أن أنال بهم شفاعة

أولئك الأعلام العاملون هم القدوة :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جريرُ المجامع

أما أن ننخلع من سيرتهم، ولا نعرف عنهم شيئاً، ثم نرتبط برموز وضيعة، وأبطال مزيفين، فهذا الذي يزيد الوهن وهناً .

أعمى يقود بصيراً لا أبا لكم ... قد ضل من كانت العميان تهديه

خامساً : التوسط والقصد في العبادة .

فلا إفراط ولا تفريط، والتوسط والاعتدال أمر مطلوب شرعاً، وبالتوازن تسيرُ السفينة، ويحصل المطلوب، يقول عليه الصلاة والسلام : «**عليكم من الأعمال ما تطيقون فوالله لا يمل اللهُ حتى تملوا**» [رواه البخاري]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل**» [رواه البخاري]، وقال عليه الصلاة والسلام : «**إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**» [رواه البخاري].

سادساً : طلب العلم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[فاطر: ٢٨]، ويقول

سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ﴾ [الزمر: ٩].

أخي الكريم، كيف يمكن أن تتقدم في سيرك إلى الله، وأنت تجهل الطريق، وتجهل الثواب، وتجهل الحكم، كيف تثبت أمام الشُّبهات والشهوات، وأنت لا تدرك الخطر، ولا حجم الضرر، كثيرون هم الذين يعترفون بعد فوات الأوان، ويقولون كنا نجهل هذا، كنا لا نعلم حجم الخسارة، ولا فداحة الخطر، فبادر من الآن، وتعلم واقرأ واسمع واحرص على طلب المزيد حتى تسير إلى الله على نور.

سابعاً: علو الهمة ونبلُ القصد.

عباد الله، لاشك أن همَّةً تنظر إلى العلو وترمق الآخرة، غيرُ همة تنظر إلى السفل وتتعلق بسفاسف الأمور، شتان بين الهمتين، يقول ابن القيم: «لله در الهمم ما أعظم شأنها فهمم حائمة حول العرش، وهمم دائرة حول الأنتان والحش»، والإنسان أبداً يسير بحسب همته، فمن كان يرجو الفوز بالجنة، ومقصده رضوان الله لاشك أنه لن يفتر ولن يقف: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝ ﴾ [الحجر:٩٩]، وعلامة الهمة العالية والشرف الأسمى، الجدية في العمل والزهد في الدنيا، لذا لما علت همة عمر بن عبد العزيز رحمه الله على الدنيا ورنت عينه إلى الآخرة، زهد في ملذات الدنيا وأنواع نعيمها:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

أما داني الهمة فسيبقى يقوم ويقعد، ويمشي ويقع، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، يكثر من الأماني، ويستحب النوم ثم يطلب الدرجات العالية هيهات

هيهات:

أأبيت سهـران الدجـى وتبيتــه نومـاً وتبغـي بعد ذاك لحـاقـي

وعلى قدر الهمة تكون النتيجة، ولاشك أن الجنة غالية، وتحتاج إلى تشمير وجد وعمل، تحتاج إلى يقظة خلال الطريق حتى يسلم صاحبها من العوارض :

ومن يتهيـب صعـود الجبـال يعـش أبد الدهـر بين الحفـر

ثامناً : استشعار عظمة الله ومراقبته .

عباد الله، لو قدر الخلق ربهم حق قدره ما تقاعسوا في عبادتهم ولا كفر به أحد، ولكن ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٧٤]، وأنت **أيها المسلم** إذا دعتك النفس إلى الانحراف، وأغراك الصديق به، أو وسوس الشيطان به إليك، فتذكر عظمة الخالق سبحانه، وأنك أحد عبيده وبعض خلقه، وأن جميع أمرك بيده، وفي السماوات والأرضين شاهد على عظيم خلقه، وفي الجبال والبحار وأمم المخلوقات دليل على باهر صنيعه، فكيف بعد هذا تغلق عينيك، أو يلهو قلبك عن ذكره وشكره وحسن عبادته .

تاسعاً : محاسبة النفس والخوف من الانتكاسة .

عباد الله، إن التاجر الحصيف هو الذي يُقيمّ أعمالَهُ ويعرف حجم خسارته وقدر ربحه فما بالنا لانفعل فعل هذا التاجر؟ أين المحاسبة الحقيقية، وأين التقييم الصحيح؟ كيف لإنسان أن يصحح مساره وهو لا يعلم أنه على خطأ، وكيف يزداد من الطاعة وهو لا يخاف على نفسه من سوء الخاتمة؟ وقد قيل من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة : تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، وهي كما

ترى **اخي المبارك** مسارات للتصحيح، أما من نسي الموت فيعاقب بثلاثة: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة، فمن أراد المزيد والنشاط في العبادة، والاستمرار في الاستقامة، فليحترق قلبه خوفاً من سوء النهاية، يدخل الحسن البصري على مريض يحتضر فينظر إلى ما يجد من سكرات الموت وكربته وشدائده، فيرجع إلى أهله بغير اللون الذي ذهب به، فيقولون له الطعام يرحمك الله : فيقول : يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم، والله لقد رأيت اليوم مصرعاً لا أزال أعمل حتى ألقاه .

عاشراً : الثقة بنصر الله .

عباد الله، بعض الناس يتخلخل كيانه، ويضعف إيمانه إذا رأى المحن تتوالى على الأمة المسلمة، فيصاب بيأس من ظهور هذا الدين، وقنوط من شيوع شرع الله، فيتدنى مستواه ويخبط في أعماله، فيا من هذه حاله، اعلم أنه مهما احلولكت الظلم، فلابد من بزوغ النهار، ومهما ران الذل على القلوب فلابد من الثقة بنصر الله.

والليل إن تشتد ظلمته فهذا الفجر لاح

واعلم **ايها المسلم،** أنه رغم كل ما يدور في خلدك إلا أن المستقبل لهذا الدين: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٢٨]، وبشائر النصر كثيرة، منها قول الحبيب ﷺ عندما سئل أي المدينتين تفتح أولاً : القسطنطينية أو رومية قال : «**مدينة هرقل تفتح أولاً يعني القسطنطينية**» [رواه أحمد ورجاله ثقات] .

وقد تحقق فتح القسطنطينية بعد ما يزيد على سبعمائة سنة، ونحن ننتظر فتح روما، ولابد أن تفتح إن شاء الله، ولابد من هذه الثقة المطلقة، ولابد من قطع طريق اليأس حتى لا تلين القناة وتخبو الجذوة، ويضعف الإيمان .

عباد الله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فإليك **أخي الكريم** صوراً من الثبات رائعة، مقتطفة من تاريخنا الطويل تشحذ الهمم وتقوي العزائم، هذا رسول الله ﷺ يسلك معه الأعداء طريق الإغراء بالمال والرئاسة والجاه ليترك دعوته، فما استكان وما خضع، وسلكوا معه طريق الضغط العائلي، والتأثير العاطفي فما استكان وما خضع، وسلكوا معه طريق المقاطعة الاقتصادية فما لان ولا خضع، ثم هددوا وقرروا اغتياله فما لان ولا خضع .

وللثبات عند الموت ميزة أخرى لأنه نهاية المطاف الدنيوي وقد توالت قصص التباين في تلك الساعة، لما حضرت الوفاةُ عمرَ بن عبد العزيز قال أجلسوني فأجلسوه فقال : أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله، وقد سمعته زوجته فاطمة يردد : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص ٨٣] ثم مات رحمه الله.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه، قال بل واطرباه غداً نلقى الأحبة، محمداً وحزبه .

ولما طعن حرام بن ملحان رضي الله عنه بالرمح، ورأى الدم قال: الله أكبر فزت ورب الكعبة .

ولما شارف معاذ رضي الله عنه على الموت قال: «مرحباً بالموت، مرحباً زائرٌ مغيبٌ

حبيبٌ جاء على فاقة، اللهم إني كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا والبقاء فيها لكري الأنهار، ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر » .

ولما احتضر عبد الله بن المبارك فتح عينيه وضحك وقال : «لمثل هذا فليعمل العاملون » ثم مات، ولما احتضر أبو بكر بن عياش بكت أخته فقال لها: لا تبكي وانظري إلى هذه الزاوية، فقد ختم أخوك فيها القرآن ثمانية عشر ألف ختمة، ودخل المزني على الشافعي وهو يجود بنفسه فقال كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال : أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولسوء عملي ملاقيا، ولكأس المنايا شارباً، وعلى الله وارداً، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم قال :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منةً وتكرماً

اللهم أحينا حياة السعداء، وارزقنا ميتة الشهداء، واحشرنا يوم القيامة مع الصالحين والأنبياء .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

اتباع الهوى[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فسنقف اليوم على آفة خطيرة، لها آثارها المدمرة، تلك الآفة هي اتباع الهوى، الهوى الذي تكرر ذكره في القرآن العظيم ستاً وعشرين مرة، كلها جاءت بالذم له، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما ذكر الله عز وجل الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه»، وقال الحسن البصري: «الهوى شر داء خالط قلوبنا »، الهوى من أدواء القلوب وأمراضها ، التي يغفل عنها أكثر الخلق ، فهل سأل أحدنا نفسه لم فعل ما فعل أو قال ما قال؟ ، لم أخذ بالقول الفلاني في المسألة دون غيرها؟ ، لم انحدر في مستنقع المعصية وتردى في واديها ، لم انشرح صدره للذنب ، لم ناقش في تلك المسألة ؟ ربما لا يجيب بعضنا على أكثر ما ذكرنا ، وربما يقول إن أجاب: لا أدري .

يا عبد الله، إن الهوى داء خطير، وشر مستطير، عرض الله علينا بعض آثاره في كتابه، وحذرنا منه أعظم التحذير، وساق لنا قصصاً من مصارع أهله لنتعظ ونعتبر، ولكن لعلك تسأل أيها الفاضل ما الهوى، ما ماهيته ؟ الهوى هو: ميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع ، الهوى هو ميل النفس إلى الشهوة، الهوى هو ميل الطبع إلى ما يلائمه ، وإتباع الهوى هو إيثار ميل النفس إلى الشهوة والانقياد لها فيما تدعوه إليه من المعاصي والذنوب، الهوى يعني أن

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في (٢/ ١١/ ١٤٢١هـ).

ينساق الإنسان وراء رغبات نفسه الأمارة بالسوء، ناسياً أوامر ربه ونواهيه، عندها إذا لم يتدارك نفسه يصبح عبداً لهواه لا عبداً لربه ومولاه، وهذه مرحلة خطيرة قد يصل إليها الإنسان، فينحط من شرف عبودية الله، إلى أقل من درجة البهائم، إضافة إلى كثير من البلاء الذي سيصيبه، وما يتعرض له من آثار اتباع الهوى المدمرة التي منها :

أولاً :

أن الهوى قد يقود صاحبه إلى الكفر عياذاً بالله، أو قد يكون سبباً لصده عن هدى الله، تأمل يا عبد الله، إلى أولئك الذين جاءهم الحق، وعاشروا الأنبياء وسمعوا منهم، حتى بان لهم النور واتضح لهم الهدى ومع هذا أعرضوا، رغم معرفتهم بأنه حق لا شك فيه كما قال سبحانه: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[النمل:١٤]، ولا نعجب بعد هذا كيف سمى الله سبحانه وتعالى الهوى إلها، والإله هو المألوه أي المعبود قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الجاثية: ٢٣]، يقول قتادة ﷺ: «إن الرجل إذا كان كلما هوى شيئاً ركبه، وكلما اشتهى شيئاً أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى ، فقد اتخذ إلهه هواه» .

سبحان الله ما أكثر صرعى الهوى، كم تساقط بسببه من أناس، حجبوا أنفسهم عن النور بشهوة عاجلة، ولذة سريعة ، فأنكروا رسالة الرسل، وناصبوا الأنبياء العداء، قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

[المائدة:٧٠]، وقال سبحانه: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠].

سبحان الله كم يُعرض الحق على الأبصار ويراه الإنسان جلياً أمامه، والآيات ترشده إليه ولكن دون جدوى، فالقلب مريض بالهوى والميل الفاسد، ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦]، فبأي شيء شبهه الله؟، شبهه بالكلب أكرمكم الله، لأنه عبد ذاته وألّه هواه ونسي خالقه ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ ﴾ [الأعراف:١٧٦]، ومازال هذا البلاء سارياً حتى في هذه الأمة كما قال ﷺ: «**ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وهذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة**» وزاد ابن يحيى وعمر من حديثهما: «**وإنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**»

رواه أبو داود وصححه الألباني رحمهما الله.

تأمل **ياعبد الله** كيف اتفقت الآية والحديث في ذكر الكلب مع أهل الأهواء، عصمنا الله وإياكم من الزلل، وبصرنا بمواطن الخلل، وهدانا بهداه.

ثانياً :

ومن آثار اتباع الهوى الوقوع في البدعة وترك السنة، وإننا والله لنعجب من تثاقل الناس عن السنة وتبرمهم بها، فإذا انتشرت بدعة أمسك بها الناس، واجتمعوا لها وعليها، لأنهم استحسنوها ومالت أنفسهم إليها.

يا عبد الله، الدين بالاتباع لا بالابتداع، الدين من الله فلا يؤخذ إلا منه، ولا يكون إلا على مراده، ولا عليك **أيها الفاضل** من فعل الناس ولا من استحسانهم، فإن الإحداث في الدين من أعظم أبواب هدمه، لأن الدين يتحول بالبدعة من الوحي المعصوم إلى استحسانات الناس وأهوائهم، فيكون مسخاً من مجموع أعمالهم وأقوالهم، يقول حماد بن سلمة ﷺ: «حدثني شيخ لهم تاب - يعني الرافضة - قال كنا إذا اجتمعنا فاستحسنا شيئاً جعلناه حديثاً»، فتنبه **يا مؤمن** وانظر كيف تعبد ربك، وعليك بأصلين تعرف بهما ذلك، أولهما أن توحد ربك في عبادتك فلا تجعل له فيها شريكا، وثانيها أن تعبده بما شرع في كتابه أو على لسان رسوله ولا تتجاوز ذلك أبداً.

ثالثاً :

الهوى سبب كل ضلال وضياع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل الضلال هو اتباع الظن والهوى، كما قال الله في ذمهم: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم: ٢٣] ، وقال سبحانه في حق نبيه ﷺ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٤]، وصفه بالعلم

ونزهه عن الهوى »أ هـ .

فتأمل **يا عبد الله،** أين هذا من ذاك ، ذمهم بضلالهم بسبب الهوى واتباعهم الظن، ومدحه ﷺ، ونفى الغواية عنه لأن مصدر كلامه وحي لا هوى، فليكن هذا ديدنك يا مؤمن، إذا جاء الوحي: قال الله ، وقال رسوله ﷺ ، فلا ترده لقول أحد من الناس كائناً ما كان، وأين الهوى من الوحي؟ ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

رابعاً :

الهوى يا مؤمن داعيه المعاصي والذنوب، فمن وقع في براثنه زانت له المعصية، وانغمس في المهلكة.

تأمل **يا عبد الله** إلى كل معصية ما الذي قاد إليها ، إنه ميل النفس وتسويل الشيطان وتزيينه، والهوى هو مركب الشيطان في ذلك، فكيف لإنسان أن يتخلص من هذه البلية وأعداؤه الشيطان والهوى والنفس والدنيا ،كيف له ذلك إذا لم يكن له من الله عاصم وسند .

إني بليت بأربع يرمينني ... بالنبل عن قوس لها توتير

إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... يا رب أنت على الخلاص قدير

تأمل يا مؤمن، ما الذي يدفع الإنسان إلى الموبقات ويوقعه في المهلكات إلا هواه، فالمغتاب يفري أعراض الناس بلسانه كل ذلك اتباعاً لهواه في شهوة الكلام، وكذلك السرقة يقوم بها اتباعاً لهواه في شهوة المال، وكذلك الزنا وانتهاك الأعراض ينساق إليها اتباعاً لهواه في شهوة الفرج وهكذا، يقول ابن رجب رحمه الله: «إن جميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله

ورسوله، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه، وكذلك البدع تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء » أ.هـ.

فانتبه **يا عبد الله** من آثار الذنوب والمعاصي، والانسياق وراء شهوات النفس، فقد يأتي على الإنسان زمن ينكر فيه الحق وهو أبلج أمامه، ويتبع الباطل وهو مظلم أمامه، ذلك أنه بكثرة اتباع الهوى قد حجبه ذلك عن الصواب وجعل الهوى إلهاً معبوداً عياذاً بالله .

يا مؤمن، لا تستهن بالنظرة تلو النظرة، ولا بالسماع تلو السماع، ولا بالصغيرة تلو الصغيرة اسأل نفسك لم لا تمتنع عن كل ذلك، ومن تطيع في هذه الذنوب؟ إنك تطيع نفسك وشيطانك وتسير مع هواك وهذا هو الخطر، وقد حذرنا من ذلك رسول الله ﷺ حيث قال: « **إن مما أخشى عليكم شهوات الغيّ في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى**» [رواه أحمد ، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح] .

وتأمل **يا عبد الله** النتيجة المحتومة لإطلاق النفس العنان في الملذات والشهوات، وانظر في النتيجة المحتومة لمن خالف نفسه وعصى هواه ، قال ﷺ: «**تعرض الفتن على القلب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين: أبيض مثل الصفا لا تضره فتنه ما دامت السموات والأرض، وقلب أسود مرباداً كالكوز مجخيا** ـ أي منكوساً مقلوباً ـ **لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه**» [رواه مسلم]، فالحكم عنده لهواه ، وهذا والله واقع بعض الناس لا يأخذ بالحق إلا إذا وافق هواه، فالحكم عنده لهواه لا لشرع الله، أما سمعت إلى بعضهم إذا دعي إلى الصلاة، قال: اليوم لا أشتهي الصلاة، وإذا قيل له هذا

حرام، قال: أنا حر، وإذا قيل له: إنه شرع الله وحكمه، قال: غير معقول، وإذا قيل متى تتوب؟ قال دعنا نتمتع ، وكأن الأمر إليه ، والحكم بيديه .

يا هذا، إنه شرع الله وأنت عبده الذليل الضعيف، ليس لك إلا أن تقول: سمعنا وأطعنا، ليطبق كل منا هذا الحديث السابق على نفسه، إذا أمر بمعروف أو نهي عن منكر هل يسلم مباشرة لأنه أمر الله، أم أنه ينظر فيما يوافق هواه فتراه يقبله وما عدا ذلك يرده، وذلك من اتخاذ الهوى إلهاً عياذاً بالله، ونتيجة ذلك ما ذكره الله سبحانه ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية ٢٣] ، فأغلق الله عليه منافذ النور والهداية بما جنت يداه، فانظر توافق الآية مع الحديث في هذه النتيجة المدمرة لمتبع الهوى.

خامساً :

ومن آثار اتباع الهوى رد الحق والانتصار للباطل، يقول علي رضي الله عنه: «إن أخوف ما أخافه عليكم اثنتان: طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق» أهـ .

يا عبد الله، الأهواء لا يمكن أن تجتمع ، لذا فطريقها الضلال بلا شك، تأمل يا مؤمن كيف قال سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية:٢٣]، وقال جل ذكره: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة :١٢٠]، قال الفيروز آبادي: «فأفرد الهوى في الآية الأولى، وجمعه في الثانية تنبيهاً على أن لكل أحد هوى غير هوى الآخر، ثم إن هوى كل واحد لا يتناهى ، فعلى هذا فإن اتباع أهوائهم نهايته الضلال والحيرة ».

ليس هذا فقط بل تأمل شأن الهوى فيما يتلقى الناس من الفتوى، هل سألت نفسك اليوم **يا عبد الله**، وأنت تسمع من شرق الأرض وغربها، من يقول بكذا وكذا في أمور مصيرية وقضايا شرعية، ما هو منهجك في تلقي تلك الفتاوى، إن بعض المتلقين يوجد لديهم هذا المرض؛ لأنه يحب ذلك المنهي عنه ويود لو وجد فيه قولاً، فإذا سمع فتوى توافق هواه طار بها وفرح وعممها ودعا إليها، على رسلك يا هذا، فما هكذا يكون المنهج ، إن المطلوب إن كنت تريد النجاة أن تأخذ بقول من تثق في علمه وتقواه وقوة دليله وحجته، حتى ولو خالف ما تميل إليه وتهواه، وهذا ملحظ دقيق خطير يجب التنبه له، لأن هذا العلم دين، فانظروا عن من تأخذون دينكم .

ويبرز الهوى في المنازعات والمجادلات، ويظهر في المراء والحوار، فمن منا ظهر له الحق على يد أحد من الناس فأخذ به وتنازل عن رأيه وقوله، ولينتبه طلبة العلم لهذا، فإن حب الانتصار للنفس قد يوقع الإنسان في القول بلا علم، وفي الميل مع الهوى فيضل الإنسان حينئذ وقد ينحرف عياذاً بالله، ويستمرئ ما قال به رغم اقتناعه ببطلانه، وقد يضل غيره بذلك كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الأنعام:١١٩].

يقول ابن الجوزي: «اعلم أن الهوى ما خالط شيئاً إلا أفسده، فإذا وقع في العلم أخرجه إلى البدعة، وإذا وقع في الزهد أخرجه إلى الرياء ومخالفة السنة، وإذا وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم» ، فعليك **أيها الفاضل** أن تقر بالحق وتقدم أمر الله وتجعله هو الحكم لا هوى نفسك، وتذكر قول الشافعي إذ يقول: «والله ما ناظرت أحداً إلا وددت أن يظهر الله الحق على يديه»، إنه التجرد الكامل من حظوظ النفس وشهواتها .

وأنت **يا مؤمن**، قد تكون في موضع تفصل فيه بين الناس وتحكم، أياً كان مكانك ومكانتك، فاتق الله فإن الهوى له في هذا المجال صولات وجولات، فعليك بالعدل الذي أمرت به وإن كان خلاف الهوى والشهوة قال تعالى: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال سبحانه آمراً نبيه داود في الحكم: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦].

يا عبد الله، لقد علمت منزلة العقل وأنه يحجز صاحبه عن كل سوء، ألا فاعلم أيضاً أن عدوه هو الهوى، يقول ابن حبان : «العقل والهوى متعاديان، فالواجب على المرء أن يكون لرأيه مسعفاً، ولهواه مسوفاً، فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه، لأن في مجانبة الهوى إصلاح السرائر، وبالعقل تصلح الضمائر » أ هـ ، ولا عجب في هذا فالهوى يردي في كل سوء، وما سمي الهوى بالهوى إلا لأنه يهوي بصاحبه في كل هاوية ، فهو مع النساء عشق ، ومع المال سحت ، ومع العلم كبر ، ومع السمعة بطر وأشر ، فكله شر وبلاء .

إذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى ... فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

وقد أشمت الأعداء جهلاً بنفسه ... وقد وجدت فيه مقالاً عواذله

ومايردع النفس اللجوج عن الهوى ... من الناس إلا حازم الرأي كامله

اللهم جنبنا مضلات الفتن والأهواء ، ووفقنا للحق ودلنا عليه يا أرحم الراحمين .

عباد الله، أقول ما تسمعون ، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فيا مؤمن لعلك أن تراجع نفسك الآن ، وتنظر ما دافعك إلى أخذ ما أخذت وترك ما تركت، والحكم بما حكمت، والقول بما قلت، كن منصفاً مع نفسك، وأدرك أن اتباع الهوى خطير قاتل، ولعلك رأيت بعض أثاره المدمرة في الدين والدنيا والآخرة، في الدنيا حسرات وضلال قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦] ، وقال ﷺ: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**» [رواه الإمام أحمد] .

إيمانك **يا مؤمن** مرهون بتصريفك لهواك، قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**» [أورده السيوطي في الأوسط، والأصبهاني في الترغيب].

وفي الآخرة نهاية أهل الهوى إلى الجحيم والحميم، ونهاية من يعصي الهوى ويقدم مرضاة الله إلى النعيم والتكريم ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤١] ، فمن عبد الله اليوم على نور لقي ربه يوم القيامة ومعه النور، ومن مال مع هواه اليوم، مال عن الصراط غداً، ومن تمسك بصراط الله اليوم نجا به غداً، ومن تنكب الصراط اليوم تصرمت حباله غداً، لذا لما أدرك العارفون خطورة الهوى، وأن الله أنقذهم منه بنور الكتاب والسنة، حمدوا الله على ذلك وأقروا بشكره حتى قال مجاهد رحمه الله: «**ما أدري أي النعمتين عليّ أعظم، أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء** » [(سنن الدارمي

١/١٠٣) (ح ٣٠٩)] ، ويقول الشافعي رحمه الله: « لأن يلقى العبد ربه بكل ذنب خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء » فلا عليك **أيها الفاضل** من استحسانات الناس وتسويلات النفس، واعتصم بحبله المتين وصراطه المستقيم، وليكن مرجعك دوماً هو الوحي لا سواه فإنك لن تفلح إلا بذلك .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

الفوز والخسران[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فإن النفوس مجبولة على حب التفوق والنجاح، ومتطلعةٌ دوماً إلى الفوز والفلاح، وهي في الوقت ذاته كارهةٌ للإخفاق والخسارة، مبغضةٌ للتقهقر والتراجع، ونحن اليوم نعيش في معمعة الامتحانات، وما فيها من إرهاق عمل، وأحياناً من سأم وملل، نعيشها بما فيها من نشوة النجاح والتفوق، أو من خيبة الخسران والخذلان، مشاعر مختلطة ومواقف متباينة، وكل يجني ما زرع، ويحصد ما بذر، إن الإنسان بطبيعته ينتشي ويفرح لتفوقه ونجاحه أو نجاح أولاده، يجد في ذلك لذة عظيمة مهما كان شأن الامتحان، وهذا أمر لا يستطيع أن ينفيه إلا فاقد الشعور والإحساس، ولا لوم على أحد في ذلك، لكن علينا ونحن نعيش السرور بنجاح أولادنا أو بعضهم، نسأل الله أن يزيدكم سروراً وحبوراً، أو ونحن نحزن لإخفاق ورسوب بعضهم، يحسن بنا أن نتذكر فوزاً أعظم من هذا الفوز، ونجاحاً أجل من هذا النجاح، الفرحة فيه عظيمة، والنشوة به كبيرة، فوز لا يذكر معه نجاح الدنيا مهما علت مراتبها، ومهما عظمت جوائزها، فوز به النجاح الأكبر، وفيه النجاة الحقيقية، وفيه الرفعة العظيمة، هذا الفوز وهذا النجاح عرض علينا ربنا جلّ جلاله في كتابه العظيم صفاتِ أصحابه، وماهيةَ هذا الفوز، والجائزةَ التي بها يكافأون، فما ذلك الفوز، وما تلك الجائزة؟

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في (١٨/ ٢/ ١٤١٩هـ).

إن ذلك الفوز وذلك النجاح وذلك الفلاح ليس شهادة ورقية تبقى سنوات ثم تنتهي، ولا وظيفةً مرموقة لاشك في فراقها، ولا مرتبةً اجتماعية لابد من تركها، إنما هو فوز آخر أعظم وأجل، وأكبر وأكمل، إنه الفوز برضوان الله ورحمته، والجائزة جنات تجري من تحتها الأنهار، قال تعالى في بيان حقيقة الفوز: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر: ٢٠].

الفوز: هو التلذذ في نعيم الجنة، بأنهارها وأطيارها وحورها، وثمارها: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧].

عرضت الجنة في سوق المزيد، ففاز من اشتراها بالنفس والمال، وخسر من زهد فيها: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴾ [التوبة: ١١١]، المشتري هو الله والمشترى هي النفوس والأموال، والبائع هو المؤمن، والثمن هو الجنة: ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة: ١١١].

فاعمل لدار غدا رضوان خازنها ... الجار أحمد والرحمن بانيها

قصورها ذهب والمسك تربتها ... والزعفران حشيش نابت فيها

دلالها المصطفى والله بائعها ... والجبرائيل ينادي في نواحيها

الفوز: هو النجاة يوم القيامة، اليوم نعمل، اليوم نكسب، وغداً يكون الحساب:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فمن نجا من عذاب الله فهو الفائز، ومن حظي برحمة الله وجنته فهو الفائز، وأما من تردى في نار جهنم فهو الخاسر، من ضيع أيامه في الدنيا في اللهو واللعب، والكفر والعناد، فهو الخاسر، يوم الامتحان الأكبر يخسر نفسه وأهله، وذلك هو الخسران المبين: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزمر: ١٥-١٦].

عباد الله، لاشك أنه لا موازنة بين فوز الدنيا ونجاحها، ولا بين الخسران هنا وهناك، **عباد الله** إذا كان التوفيق والنجاح الدنيوي لا يأتي إلا بعمل دؤوب، وجد ونشاط، وإرهاق للبدن وكد للذهن فكيف بالفوز العظيم يوم القيامة، أينال بالكسل والنوم، أينال باللهو واللعب، لا والله، لكنه ينال بالعمل والمثابرة، والجد والمصابرة، لقد قص الله عز وجل علينا أعمال المفلحين الناجحين قال سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾[المؤمنون:١]، وذكر من صفاتهم الصلاة والزكاة، والإعراضَ عن اللغو، وحفظَ الفروج، والقيامَ بالأمانات والعهود.

عباد الله، الراغب في الفلاح والنجاح مطيع لربه منساق لحكمه: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور: ٥١]، العبد مع هذه الطاعة يخشى ربه، ويتقي مولاه، فلا يقدم على محرم، ولا يترك طاعة خوفاً من ربه وإجلالاً له

وطاعة لأمره: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[النور :٥٢]، هذا هو طريق الفوز، تقوى الله وخوفه وفعلُ الخيرات وتركُ المنكرات:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج : ٧٧]، وقال تعالى :﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى :١٤-١٥]، الراغب في الفلاح والنجاح آمر بالمعروف، ناه عن المنكر، قائم بما عليه من تبعات، داعٍ إلى الخير، دالٌّ على الفضيلة، محذرٌ من الرذيلة، لا يرضى المنكر، ولا يقع فيه، بل يحاول إزالته وتغييره، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، الراغب في الفلاح والفوز والنجاح باذلٌ ماله في سبيل الله لا يسترخص شيئاً في جنب الله، إن أنفق كان سخياً في الإنفاق وإن سخَّر ذاته في عمل خيري لم يدخر وسعاً في إنجاحه، حتى نفسه التي بين جنبيه يجود بها وتلك غاية الجود:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التوبة: ٢٠].

عباد الله، المتطلع إلى الفوز والرفعة رجـّاع إلى ربـه، سريع الفيئة إلى خالقه، إذا أذنب تـاب ونـدم، وإذا أخطأ ذكر الله وعاد ولم يصر على فعله، قـال تعـالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

وإذا اجتمعت أركانٌ ثلاثة رُجي الفلاح للإنسان: الإيمان والتوبة والعمل الصالح قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[القصص: ٦٧]، ومن أراد الفوز والرفعة، والنجاح والفلاح

فعليه بالصدق ففيه النجاة، وأعلى ذلك صدقه مع مولاه، إن على الإنسان مع ربه عهوداً عظيمة أن يوحده ولا يشرك به، وأن يعبده ويعظمه، فأين الصادقون الموفون بعهودهم، صدقٌ مع الله في تنفيذ أوامره دون إبطاء أو مماطلة، إذا سمع أحدهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ شنف لها أذنه، ووعاها قلبه ونفذها عملياً، أين الصدق مع الله في العبادات والمعاملات والأقوال والأفعال، لقد رتب الله سبحانه جنات تجري من تحتها الأنهار على ذلك الصدق، وأعلمنا بأن ذلك هو الفوز الحقيقي فقال سبحانه : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة: ١١٩].

عباد الله، هذه بعض أعمال المفلحين، وتلك بعض صفات الفائزين، فمن رام طريق النجاح فهو أمامه واضح بين، ومن عشق الجنات اتبع هدى الله وعمل وجد، ومن رضي بالدون فليس له إلا الدون :

على قدر أهل العـزم تـأتي العزائـم وتـأتي على قـدر الكـرام المكـارم

عباد الله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية:

أما بعد:

عباد الله، إذا كانت النجاة مطلباً عظيماً، والنجاحُ أمراً مرغوباً فإن الخسارة شيء يحزن النفس، ويقضُ المضجع عند القلوب الحية، وكلما عظمت قيمةُ الخسارة عظمت معها الحسرة والندامة، وأي خسارة بعد خسارة النعيم المقيم، والفضل العظيم، في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد بل هي خسارة تتبعها خسارة، فمن خسر الجنة ربح النارَ وبئس الربح، لكن هذا ما جنته يده ولا يظلم ربك أحداً، ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

عباد الله، الإيمان بالله وتوحيده والعملُ الصالح والتواصي على ذلك والصبرُ في ذات الله، ذلك هو المخرج من الخسران وهو الطريق البين للفوز والنجاة: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١-٣]، لذا كان الكفر بالله هو دلالة الخسران الكبير وطريقه الأوضح سواء أكان في صورة شرك أم ردة، انظر رعاك الله إلى هذه الصورة الواضحة للندم ومحاولة التصحيح، وترك طريق الخسران، والتمسك بطريق الإيمان والنجاح، ولكن هيهات فقد مضى وقت العمل: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [فاطر: ٣٩]، هذه هي الخسارة العظمى، هذا هو الضلال المبين، والضلال والخسران قرينان مرتبطان ارتباط المقدمة بالنتيجة، قال

تعالى : ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف :١٧٨]، فالكفر بالله، والإشراك به، والردةُ عن دينه هي أسس الخسارة وعلامة الضلال المبين، فكل دين غير الإسلام هو طريق من طرق الخسران، لذلك لا لقاء بين دين الإسلام وأي دين أرضي أو سماوي محرف، بل هيمنة وسيطرة لدين الإسلام قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، حكم الله بخسران كل من لم يكن على هذا الدين، وإن من الخسران انتكاس بعض المسلمين، ونكوصهم على أعقابهم، وربما ارتدادُهم عن دينهم بكلمات يقولونها، أو كتابات يسطرونها، وأحياناً بعبارات من دين القوم يرددونها، وأفكار يعتقدونها، وهو أمر في غاية الخطورة، لكن القلوب عنه لاهية، يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢١]، ويقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٩] .

ومن الخسران **ايها الفضلاء** حبوط الأعمال إما بشرك وهو أعظمها، وإما بعجب أو رياء قال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٩]، ويمكن أن يكون ذهابُ الأعمال بخيانة الخلوة بمحارم الله، قوم تذهب أعمالهم العظيمة التي هي أمثالُ الجبال يجعلها الله هباء منثوراً، بسبب تلك الخيانة، قال رسول الله ﷺ : «**لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً**، قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا جَلِّهم لنا، ألا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: **أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل**

كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها» السلسة الصحيحة [٥٠٥].

عباد الله، هذه علامة من علامات الخسران وأمارة من أماراته، فليكن لنا مع أنفسنا وقفةٌ ومحاسبة حتى نتدارك ما يمكن تداركه .

ومن الخسران ابتداع ما لم يأمر به الله ورسوله، والانحراف عن اتباع هديه سبحانه وتعالى وهدي رسوله ﷺ ، ولو اعجب الإنسان بعمله الذي فعله، ولو رآه حسناً قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلاً ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

عباد الله، قد يعجب الإنسان بعمل فيراه صواباً وهو ضلال مبين، وقد يعده حسناً وهو خسران عظيم، وربما كان كفراً وجحوداً، إن المقياس في ذلك هو شرع الله لا الهوى والنفس والعقل المجرد عن توجيه الشرع.

عباد الله، ومن علامات الخسران النكوص على العقب عند أول عقبة وفتنة قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج : ١١] .

ومن الخسران: عدم اليقين بلقاء الله، والركونُ إلى الدنيا، والرضا بها والتكذيب بالبعث والنشور، قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يونس: ٤٥]، ومن الخسران الانشغال بالأموال والأولاد عما أمر الله، حتى إن الإنسان لا يذكر الله إلا قليلاً، انشغال كامل وعكوف على الملذات، وغياب لعبادة الله، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

[المنافقون :٩]، ومن الخسران اتباع الشيطان والانسياقُ وراء أمره والانضواءُ تحت حزبه، قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة: ١٩]، وفي المقابل : ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فمن سار وراء أمر الشيطان واتخذه ولياً فقد ضل وخسر، وما أكثر هذا الخسران، فكل من فعل محرماً ورضي به، أو ترك واجباً عليه فقد أطاع الشيطان وتبع خطواتِه، فليخف كل منا على نفسه من الخسران المبين الذي قال عنه ربنا جل جلاله:﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء : ١١٩].

عباد الله، وهناك طوائف نفى الله عنها الفلاح وأثبت لها الخسران يجب على المؤمن الحذرُ من أعمالهم والبعدُ عن طريقهم، قال سبحانه عن الكفار: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٧] ، وعن الظالمين: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الأنعام: ٢١]، وعن المجرمين: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[يونس:١٧]، وعن السحرة : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه:٦٩] ، وعن الكاذبين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[يونس:٦٩] .

عباد الله، هذان طريقان، أحدهما نتيجته وغايته فلاح ونجاح والآخر غايته ونهايته، خسران ووبال، وحسرة وندامة، ويظهر كل ذلك عند فراق الدنيا، وأول ذلك ساعةُ الاحتضار، ثم في القبر، والأسئلة الثلاثة ثم يوم القيامة والسؤال الأعظم ماذا أجبتم المرسلين، ثم الوزنُ : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]، ثم في موقف الحساب وتطاير الصحف في تلك الساعة تأتي نتائج العمل وحصادُ الزرع بالفرح والسرور أو بالويل والثبور: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾

[الانشقاق: ٧-٩]، إنه السرور الذي لا يماثله سرور، سرور بالفوز الأكبر والنجاة من النار، إنه سـرور لا يوازيه سرور، إنه السرور بنعيم في حياة خالدة أبدية، فما سرور الدنيا بجانب ذلك السـرور، إنه لا يساوي شيئاً إنه سرور بعظم النعيم، وبحجم الفضل من العلي الكبير، لذلك يرفع الناجح كتابه على رؤوس الخـلائق مسروراً به مـعـلناً نجاحه وفلاحه: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحاقة :١٩-٢٤]، وأما الآخر فإنه يدعو بالويل والثبور، وعظائم الأمور، جاءت الساعة التي كان يخافها، وجاءت اللحظة التي كُشفت فيها المخازي، وظهر فيها التفريط : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الانشقاق:١٠- ١٥]، إنها الحسرة والندامة والحزن والبكاء، والخـزي والعار، فليس أمامه إلا غضب الجبار، ولهيب النار، أعاذنا الله وإيـاكم من ذلك المصير، إنه لا يفرح وهل يفرح الخاسر، ولا يرفع كتابه، وهل يفخر الذليل، بل يقول: ﴿ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحاقة : ٢٥-٣١]، أعاذنا الله وإياكم من ذلك المصير وجعلنا من الفائزين.

عباد الله ، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

واحفظوا أيمانكم[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فيقول الله عز وجل: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾ [المائدة: ٨٩] يأمر الله عز وجل عباده بحفظ اليمين، لم ؟ لأنها عهد وميثاق، إن اليمين **يا عباد الله** ليست مجرد كلمة تمر على اللسان، إن اليمين ليست ورقة يلعب الناس بها في مواطن البيع والخصومات، إن اليمين ليست سلعة ينفق منها عُبَّاد المال في مواطن شهادات الزور، إن اليمين ليست لافتة يُروج بها التاجر بضاعته، إن اليمين عهد مغلظ، وميثاق عظيم، يجب أن تصان، ويعرف مكانها، إن شأن اليمين عند الله لعظيم، وإن التساهل بها لجسيم، إن الحلف بالله، يجب أن يوقف عنده، وأن يحترم جانبه، وأن يصدق قائله، لأنه حلف بالله العظيم، يقول رسول الله ﷺ: «**من حَلَفَ بالله فليَصْدُقْ، ومن حُلِفَ له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله**» صحيح ابن ماجه.

ولهذا فيجب على المسلم أن يقدر هذه اليمين قدرها، ويحفظ لها هيبتها، ولا يلجأ إليها إلا عند الحاجة، لأن الله أمر بحفظها، ولأن كثرة الحلف ليست من صفات المتقين، بل هي من صفات المشركين، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ ﴾ [القلم: ١٠]، (**والحلاف**): هو كثير الحلف، وما ذاك إلا لأن كثرة الحلف فيها استخفاف بالمحلوف به، وهذه أيضاً هي صفة المنافقين حيث يقول الله عز وجل عنهم: ﴿ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝١٤ ﴾ [المجادلة: ١٤]، والتعبير

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٢٨/ ١/ ١٤١٧هـ).

بالمضارع (يحلفون) يدل على تجدد ذلك منهم مرة بعد مرة، وقال الله عز وجل عنهم ـ أيضاً ـ : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُمۡ جُنَّةً ﴾ [المنافقون:٢] ، أي جعلوها وقاية، يتقون بها ما يكرهون، ويخدعون بها المؤمنين.

إن تكرار اليمين بلا سبب يدل على الاستخفاف بالمحلوف به وعدم تعظيمه، وهذا يتنافى مع مقصود اليمين، لهذا أصبح الناس لا يثقون في أيمان بعضهم، لكثرة الحلف وكثرة الكذب فيه، أصبح الناس يغشون بعضهم ثم يلبسون ذلك ثوب اليمين لينفقوا بضائعهم، وليقضوا أعمالهم، وليخدع بعضهم بعضاً، وهذا بعض فعل المشركين والمنافقين، ومن قبلهم إبليس الذي أقسم لآدم وزوجه بأنه ناصح، قال تعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأعراف:٢١].

أيها الفضلاء، إن صور استغلال الناس للأيمان وتساهلهم بشأنها كثيرة نذكر منها :

أولاً : ترويج السلع والبضائع :

بعض التجار، اليمينُ على لسانه أكثر من أي كلام آخر، لا يبيع إلا بها، ويا ليتهم يصدقون في ذلك، بل أكثرهم يكذبون، وكل مرادهم هو بيع السلعة والربح السريع، فإلى كل من تعود لسانه الحلف لأجل إنفاق سلعة أنقل قول الرسول ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**» [رواه الطبراني بسند صحيح] .

فانظر **رعاك الله** كيف قرن صاحب هذه اليمين مع الشيخ الزاني، والفقير

المتكبر، وما ذاك إلا لبيان عظم الجرم الذي اغترف، والذنب الذي اقترف.

معاشر الفضلاء، لقد رأينا صوراً من ذلك ظاهرة في بيع السيارات خاصة، يأتي الرجل ليشتري فيسال عن السيارة، وهل من عيب فيها، فيحلف البائع أيماناً مغلظة أنه لا يعرف فيها عيباً، وهي ليست كذلك، أي غش هذا ؟ أي جراءة على رب العالمين هذه ؟.

والأمر ظاهر أيضاً في بعض مبايعات المكاتب العقارية فيما يخص الأراضي والعقارات، يحلفون للمشتري بأن سعر الأرض كذا وكذا، وأن مثلها بيع بهذا الثمن، وأنها سيمت بهذا السعر، كل ذلك ليقع المشتري ويربح المكتب وصاحب العقار، فإلى كل الباحثين عن الربح، اللاهثين وراء المال، إليهم نسوق قوله ﷺ: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب**» [رواه البخاري]، وقوله ﷺ: «**إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه يُنفِّق ثم يمحق**» [رواه مسلم].

ثانياً : الحلف من أجل كسب الخصومات :

إن بعض الناس لا يهمه إلا كسب القضية، سواء أكان على حق، أم على باطل، ويعد ذلك رجولة وشجاعة، لذلك فهو لا يتورع أبداً عن اليمين لو طلب منه، فتجده يطلقها دون مبالاة بحرمتها، ولا تقدير للمحلوف به، وكأنه لم يسمع ذلك الوعيد الشديد، والزجر والتهديد، الوارد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧٧].

فانظر **رعاك الله** إلى تلك النتيجة الخطيرة، من عدم حفظ اليمين، والله إن العاقل ليقف أمام هذه الآية متأملاً، ويعود إلى ربه تائباً منيباً، إن حيازة الدنيا كلها لا تساوي أن يقع المسلم في مثل هذا الوعيد الشديد، فهل هناك متعظ ؟ ولأجل

كثرة تساهل الناس باليمين أضحى كثير منهم لا يثق بيمين صاحبه مع عظمها وشدة حرمتها، جاء رجل من كندة يقال له امرؤ القيس فخاصم رجلاً من حضرموت إلى رسول الله ﷺ في أرض، فقضى على الحضرمي بالبينة فلم يكن له بينة فقضى على امرئ القيس باليمين، فقال الحضرمي أمكنته من اليمين يا رسول الله، ذهبت ورب الكعبة أرضي، فقال رسول الله ﷺ: « **من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال أحد لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان.** وتلا رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ الآية. [رواه الإمام أحمد والنسائي وأصله في الصحيحين].

وهناك فئة من الناس يظنون أن الحلف على بعض الأمور اليسيرة لا يضر، فنذكِّر هؤلاء بقوله ﷺ: «**من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**، فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: **وإن كان قضيباً من أراك**» [رواه البخاري].

وإلى الذين يتعمدون الحلف وهم كاذبون، هذا الوعيد الشديد من نبي الأمة حيث يقول: « **الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس** » رواه البخاري، وفي رواية له أن أعرابياً سأل عن الكبائر، فقال رسول الله ﷺ: «**الإشراك بالله**، قال ثم ماذا؟ قال: **اليمين الغموس**، قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: **الذي يقتطع مال امرئ مسلم**»، وقال ﷺ: «**من حلف على يمين مصبورة ـ متعمداً ـ فليتبوأ بوجهه مقعده من النار**» [رواه أبو داود وأحمد والحاكم وقال على شرط الشيخين].

ثالثاً: الحلف على الامتناع عن فعل الخير:

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ

وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النور:٢٢] ، أي لا تحلفوا ألا تصلوا قراباتكم وتتصدقوا على المحتاجين، فإن حصل هذا من إنسان بأن حلف على ألا يزور أقرباءه، أو أن يمتنع عن تقديم عطية كانت لهم، أو على أن يترك أي فعل خير، فعليه أن يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير، قال رسول الله ﷺ: «**إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني**» [رواه البخاري ومسلم]، وقال رسول الله ﷺ : «**من حلف يميناً على قطيعة رحم أو معصية فحنث، فذلك كفارة له**» [ذكره الألباني في صحيحه] .

وإذا حلف على ترك مباح كلبس ثوب أو ركوب دابة أو أكل طعام، فإنه يُخَيَّر بين الاستمرار على يمينه وترك المحلوف عليه، أو استعماله والتكفير عن يمينه، قال تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ [التحريم: ٢] ، أي شرع تحليلها بالكفارة وهو ما ذكره في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ [المائدة:٨٩] ، فمن لزمته كفارة اليمين فهو مخير بين الإطعام، والكسوة والعتق فإن عجز عن ذلك لزمه صيام ثلاثة أيام متتابعة .

عباد الله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فهناك أيمان محرمة، يجمعها الحلف بغير الله، وهو شرك لقوله ﷺ : «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** » [رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم].

وقال ﷺ: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**» متفق عليه، وقال ﷺ: «**من حلف بالأمانة فليس منا** » [حديث صحيح رواه أبو داود].

وإنما كان الحلف بغير الله شركاً لأن الحلف بالشيء تعظيم له، والتعظيم الذي من هذا النوع حق الله، فالحلف بغيره من اتخاذ الأنداد له، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة ٢٢] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : « هو أن تقول وحياتك وحياتي » ، وقد كثر هذا وأمثاله في زماننا، فتجد من يحلف بالشرف، أو يحلف بالنبي أو بالأمانة، وكل هذا مما نهى عنه الله ورسوله، فيجب على من صدر منه هذا أن يتوب إلى الله، ولا يحلف إلا بالله عز وجل ليسلم من الشرك، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه وغيره : « لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقاً » .

ومن صور الحلف المحرم أيضاً : الحلف بالآباء، قال عليه الصلاة والسلام : «**لا تحلفوا بآبائكم فمن حلف بالله فليصدق ...**» [صححه ابن ماجه].

ومنه الحلف بالكعبة : جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال : « أحلف بالكعبة؟ قال : لا، ولكن احلف برب الكعبة، فإن عمر كان يحلف بأبيه، فقال رسول الله لا تحلف بأبيك، فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك » [ذكره الألباني في الصحيحة] .

وعلى هذا فلا يحلف الإنسان بالكعبة، و لا بالأمانة، ولا بالشرف،

ولا بالعون، ولا ببركة فلان، ولا بحياة فلان، ولا بحياة النبي، ولا بجاه الولي، ولا يحلف بالآباء والأمهات، ولا برأس فلان، فمن وقع في شيء من ذلك فكفارته أن يقول [لا إله إلا الله]، قال ﷺ : «**من حلف فقال في يمينه واللات والعزى، فليقل لا إله إلا الله**» [متفق عليه] .

ومما لا يؤاخذ به العبد لغو اليمين كقوله: لا والله، أو بلى والله بأن تجري على لسانه دون قصد، لكن الأيمان المنعقدة هي التي يقصدها الإنسان بقلبه، ويعول عليها بالفعل أو الترك، قال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾[المائدة:٨٩].

ومما لا يحنث فيه الإنسان أيضاً اليمين المستثناة قال ﷺ : «**من حلف واستثنى فلن يحنث**» [صحيح ابن ماجه] . أي قال مثلاً (والله إن شاء الله)، وقال ﷺ : «**من حلف واستثنى إن شاء رجع، وإن شاء ترك غير حانث** » [صحيح ابن ماجه] .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

حامل المسك ونافخ الكير[١]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩] ، إنها صورة من صور الندم يوم القيامة، صورة حية نابضة، تظهر فيها الحسرات والندامات، على أيام مضت، وأعوام خلت، إنها الحسرات على الذكر الذي انحرف عنه، الحسرات على هدى الرسول ﷺ الذي تركه وهجره ، الندامة على مصادقة صاحب السوء وطاعته ،والمضي على دربه وطريقته .

إنها صورة لكل من أطاع خليله في عروضه المغرية، لكل من انحدر مع رفقائه إلى أوحال المعصية، لكل من فضل طريقة صاحبه ونهج حياته على حكم الله وطاعته، لقد نصحه الناصحون، ووعظه الواعظون، لكن أصحاب الشر كانوا أقوى وأكثر إغواء فانجر معهم، وأنسوه الآخرة فنسيها، وألهوه بالدنيا فالتهى بها، فلما انقضت الحياة، وذهبت بكل لذائذها كأنها إغفاءة الوسنان انتبه للحقيقة في يوم الحقائق، وانكشف الغطاء وظهر الصبح لذي عينين، عندها عاين حجم الخسارة، وفداحة المصيبة، فتراكم عليه الندم، حتى دفعه لأن يعض يديه،

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٤/ ٨/ ١٤٢٠)هـ.

إن النادم مهما بلغ ندمه لا يعض إلا أصبعاً واحدة، لكنه اليوم ندم خاص عظيم، لا يصوره إلا أن يعض أصابع يديه كلَّها، إظهاراً لما في القلب من الآهات والندامات، على ما سلف وفات: صلوات مضيعة، حرمات منتهكة، أوقات مقتولة، أرحام مقطوعة، عبادة منسية، حياة كلها عبث وضياع، ضحكات وقهقهة، تندر وسخرية، وانتكاس عن الطريق وعربدة، وأحياناً خروج عن الملة وردة.

هذا «عُقبة» يدعو النبي ﷺ إلى طعامه، فيأبى عليه الصلاة والسلام حتى يُسْلِم، فأسلم عقبة حمية فيأتيه أُبيّ بن خلف، فما زال بصاحبه يلومه على إسلامه حتى عاد، وقال أُبي لا أقبل منك حتى تأتي محمداً وتبصق في وجهه، ففعل الشقي «عقبة» ما طُلب منه، فأهدر النبي دمه وقتل في بدر، فنـزل قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفرقان ٢٧]، إنه الشقاء والعناء، إنه الخذلان والحسرات، هداية الله بين يديه، وذكره أمامه، ورسوله يحدثه، لكنه أطاع الصاحب، وفضل الغواية على الهداية، فكان عاقبة أمره خسراً.

هذه صورة من نهايات صداقات الدنيا التي لم تؤسس على التقوى من أول يوم، نؤمن بها، لأنها حق لا بد أن يقع، وواقع لا بد أن يوجد، وحتى لا يُظن أن الحادثة خاصة، جاءت كلمة «فلاناً» هكذا بالإبهام دون ذكر للأسماء، ليشمل كل صحبة وكل خلة صدت عن ذكر الله، وحتى لو ثبت سبب النـزول، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فيا مؤمن، هل أعدت النظر في صداقاتك وأهل مجلسك وخلانك؟، أهم ممن يدعوك ويحدوك إلى طريق الله، أم هم ممن يصدك عن ذكر الله وعن الصلاة؟.

أيها الكرام، نحن أمام قضية جوهرية في حياتنا، فنحن لا نستغني عن الصاحب، والإنسان لا يعيش بمعزل عن الناس، فهل له أن يصاحب كل أحد، ويخالل من يلقاه، كلا لأن خطر الصداقة بعيد وأثره كبير، أوله في الدنيا ونهايته في الآخرة، لأن أعظم تأثير للصديق في صديقه هو في دينه كما قال ﷺ: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**».

معاشر الشباب، إننا نعلم قدر الصحبة في حياتكم، ونشعر بتأثيرها في مسيرتكم، فلا تغتر **أيها العزيز** بكلمات معسولة من ثلة ضائعة، لأخلاقها بائعة، لا تعجبْك جلساتهم وضحكاتهم، لا يغررْك مدحهم لك، وثناؤهم عليك، يقولون: نحن أصحاب الروح، نحن معك في الشدة والضيق، وما ذاك إلا وهم خادع، وسحابة صيف، دينك أهم، وأخلاقك أعظم، كن عاقلاً لبيباً، حازماً أريباً، ليست المصالح في الدنيا فحسب، فمصالح الآخرة أعظم وأهم، حكّم دينك لا نزوتك، حكم عقلك لا شهوتك.

يا أيها الشاب، أيها المسلم، لا تقل هي أيام أنس نقضيها مع الزملاء في لعب الورقة والمشاهدة، والسفر والمسامرة، واللقاء والمنادمة، نعم إنها ساعات، لكنها من عمرك الذي عنه تسأل، وأيامك التي عليها تحاسب، تأمل هذه الكلمة الرائعة، قيل لأحد السلف: «ما رأيك في الرجل يقول الشعر؟ قال: هو عمرك فأفنه بما شئت»، فإن كان أصحابك ممن يقول المنكر أو يعيشه، أو يدعوه إليه أو يزينه، فانتشل نفسك قبل أن تضيع في الدنيا، ويوم القيامة تعض اليدين.

أخي الحبيب، مرت أيامك، وانقضت أعوامك، ولا شك أنك قد رأيت أصحاب السوء كيف يعيشون،إنهم يعيشون حياة البؤس والشقاء، والهم والعناء، يا من انحدر في واديهم، وانساق مع أوهامهم، أما سمعت السب والشتم،

واللعان والخنا، أما رأيت حياة الضياع: أكوام سجائر، وخبائث ومناظر، كلمات نابية وعبارات خادشة، حياء مسفوك، وعفة مذبوحة، أيام سوداء وليال حمراء، يستمطرون غضب الله، ويهزؤون بدينه، ويهارون في المنكر، نسوا الله فنسيهم، ماذا تنتظر، وأي خير ترجو، متى تفكر، متى تقرر؟، أنت تسير بهم ومعهم، فإن هلكوا هلكت معهم، كتب الأوزاعي إلى أخ له: «أما بعد، فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك كل يوم وليلة، فاحذر الله والمقام بين يديه».

أخي الحبيب، لا تقل أصحابي ليسوا على ما ذكرت، فهم لم يقعوا في منكر وعربدة، ولا فاحشة منكرة، لكنهم قد يفرطون وللهو قد يفعلون، يا هذا، اعلم أن رفقاء السوء هم كل من صد عن طاعة الله، أو زين معصية، أو ألهى عن ذكر الله، رفقاء السوء خطر داهم، وشر دائم، هم وإن ضحكوا لك ضحكوا عليك، وإن نَمُّو لك نَمُّو عليك، إن كنت معهم فأنت المبجل الممدوح، وإن غبت جعلوا عرضك فاكهة لمجلسهم، هم بشكلك يتندرون، ومن قولك يضحكون، أصحاب السوء لقاؤهم تلاعن، وحديثهم فجور، وتسامرهم تنابز، وفي الآخرة لوم ومؤاخذة، يوم يظهر ما في السرائر، ويعرف ما في الضمائر، ويبين الصديق من العدو، قال تعالى في بيان حال من تنكب طريق الله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات:٢٤ـ ٣٥]، وإذا كانوا يتلاعنون في الدنيا أحياناً، ويكثر

شقاقهم، فإن الصورة ذاتها تتكرر يوم القيامة، عند ما يعلم من أضاع حقوق الله، أن صاحبه قد دله على طريق الضياع قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٨] .

وقال سبحانه في محاورة بين من صدوا عن دين الله وأتباعهم: ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ ﴾ [ص: ٥٩-٦١] ، ثم هم يسألون عن الأخيار، الصالحين الأبرار، ما شأنهم ، ما منزلتهم ،يسألون عن الذين كانوا يصلون ويصومون، يتقون الجبار ويحفظون حقوق الجار، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يسألون عنهم بعد أن هزأوا بهم في الدنيا يسألون عن حالهم ﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [ص: ٦٢-٦٤]، رفقاء السوء **يا مؤمن**، إذا انقطعت بينك وبينهم أواصر المحبة الخادعة، ناصبوك العداء، يذكرون عنك كل سيئة، وينشرون كل فضيحة، وينسون كل إحسان، وما هذه والله بصحبة، ولا خير في هذه الخلة .

ولا خير في خلٍ يخون خليله ... ويلقاه من بعد المودة بالجفا

وينكر عيشاً قد تقادم عهده ... ويظهر سراً كان بالأمس في خفا

يقول أبو حاتم: «العاقل لا يصاحب الأشرار، لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار، تعقبها الضغائن، لا يستقيم وده، ولا يفي بعهده»، أما رفقاء

الخير، وصحبة الإيمان فهم يذكرون المعروف، ويحفظون الغيبة، يحجبهم عن نشر سرك ، أو الحديث في عرضك مخافة الله .

وترى الكريم إذا تقادم وصله يخفي القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تقضى وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا

أخي الكريم، رفقاء السوء لا تسمع منهم إلا سوءاً، ولا يهدونك إلا إلى ضلال ، فمثلهم كنافخ الكير في قوله ﷺ: **«إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»** متفق عليه .

تصوير نبوي رائع، وواقع حاصل ماله من دافع، فلم نُصِرّ على تلك البيئة الموبوءة، والضرر المحقق، رفقاء السوء؟ يُؤخذ الإنسان بجريرتهم، فيساء به الظن، وتتلوث سمعته، ولو لم يعمل عملهم .

أنت في الناس تقاس بالذي اخترت خليلاً
فاصحب الأخيار تعلو وتنل ذكراً جميلاً

وإن لحقتهم عقوبة فربما لحقتك معهم قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال:٢٥] ، وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ:«أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **نعم إذا عمَّ الخبث»** .

رفقاء المنكر، يزينون لك المنكر، ويسهلون لك الجريمة حتى تقع فيها ثم يتخلون عنك، شباب أغرار، ساروا مع رفقاء أشرار، فأغروهم حتى تلوثوا

بالعار، لا تقل هم لا يؤثرون فيّ ، فإن الدراسات تثبت أن السبب الأول في وقوع الأحداث في الجريمة هم رفقاء السوء، وهم السبب الأول في الوقوع في شِراك المخدرات والمسكرات والمنكرات .

شاب كان مفتاح المسجد معه، انتقل من مدينته للدراسة، فاحتوته مجموعة شريرة، مازالوا يسايرونه في حذر، ويجلس معهم دون ممارسة للمنكر، وشيئاً فشيئاً بدأ نور الإيمان يخبو ويصغر، وحظ الشيطان ينمو ويكبر ، حتى تكاسل عن الصلاة ثم تركها، وفي يوم من الأيام وجد نفسه مدخناً، ثم للمخدرات مدمناً، وبقي على حاله تلك أكثر من أربعة عشر عاماً، رأى فيها من الذل والهوان ما لا يوصف، ثم تاب الله عليه، وإنه ليناشد الشباب بأن يحذروا من رفقاء السوء، فإنهم الداء الخطير والوباء الكبير، وقد سمعته بنفسي يقول لهم: كنت عزيزاً يوم كنت أضع جبهتي على الأرض وأسجد لخالقي، ولما انحرفت لحقني الذل، حتى إنني يوماً أخذت جرعة هروين في دورة المياه، فلما أفقت وجدت فمي في فتحة المرحاض ـ أكرمكم الله ـ، فأين هذا من عز الطاعة، وسمو العبادة؟، رفقاء السوء لا يرضون بك بينهم خيِّراً صالحاً، بل لا بد أن تسايرهم وتسامرهم، وربما خططوا لإغوائك، حتى تكون طوع أمرهم، ورهن إشارتهم، ربما يصبّر الشاب نفسه وهو مع قرنائه، لا يحب أن يفارقهم، ولا يقدر أن يتركهم، كما يزعم كثيرون، وهو بهذا يدرب نفسه على المعصية، وسوف يألفها سماعاً ونظراً، ومشاهدة وموافقة، ومن أراد الخير فلا بد من هجر العضو الفاسد والابتعاد عنه، فإن فاسد الفاكهة سريع التأثير في صالحها، والجرب يعدي، يقول أبو حامد الغزالي: «الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع، من حيث لا يدري صاحبه».

لا تقل هم لا يؤذونني، فإن الصاحب ساحب، وإن الطيب إذا جاور الخبيث خبث، فالماء يأسن من الجيف تحيط به، والنفس تعاف طيب الطعام إذا حام عليه الذباب .

إذا وقـع الذبـاب عـلى طعـام رفعـت يدي ونفسـي تشتهيـه

وتجتنـب الأسـود ورود مـاء إذا كـان الكـلاب ولغـن فيـه

رفقاء السوء ينقلونك من كارثة إلى كارثة ، يبعدونك عن الخير ويقربونك من الشر .

يا مؤمن، رأس مالك دينك وأخلاقك، فلا تسلم قيادك لقرناء السوء، يتيهون بك في كل واد، جلوسك معهم يجلب لك في الدنيا التعاسة والهموم، والخصومة والغموم، ويوم القيامة عداوة وتلاوم ، وفرقة وتخاصم قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧] ، إذا كان هذا شأن الأخلاء، والخلة أعظم درجات في المحبة فكيف بغيرهم؟، ولا تنس الحسرات على جلسات ووتر، وضحكات وسمر، قال ﷺ : «**أيما قوم قاموا من مجلس لم يذكر الله فيه ، كان عليهم من الله ترة**» . أي حسرة وندامة، وأي ذكر الله في مجالس قرناء السوء، أي خير فيه ؟.

يا مؤمن، لا تنس أن أصحاب السوء ما زالوا بـ (أبي طالب) حتى جعلوه يموت على الكفر، يقولون: أتترك دينك ودين آبائك؟، ورسول الله ﷺ قائم على رأسه، يقول: يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، سبحان الله يدعونه إلى النار ورسول الله يدعوه إلى الجنة، هذا شأن كل فريق، فما وقع شاب في جريمة إلا ولأصحاب السوء اليد الطولى في ذلك، ولا سلك السبل المعوجة إلا

والأصحاب والقرناء وراءه، ولا هجر الطاعة إلا وهم خلفه، كم صدوا عن الطاعة ، كم سخروا واستهزأوا، كم تندروا وضحكوا، أحياناً بخلق الله وأحياناً بشرعه، فاحذر منهم فإن الله سبحانه قال: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٨] .

هذه بعض أخبار أصحاب السوء، وهي كفيلة بأن يحذرهم كل عاقل، ويبتعد عنهم كل راشد، وقد يكون بعض أصحابك مثلما ذكرنا أو دونه أو فوقه، وأنت حسيب نفسك، واعلم أن محبتك لهم قد تجرك إلى مهلكات في الدنيا والآخرة، فقد قال ﷺ : «المرء مع من أحب» فخلص هذه المحبة من قلبك، ولا تقل لا أستطيع، فما هي إلا خديعة شيطانية، فكما ألفتهم تألف غيرهم، ففي الناس أبدال وفي الترك راحة، ولو هجرتهم لنسيتهم ونسوك، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ففكر جيداً في نوع صداقاتك، وانظر أهم دعاة إلى النار، أم دعاة إلى الجنة؟ وأنت حسيب نفسك والله يحفظك ويرعاك، نسأل الله أن ينير قلوبنا، ويبصرنا بأحوالنا، وأن يكفينا شر الأشرار .

عباد الله، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فقد تقول **أيها الفاضل**، أصحابي على ما ذكرت، أو فيهم بعض ما قدمت فماذا أفعل؟ الحل بيديك، وأنت صاحب القرار، والحق أبلج والباطل لجلج، والقضية خطيرة، فلا مساومة فيها، فعليك بما يأتي إن أردت الخلاص:

أولاً : قيم صداقاتك بتجرد وعقلانية، وارمقهم بعين العدل، فإن كانوا من رفقاء السوء، ودعاة الباطل، وتاركي الطاعات، ومسولي المعاصي فاهجرهم ولا تبالي.

ثانياً: اقطع جميع أنواع الوصل معهم، ولا تقل أوقات دون أوقات، فإن الإنسان يعود لما يألف، فابتعد عنهم، وانتقل من حيهم، فإن هذا من طرق الخلاص من شرهم، وقد أمر العالم قاتل المائة نفس، بعدما تلطخت يده بالدم، أمره أن يتحول عن أرضه إلى أرض أخرى، وقال: إنها أرض سوء، اذهب إلى أرض كذا وكذا، فإنها أرض يعبد فيها الله .

ثالثاً: اصبر على الضغوط التي تواجهك، فقد تجد من أصحابك القدامى عروضاً مغرية، وأحياناً ضغوطاً وتهديدات صريحة، فاثبت واعلم أن الله معك، لأنهم لن يدلوك إلا على مزيد من المزالق والمصائب، هذه (عَنَاق) بغي بمكة كانت خليلة لمرثد الغنوي ﵁ قبل إسلامه، رأته في مكة وكان يحمل أسرى المسلمين، فابدرته وعرضت عليه ما كان من قبل، وذكّرته الصداقة والخلة ، فقال لها: إن الله حرم الزنا، فصاحت وجمعت عليه الناس، فلم يبال بها، ومضى في

طريقه فعصمه الله من شرهم، فلما وصل المدينة قال يا رسول الله: أأنكح عناقاً؟ فأنزل الله: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣].

رابعاً: ابحث عن صالحين أخيار، طيبين أبرار، إذا جلست معهم سمعت خيراً، وإن مشيت معهم رأيت خيراً، ينتقون أطايب الكلام، كما ينتقى أطايب الطعام، إن أخطأت نصحوك، وإن نسيت ذكروك، وإن احتجت أعطوك ، يقول عمر بن الخطاب ﷺ: «عليك بإخوان الصدق، تعش في أكنافهم، هم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء، ولا تصحب الفاجر، فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، واستشر في أمرك الذين يخافون الله » .

أيها الفاضل، ما بالك تزهد في هذه الصحبة الخيرة، ومجرد الجلوس معهم يجلو صدأ القلب، وبسببهم يشملك الخير، جاء في الحديث: «**تقول الملائكة : يارب فيهم فلان ما جاء إلا لحاجة فيقول سبحانه : وله قد غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»، لقد خلد الله ذكر (الكلب) لأنه صاحب أخياراً، فقال سبحانه: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ ﴾ [الكهف: ١٨] ، أصحاب الإيمان والصدق، يحزن أحدهم لحزنك، ويهتم لأمرك، ويدعو لك، وينصح لك، يقلقه شأنك وكأنك نفسه التي بين جنبيه، لأنه يؤمن بقول النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**»، وقوله ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله أنفعهم لصاحبه**»، يقول محمد بن يوسف الأصهباني: «وأين مثل الأخ الصالح، أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك، مهتم مما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في

ظلمات الليل، وأنت تحت أطباق الثرى ».

ولقد نظرت فلم أجد يُهدى لكم غير الدعاء المستجاب الصالح

وأيقن **يا مؤمن**، أن هذا هو طريق الخلاص، لأنه الطريق الذي اختاره الله لنبيه، بل وأمره به: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨]، يقول مالك بن دينار: «إنك إن تنقل الحجارة مع الأبرار، خير من أن تأكل الخبيص (الحلوى) مع الفجار».

فكن للصالحين أخاً وخلاً وكن في هذه الدنيا غريبا

وكن عن كل فاحشة جباناً وكن في الخير مقداماً نجيبا

خامساً: لا تكثر من الصداقات حتى لا يتشتت همك، ويضيع وقتك، فإن كثرة المخالطة داء، وقد قال سفيان الثوري: «كثرة أصدقاء المرء من سخافة عقله»، لأن للأخوة تبعات، فهي ليست جلسات ومنادمات فحسب.

سادساً: لا تكثر المخالطة، بل لا بد أن تكون بقدر، فإن الإخوان ثلاثة: أحدهم مثل الغذاء لا يستغنى عنه، وآخر كالدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت، وثالث كالداء فاحذره وابتعد عنه.

وعليك بكثرة قراءة سير السابقين من الصحابة والتابعين، والعلماء والمصلحين، والعبّاد والمتنسكين، وقد قيل لابن المبارك: ألا تجلس معنا؟، قال: إني أجلس مع الصحابة، أي أقرأ سيرتهم وأخبارهم.

سابعاً: تذكر ما أعد الله للصحبة الخيرة من سعادة في الدنيا، وحياة طيبة في الآخرة، يستظلون في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله « **ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»، ويقول سبحانه في الحديث القدسي: «**أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لاظل إلا ظلي**» صحيح الجامع.

وفي الجنة يقول الله سبحانه: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر: ٤٦-٤٧]، يتقابلون هنا ويتسامرون، لأنهم رعوا حقوق الله في جلساتهم في الدنيا، يجلسون على كثبان المسك، ومنابر النور يوم القيامة، لأنهم اختاروا أحسن الكلام، وأحسن العمل، فتناصحوا وتعاونوا، وتواصوا وتكاتفوا، وشدوا أزر بعضهم، مهما ادلهمت عليهم الخطوب، فهم بفضل يرمقون السماء، ويتوقون للرفعة والسناء، يقول أحدهم لصاحبه يصبره ويذكره في كربته:

أخي أنت حـــر وراء الســـدود ... أخـي أنت حـــر بتـــلك القيـــود

أخي ســتبيد جيـــوش الظـــلام ... ويشرق في الكـــون فجر جديـــد

أخي إن ذرفـــت عليّ الدمـــوع ... وبلـــلت قبـــري بها في خشـــوع

فأوقد لهم من رفـــاتي الشمـــوع ... وسيـــروا بها نحـو مجـــد تليـــد

أخي إن نَمُـــتْ نلـــق أحبابنـــا ... فروضـــات ربي أعـــدت لنـــا

وأطيارهـــا رفرفـــت حولنـــا ... فطوبـــى لنـــا في ديـار الخـــلود

نسأل أن الله أن نكون من أهلها.

هذه إشراقات المحبة، وأطياف الخلة، وتلك بعض خصال أهل التقى، وشيْء من صفات أهل الشقا ، وتذكر **يا عبد الله** أن المرء على دين خليله، وأنه يحشر مع من أحب ، اللهم أصلحنا وأصلح بنا، ووفقنا لكل خير وجنبنا كل شر.

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب:٥٦].

الصبر ضياء[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فإذا استحكمت الأزمات، وانعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال ليلها، برز خُلُق العظماء، الأبطال الأشداء ألا وهو (الصبر) ليضيء الدرب، ويزيل حلكة الليل، ولا عجب فقد قال ﷺ: «**والصبر ضياء**» [رواه مسلم].

معاشر الفضلاء كم نحن بحاجة إلى تمثل هذا الخلق في هذه الحياة المتقلبة، كم نحن بحاجة إلى ذلك النور الهادي، العاصم بإذن الله من الزيغ والزلل، يوم تتوالى الأزمات، وتتكاثر العقبات.

الابتلاء لابد أن يكون، فما عدة المواجهة، إنها الصبر، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١]، إن امتحان الحياة ليس كلاماً يُكتب، ولا أقوالاً تُوجّه، إن الحياة كلها ابتلاءات ومحن، إنها دار التكليف والعمل، فما أعظم عدة الصبر فيها؛ لذا تردد ذكر الصبر في القرآن فيما يربو على مائة موضع، تأكيداً على أهميته وتقديراً لمنزلته ومكانته، لقد أمر الله به، وجعله من أظهر أخلاق الرسل الكرام صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين، فقال سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، رفع الله مكانته حتى صار أهله مبشرين بكل خير، ﴿ وَبَشِّرِ

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (١٣/ ٢/ ١٤٢٣هـ).

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥﴾ [البقرة : ١٥٥]، جعله سبحانه من أسباب محبته، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦﴾ [آل عمران : ١٤٦]، جعله سبحانه طريق الفلاح ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران:٢٠٠]، جعله سبحانه من أعظم أسباب النصر ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝١٢٠﴾ [آل عمران: ١٢٠] ، كما أنه من أسباب السؤدد والإمامة ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة: ٢٤] ، ومن أسباب معية الله ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ [الأنفال:٤٦]، هذه بعض فضائل الصبر في الدنيا، وأنعم بها والله من فضائل، نصر وقوة، وفلاح ونجاح، وسؤدد ومكانة، وخيرات ومبشرات، أما في يوم القيامة، فأكرم بها من منازل إنها جنان النعيم ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝١١١﴾ [المؤمنون:١١١]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥﴾ [الفرقان: ٧٥]، ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ [الإنسان:١٢]، ذلك هو الصبر، الذي يواجه به المؤمن شدائد الزمن، والابتلاءات والمحن، يصمد به بإذن الله أمام تقلبات الدهر ، وتكاليف الحياة .

يا عبد الله، المؤمن لا بد أن يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر، وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، بقلب صامد لا تعلق به ريبة، ولا يتطرق إليه شك، وبعقل لا تطيش به كربة ولا تسلبه توازنه محنة وفتنة .

المؤمن مهما ادلهمت به الخطوب، وتوالت عليه الكروب، يبقى قويا جلداً،

صابراً محتسباً؛ لأنه في معية العظيم الخالق ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، **يا أخا الإسلام** قد ترى من تسلط الأعداء وذل الأتقياء، ما يُسيل دمعتك، ويؤرق رقدتك، فحذار أن يتسلل إلى قلبك اليأس والملل، واحذر من فقدان الأمل، وعليك بصفة العظماء، وخلة الشرفاء، وأصحاب النظر البعيد، خلة الصبر والتجلد.

فاصبر **يا مؤمن**، وابن في سبيل نصر الأمة ولو لبنة واحدة، واخط ولو خطوة واحدة، المهم ألا تتوقف، واثبت على ما أنت عليه وستنل ما تريد ولو بعد حين:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبـــواب أن يلجـــا

يا مؤمن، ستتعرض في هذه الحياة لألوان من المكاره في نفسك ومالك وولدك، فعليك بعدة الصبر فإنها الصخرة التي تتحطم عليها كل الصعوبات، وتزول بها كل المعوقات بإذن الله.

يا أخيَّ، الصبر من عناصر الرجولة الناضجة، وأثقال الحياة لا يطيقها المهازيل، والمتاع الثقيل لا يُستأجر لحمله أطفال ولا مرضى، إنما ينتقى له ذوو الكواهل الصلبة، والمناكب الشداد، لذا كان أعظم الناس منزلة هم الأنبياء، وهم كذلك أشد الناس بلاء واختباراً، سئل ﷺ: «أي الناس أشد بلاء ؟ قال: **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على قدر دينه**» [صحيح سنن ابن ماجة (الألباني) (٣٢٤٩)].

لا تضجر **يا مؤمن**، إذا قلب لك الدهر ظهر المجن، وإذا نزلت بساحتك المحن، فاختلاف أنصبة الناس من الجهد والتبعة والهموم، تعود كما رأيت إلى قدر طاقاتهم وعظم هممهم ومراداتهم، وتذكر أن خفة الحمل وفراغ اليد، وقلة المبالاة

صفات قد يظفر الأطفال منها بقدر كبير، لكن مراتب العلو، وهموم الواجب، ومرارة الكفاح، واستدامة السعي، وتحقيق الآمال، ومواجهة الأهوال، هي أخلاق الصامدين المكافحين، البنائين الباذلين ليس غير.

إن الرجل القابع في داره لا يصيبه غبار الطريق، والجندي الهارب قد لا يشوكه سلاح، ولا يروعه خوف، أما من خاض الحياة وسعى إلى هدفه، فستناله الجراح، ويدركه النصب، ويصيبه الألم، لكنه سينال مبتغاه، ويصل إلى مناه، إنه الصبر خير زاد لتحمل الآلام، وتحقيق الآمال، قال ﷺ كما عند البخاري: «**وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**»، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «وجدنا خير عيشنا الصبر».

يا مؤمن، حياتك كلها ابتلاء وامتحان، واختبار وفتنة، ولن ينجو وينجح، ويصل إلى مراده ويفلح، إلا من صبر وتجلد.

تأمل في هذا الحديث العظيم الذي حدد سر الخيرية العامة في حياة المؤمن، وجعل مدارها الشكر والصبر، قال ﷺ كما في صحيح مسلم: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**».

إنه حديث عظيم شامل للحياة بمسارِّها ومضارِّها، ولو تأملنا أحوالنا لوجدنا أننا بحاجة إلى هذا الخلق الجليل في كل أحوالنا، وألوان معاشاتنا في مخالطتنا للناس، ومعايشتنا لبعضنا، فأنت **يا مؤمن** لا بد أن تجد من يؤذيك بتصرف أو كلمة، ومن ينغص عليك بكذب أو بهتان، وما أكثر ما تضيق صدور الخلق من بعضهم بعضا، وتأمل وأنت تستشعر ذلك، قوله ﷺ كما في صحيح سنن

ابن ماجة (الألباني) [٣٢٥٧]: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»، وجاء في صحيح الجامع [٣٠٧٤]: «**إن من الثلاثة الذين يحبهم الله، الرجل يكون له الجار يؤذيه جواره ، فيصبر على أذاه ، حتى يفرق بينهما موت أو ظَعَن ...**» ، ولكن أين هذا من أوضاعنا ، وقلة تحملنا لأخطاء بعضنا؟ فإلى الله المشتكى .

يا مؤمن، انظر إلى عظمة العظيم سبحانه، وإلى رحمته كيف تتجلى في قوله ﷺ كما عند مسلم: «**ما أحد أصبر على أذى يسمعه، من الله تعالى ، إنهم يجعلون له نداً، ويجعلون له ولداً، وهو مع ذلك يرزقهم، ويعافيهم، ويعطيهم**» .

يا مؤمن قد تتعرض في خضم الحياة إلى مَنْ يؤذيك بكلام جارح، يتهم فيه عرضك، أو أمانتك أو دينك، فهلا صبرت وتحملت وتجاوزت، هذا رسول الهدى ﷺ يَقْسِم قَسْماً بين الناس فيقوم رجل ويقول: «**هذه قسمة ما أريد بها وجه الله**»، يالها من كلمة ما أكبر جرمها، وما أخطر أمرها، فقال ﷺ في حلم وتحمل وتربية وتوجيه: «**رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر** » [رواه البخاري] .

نحن **يا عباد الله** محتاجون إلى الصبر في تلقي أقدار الله المؤلمة، فقد يُبتلى بعضنا بمرض ، فيزداد ويقوى ، فيبحث الإنسان عن العلاج وقد يتأخر الشفاء، عندها تكثر الشكوى، ويظهر الجزع بل قد يسلك بعضنا سبلاً ملتوية، ويستعين بسحرة ومشعوذين، فنقول لهؤلاء وأين الصبر؟ .

تأملوا **يا عباد الله** في هذه الحادثة واجعلوها مثالاً حياً، ونبراساً هادياً، جاءت امرأة سوداء إلى النبي ﷺ ، وقالت: «يا رسول الله إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، فقال ﷺ: **إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن**

يعافيك، قالت: أصبر، قالت : فإني أتكشف فادع الله ألا أتكشف فدعا لها» رواه مسلم.

يا عبد الله، ما أكثر عوارض الزمن فعليك بركن الله واعتصم بحبله، وإياك والاعتراض على أقدار الله، سواء أُصبت في مالك أم ولدك أم نفسك، واعلم أن أهل الصحة والمال والعيال سيغبطون أهل البلاء يوم القيامة على ما أعطاهم الله من الخير والفضل، جاء في صحيح الجامع بسند حسن [٥٤٧٤] قوله ﷺ: **«ليود أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم قُرضت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء»** .

وتذكر **يا مؤمن** أنك لست وحدك الذي أصبت بهذا المصاب، فغيرك قد أصيب ، هو طريق سار فيه أخيار وأفاضل .

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد

من لم يصب ممن ترى بمصيبة ... هذا سبيل لست فيه بأوحد

يا مؤمن، نحن بحاجة إلى الصبر، في تحمل ظلم الظالمين، وقهر الطغاة المتكبرين، كم من إنسان قتل قهراً، ومات كمداً، لا يستطيع الوصول إلى حقه، ولا الاقتصاص من ظالمه، فيا من هذا شأنه، عليك بالصبر يرفعك الله ويُعلِ قدرك، وحقك لن يضيع، قال ﷺ : **«ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاً »** صحيح الجامع [٣٠٢٤].

نحن محتاجون للصبر في أرض الكفاح، وساحات الوغى، وتلك هي الشجاعة، قال ﷺ : **«لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم**

فاصبروا» رواه البخاري ، وسئل عليّ ﷺ عن الشجاعة فقال : «صبر ساعة » .

نحن محتاجون للصبر في طلب العلم، ومن لا يصبر لا يتعلم، ومن استعجل خسر، هذا نبي الله موسى عليه السلام يقول لمعلمه الخضر: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ [الكهف:٦٩] ، إنها عدة العلم، ومع ما أوتي موسى عليه السلام من الصبر إلا أنه لو زاد صبره لنال قسطاً أعظم من العلم ، قال ﷺ عنه : «**ولو صبر لرأى العجب**» رواه مسلم، فالعلم لا تفتح كنوزه إلا للصابرين.

اصبـــر على مر الجفـــا من معلـــم ... فـإن عظيـــم النفـــع في نفراتـــه

عباد الله، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فالصبر زاد مهم في التربية، لأنها حمل ثقيل، وعمل دؤوب، وطريق طويل، يقول ﷺ: «**من كن له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن وسقاهن وكساهن، من جِدَتِهِ واتقى الله فيهن، كن له حجاباً من النار يوم القيامة**» صحيح ابن ماجة (الألباني) [٢٩٥٩].

وتأمل **يا عبد الله** هذا التوجيه الإلهي: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:١٣٢]، تأمل كيف قال (اصطبر) ولم يقل (اصبر)، لأن المسؤولية كبيرة، تناسبها الكلمة المعبرة المصورة لثقلها (اصطبر)، فهل انتبه المربون لذلك، المربي يحتاج إلى التريث والصبر حين الغضب، وحين التوجيه، وحين التعليم، إنه محتاج إلى الصبر في التعامل مع أخطاء الأولاد والزوجة، وما أجمل الصبر عندما يحجز الإنسان عن التسرع في الأحكام، فلا يزل بكلمة أو قرار تتشتت به الأسرة ويتفرق به الجمع، فتصبَّروا معاشر الآباء والأزواج، أخِّروا القرارات الحاسمة عن لحظات الغضب، فكِّروا وتمهلوا ولو لدقائق حتى لا يحصل المكروه ويقع المحذور، وقد قال ﷺ: «**ومن يتصبر يصبره الله**» رواه البخاري.

يا عبد الله، اعلم وفقك الله لكل خير، أن الصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي، أعظم شأنا من الصبر على الأقدار المؤلمة، لأن ذلك صبر اختياري، والقدر لا اختيار لك فيه، فتجلد وتصبر أمام سحر النظر، ومغريات الأذن، وتصبر أمام لذائذ الراحة، وقدم ما يأمر به ربك، ولو كان خلاف هواك، فذلك

من أعظم أنواع الصبر .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

النُّور[(١)]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فما عمل عامل ولا أنتج منتج ولا سافر مسافر، إلا ومعه نور يهديه ويبدد عنه الظلام، حتى يبصر موضع قدميه .

ونحن **يا عباد الله**، مسافرون إلى الله في رحلة الحياة الدنيا، ثم البرزخ، ثم البعث، ثم دار المقامة، فهل لنا أن نسير إلى ربنا دون نور أو ضياء؟.

هذه الظلمات تحيط بالإنسان كما تحيط بالكون كله، فالكون يغرق في ظلام دامس عظيم، لذا قال سبحانه: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [يس:٣٧]، فكأن النهار قطعة في ذلك الظلام العريض تسلخ منه فيعود إلى حاله .

وهذه الدنيا تحيط بالإنسان فيها ظلمات كثيرة، وأسباب غواية متعددة، لذا ذكر الله سبحانه النور موحداً، وذكر الظلمات مجموعة، فقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام:١] ، ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ؛ لأن سبيل الله واحد، ومتاهات الضلال كثيرة، فهناك ظلمات الكفر والنفاق، وظلمات المعاصي والموبقات، وظلمات الشبهات والشهوات، فكيف سيعيش الإنسان وسط هذه الظُّلَم، إذا لم يكن له نور من الله، يحيل دياجيرها إلى نُوْر ونَوْر،

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٢٤/ ٤/ ١٤٢١هـ).

نُور يبدد سوادها حتى يمضي الإنسان على هدى ويقين، وصراط من الله مبين، عجباً لمن تاهوا وضاعوا،وبحثوا عن النور والضياء في ملذات النفوس وشهواتها، عجباً لمن اتبعوا سبل الغواية فابتعدوا عن مصدر النور، كيف لهم أن يعيشوا؟، وهل يستوي من يحمل النور، ومن يعيش في الظلام، فرق بينهما كما بين الحي والميت ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام:١٢٢] فتعال **ايها المؤمن** في مسيرة النور المباركة، لنعرف مدى حاجتنا إليه، ولندرك أهميته ونتلمس آثاره علينا في الدنيا والآخرة، ونبحث عن مصادره .

ايها الفاضل، إن النور رمز لكل خير، وهاد لكل فضل، ألا ترى كيف خلق الله ملائكته من نور، لذا فهم سالمون من نزغات الشياطين، ومن تسويل النفس، إنهم مُخْلَصون لطاعته، متفرغون لعبادته، ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم:٦] .

كيف لا نتدارس هذا الموضوع؟ والنور هو سبب العمل الصالح، وهو المرشد إلى الخيرات، فلا عمل مع الظلمة، لذا جعل سبحانه بحكمته الليل بسواده وظلمته وقتا للراحة والسكون، والنهار بنوره وضيائه مجالا للعمل والإنتاج، فقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ ﴾ [النبأ: ١٠ـ١١]، وقال جلَّت قدرته: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٨٦ ﴾ [النمل:٨٦] .

إذاً فلا حياة بلا نور، ولا عمل بلا ضياء، النور يا مؤمن معك في حياتك الدنيا، يجلوا عن قلبك سواد المعصية، ويبدد ظلمات الجهل والغي .

النور معك في لحظات الموت ومفارقة الحياة، فصاحب الطاعة يكون عند موته مستنير الوجه، مشرق النفس يشهد له كل من يراه بأن وجهه يشع نوراً، إنه نور الصلاح، نور الطاعة، نور السجود لله رب العالمين، نور قراءة القرآن، نور اليقين.

وعلى العكس، قد نجد من يعلو السواد وجهه لحظة الموت، وتحيط الظلمة بجسده، لأنه فاقد للنور، فلا صلاة ولا طاعة، ولا قراءة للقرآن، رجل مسلم نسي ما خُلق من أجله، سافر إلى بلاد الفجور، فعل كل ما يحلو له، وجمع من الظلمات شيئاً عظيماً حتى اسود قلبه، وبدل أن يسجد لله، سجد لامرأة بغي غابت عنه، فقبض الله روحه على تلك الظلمة، ونقل إلى بلده، فلما وصلت الجثة، ورُفع عنها الغطاء، فإذا بالرجل الأبيض قد تحول إلى كومة سوداء، إنها إنذارات لمن أيقن وعرف.

يا عبد الله، من أظلم قلبه أظلمت جوارحه، ومن استنار قلبه، استنارت جوارحه ، النور يا عبد الله، معك في قبرك يوم تكون رهيناً تحت أطباق الثرى، ليس لك ما يؤنسك إلا ما كان منك من عمل صالح ينور قلبك، ويزيل وحشتك، فالمؤمن يفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه عمله الصالح في أحسن منظر، وأطيب ريح، وينور له قبره، فيعيش في هناء وسعادة، حتى تقوم الساعة.

وأما الكافر والفاسق، فله الضيق والظلمة، تختلف أضلاعه، ويؤذيه عمله السيئ في ظلمة القبر برائحته النتنة، ومنظره البشع، وهكذا من حصد النور عاش في النور، ومن جمع الظلمات غرق فيها، ويوم البعث، يوم الهول، يوم الحساب، يوم يتغير الكون، يجتمع الخلائق في ظلام دامس، وهناك ينتفع أصحاب الأنوار

بأنوارهم.

سأل حبر من اليهود رسول الله ﷺ، عن قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٨]، فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال ﷺ: «**هم في الظلمة دون الجسر**» [رواه مسلم (٣١٥)].

تذكر **يا مؤمن**، ذلك الموقف، كيف سيعبرون على جسر أحد من السيف، وأدق من الشعر، حوله كلاليب جهنم، وتحته نار السعير.

معاشر الفضلاء، ما بالنا لا نفيق؟ أنعيش أيامنا ولياليا سائرين في بعض مسالك الظلام، تاركين منابع النور أو مجادلين فيها؟ .

إنها حقائق لابد أن تستقر في القلوب، وتظهر على الجوارح، في تلك اللحظات العصيبة يقوم المؤمنون المستنيرون بنور الله، فيعبرون الجسر تحيط بهم أنوار الطاعات، وأضواء القربات، في منظر بهي بهيج ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحديد:١٢]، يقول ابن القيم: «وهم بذلك بحسب قوة النور في الدنيا وضعفه، فمنهم من يكون نوره على الصراط كالشمس، وآخر كالقمر، وآخر كالنجوم، وآخر كالسراج، وآخر يعطى نوراً على إبهام قدمه، يضيء مرة ويخبو أخرى»، عند ذلك يعلم أصحاب الظلمات قدر خسرانهم، أين أموالهم؟ أين دورهم وقصورهم؟ أين أصحابهم و أحبابهم؟ أين شهواتهم ولذاتهم؟ حينها يدرك الكفرة الجاحدون والمنافقون المارقون، أنهم كانوا في سراب، وعمل ضائع وخراب، يبحثون عن النور

فلا يجدونه، وقد كان بين أيديهم الكتاب والرسالة، والدعوة والتبليغ، لكن حب الشهوات والشبهات أغلق القلوب، وختم عليها حتى وافت ربها، حينها يشرئبون إلى نور المؤمنين كما وصفهم الله سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣]، أي انظروا إلينا حتى تنعكس أنواركم علينا فنسير على هداها، أو انتظرونا حتى نلحق بكم ونسير خلفكم مستنيرين ببعض نوركم، فما كان الجواب؟ ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ [الحديد:١٣] ﴿ قِيلَ ﴾: هكذا بالبناء للمجهول؛ لأنهم لا يستحقون الالتفات إليهم، ﴿ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾، قيل: هذا من باب التيئيس لأنهم لا نور لهم، وقيل: التمسوه من جهنم، فيا له من موقف ما أشد هوله، ويا له من حدث ما أعظم شأنه .

وحين يدخل المؤمنون جنة ربهم دار الكرامة، يبتهجون بأنوارهم، فأحجارها تتلألأ، وذهبها يسطع ويلمع، ويجللها نور الإله العظيم سبحانه، فينعم القوم بالنظر إلى وجه الملك الكريم سبحانه، الذي هو النور ، وحجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

فبينا هُـمُ في عيشهـم وسرورهـم ... وأرزاقهم تُجرى عليهـم وتقسـم

إذا هم بنور ساطـع أشرقـت لـه ... بأقطارهـا الجنـات لا يُتـوهـم

تجلى لهـم رب السمـاوات جهـرة ... فيضحك فوق العـرش ثـم يكلـم

سلام عليكم يسمعـون جميعهـم ... بـآذانهـم تسليمـه إذ يسـلم

فيا بائعاً هـذا ببخـس معجـل ... كأنك لا تدري بلى سـوف تعلـم

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة   وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

تلك الجنة التي جعلها الله لأهل النور ، كما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٦ـ١٠٧].

دار كلها نور، ونعيمها نور، وأهلها أهل النور، تأمل **يا عبد الله** وصفهم على لسان رسول الله ﷺ لتعرف أن النور هنا يظهر هناك: « **إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على صورة أشد كوكب دري في السماء إضاءة** » [رواه البخاري] .

وتأمل **يا مؤمن** وصفه ﷺ لبعض نعيم تلك الدار، وتذكر ما فيه من النور والإضاءة: «**لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً** » [رواه البخاري] .

ولله كم من خَيْرة إن تبسمت   أضاء لها نور من الفجر أعظم

فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت   ويا لذة الأسماع حين تكلم

فيا خاطب الحسناء إن كنت راغباً   فهذا زمان المهر فهو المقدَّم

أما الذين حرموا نور الطاعة، وما عرفوا سبيل الله، واتبعوا ما تتلوا الشياطين، فما لهم من نور، بل يعيشون في الظلمات، ويموتون على الظلمات، ويحشرون في الظلمات، هم ظلام يمشي في ظلام، مثلهم كما قال الله عنهم : ﴿ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا

فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور:٢٤] ، أهل النار هم أهل الحرق والسواد والظلمة، فقد جاء أن أهلها يصيرون فحماً، وتسود وجوههم كما قال سبحانه عنهم :

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، إنهم أهل البكاء والنحيب، أهل العذاب الرهيب، أهل التعاسة والندم ، أهل الحسرات والألم .

ويكفي في وصف تعاستهم ما رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني من قوله ﷺ : «**إن أهل النار يبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت وإنهم ليبكون الدم** » أي: مكان الدمع .

يا عبد الله، لعل نفسك تاقت إلى ذلك النور، إلى تحصيله إلى الظفر به، لأنه أنيس الحياة، وهو صاحبك في القبر، وفي المحشر، وفي الجنان .

اعلم **يا مؤمن**، أن كل نور هو مقتبس من نـور الله، الـذي قـال عن نفسـه ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [النور:٣٥] وقال عنه رسول ﷺ: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** ».

وإذا كان الله سبحانه هو نور السماوات والأرض، فرسوله ﷺ موصوف بالنور، وكتابه موصوف بالنور، ودينه موصوف بالنور، وهذه هي أصول الدين، فأنعم بأمر هذا شأنه ، قال تعالى عن نبيه محمد ﷺ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦].

وجاء في وصفه ﷺ: « **أنه كان أبيض الوجه مليحاً، أزهر اللون، يتلألأ تلألؤ القمر ليلة البدر، وكان إذا سر استنار وجهه، كأنه قطعة قمر، تبرق أساريره كما يبرق السحاب المتهلل، كأن الشمس تجري فيه، بل لو رأيته رأيت الشمس طالعة، له نور يعلوه يحسه كل من رآه** ».

هذا مجمل من وصفه ﷺ، وفيه من مظاهر النور ما لا يخفى، ولا عجب فهو العارف بربه، الذي وصفه بأنه سراج منير .

وقال تعالى عن كتابه العظيم: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧] وقوله سبحانه: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾ [الشورى:٥٢] .

وقال سبحانه في طريقه الموصل إليه: ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

يا عبد الله، إذا كان الله هو النور، ورسوله نور، وكتابه نور، ودينه نور، فأين أنت من هذه الأنوار مالك لا تقتبس منها، هل سألت نفسك عن أسباب النور وأين تجده ، حتى تحرص عليه ؟

النور **يا مؤمن** في كل طاعة، والظلام في كل معصية، اعلم بارك الله فيك أن أسباب وجود النور متاحة وواضحة ، وكلها مستقاة من نور الله الأعظم ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ﴾ [النور: ٣٥] إلى أن قال سبحانه: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ ، فلعلك تقول أين يكون ذلك؟ ، والجواب في قوله تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور:٣٦] فالمساجد من أعظم أسباب النور، لأن فيها الصلاة والذكر والقرآن، في المساجد الموعظة

والعلم، في المساجد العبادة والدعاء.

فماذا يقول المشغولون بأعمالهم وشهواتهم عن المساجد؟ من أين لهم النور؟، لقد ذكر الله عز وجل بعد بيان مواطن النور وهي المساجد صفات المستفيدين من النور فقال: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور: ٣٧]، هذه صفاتهم فانظر أين أنت منهم؟.

ومن أسباب الحصول على النور الصلاة، وقد جاء فيها قول النبي ﷺ: «**الصلاة نور**» وكذلك الوضوء، فقد قال ﷺ: «**إنكم تأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء**»فيا ويح من يتركون الصلاة والوضوء، من أين لهم ذلك النور؟.

وكذلك الصبر، فقد جاء فيه عن النبي ﷺ: «**والصبر ضياء**» إن بعض الناس إذا كثرت عليه المصائب أظلمت الدنيا في عينيه، فيأتي الصبر بضيائه فيبدد ظلمتها، ويبقى العبد راضياً ولربه شاكراً.

ومن **أسباب النور**: قراءة القرآن، لأنه النور المبين، فمن قرأه وفهمه وعمل به، استنار قلبه وفكره، ونوره منه بحسب عنايته به.

ومن **أسباب النور**: قراءة سير المصطفى ﷺ والاستنان بسنته، واتباع منهجه وطريقته، لأنه ﷺ سراج منير.

ومن أسباب النور: العلم، لأن الجهل ظلام، والعلم يجلي ظلمات الجهل، وقد وصى وكيع تلميذه الشافعي عندما شكا إليه سوء الحفظ، بحفظ هذا العلم من المعصية التي تطفئ نوره، فقال الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي

ومن أسباب النور كل طاعة وقربة، كما أن من أسباب الظلمات كل معصية وذنب، فانتبه يا عبد الله، يا من سرحت النظر، وشنفت الأذن ، وأطلقت اللسان، تذكر أن المعاصي نقط سوداء تجتمع حتى تحيل القلب إلى كومة سوداء قال ﷺ : **«تعرض الفتن على القلب كالحصر عوداً عوداً فأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأيما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مرباداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض مثل الصفا لا تعتريه فتنة، ما دامت السماوات والأرض»**.

ومن أسباب النور الشهادة في سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ [الحديد: ١٩].

ومن أسباب النور الصدقات : قال تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: ٢٤٥] ثم قال سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ [الحديد: ١٢].

ومن أسباب النور التوبة وغسل الذنوب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ [التحريم:٨].

ومن أسباب النور: الدعاء ، فقد جاء من دعائه ﷺ : **«اللهم اجعل في قلبي**

نوراً، وفي لساني نوراً، وفي بصري نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل لي في نفسي نوراً، وأعظم لي نوراً» [رواه مسلم، صحيح الجامع (١٢٥٩)].

أما الظلمات فأعظم أسبابها الكفر والنفاق، ومن أسبابها الظلم والبغي فقد جاء في الحديث: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». ومن أسباب الظلمات المعاصي بأنواعها، فلا تستهن بها أيها المؤمن وأبعد أدرانها عن قلبك بالتوبة، ولو كررتها ألف مرة، وإياك إياك من الاستهانة بشأن الذنوب، فإنها كما قال ابن القيم رحمه الله: تورث حرمان نور العلم، وتسبب وحشة في الصدر، وتوهن القلب وتُظلمه، حتى يحس العاصي في قرارة نفسه بظلام كظلام الليل الدامس، وإذا تتابعت المعاصي كثر الظلام، كما قال سبحانه: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ [النور: ٤٠] فالمعرض عما بعث الله به محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق يتقلب في خمس ظلمات: قوله ظلمه، وعمله ظلمه، ومدخله ظلمه، ومخرجه ظلمه، ومصيره إلى الظلمة، قلبه مظلم، ووجهه مظلم، وكلامه مظلم، وحاله مظلم، لا يحب النور ولا يأنس به بل هو كالخفاش.

خفافيش أعشاها النهـار بضوئـه ... ووافقها قِطْـع من الليـل مظلـم

اللهم وفقنا لأسباب الخيرات، وأبعدنا عن طريق المنكرات، برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فاعلم **أيها المؤمن** بربه، أن الله ضرب مثلاً لنوره سبحانه في قلب عبده المؤمن فقال: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور:٣٥]، وهذا النور كما رأيت يرافقك في رحلة الحياة ورحلة الآخرة، واعلم أيضاً أيها المبارك أن هذا النور، يظهر على وجهك، وفي بركة رأيك، وفي راحة نفسك، فتجد للإيمان حلاوة وأنساً، وهو أنس لا يشترى، ولا يستطيع بشر أن يصل إليه، ولا أن ينتزعه منك :

لن تستطيع حصار فكري ساعة ... أو نزع إيماني ونور يقيني

فالنور في قلبي وقلبي في يَدَيْ ... ربي، ربي ناصري ومعيني

نور الطاعة يظهر معك في توفيقك في رأيك، فأنت مسدد بإذن الله، موفق لكل خير، وكذلك في قولك فأنت لا تقول إلا خيراً، ويظهر في بشرك وملقاك، فأنت مستنير الوجه مشرق النفس، وغيرك مظلم متحير، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : «إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب ، ووهناً في البدن ، ونقصاناً في الرزق ، وبغضاً في قلوب الخلق» .

يا مؤمن، اعلم أن النور النافع هو نور القلب، أما نور العين فإنه لن ينفع مع عمي البصيرة، كما قال سبحانه : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦]، فكم من فاقدي البصر الذين قادوا وسادوا، وعلت منزلتهم لما عرفوا الله، وكانوا معه .

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي فؤادي وقلبي منهما نور

واعلم **يا مؤمن** أن هذا النور يظهر في التوسم والفحص، فقد جاء في الأثر: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، وقد ذكر عن عثمان ﷺ أنه كان يقول لبعض من عنده: «يدخل علي أحدكم وأثر الزنا في عينيه».

ولا تعجب من هذا **أيها الفاضل**، فقد جاء في الحديث القدسي أن العبد يتقرب إلى ربه بالطاعات حتى يحبه فإذا أحبه كان كما قال سبحانه: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به** ...» الحديث، فما ظنك بإنسان هذا شأنه؟.

عباد الله، هذه رحلة النور المباركة، أولها هنا في الدنيا مع الصلاة والصدقة والصبر والقرآن والمساجد والوضوء، وسائر الطاعات، وآخرها هناك في دار المقامة، في دار النعيم والكرامة، فعليك بأسباب هذا النور واحرص على مواطنه، وأماكن وجوده، حتى تعيش في نور وعلى نور وتلقى ربك يوم القيامة وأنت على نور.

اللهم اجعل في قلوبنا نوراً، وفي أبصارنا نوراً، واجعلنا نوراً يا رب العالمين.

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

الحريَّة[١]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فإن التصورات التي لا تتركز على الوحي، لا يوافقها الصواب غالباً، وإن الأفكار التي لا تستنير بنور الكتاب والسنة، لا تستقيم مع فطرة الإنسان، وهناك قضايا كثيرة مهمة في حياة الناس إذا لم يعودوا فيها إلى مقاييس الوحي ضلوا وأضلوا، من ذلك قضية العبودية والحرية ومفهوم ذلك؟.

عباد الله، لما كانت الحرية برّاقة جميلة، ساحرة فاتنة، ترغبها النفوس وتتشوق إليها الأفئدة، كثر الكلام فيها، وكثر الخطأ في مفهومها، وزاد الخطأ في تطبيقها واقعاً معاشاً.

الحرية لا شك أنها حق مشاع، ومطلب نفسي، ولن يعيش صاحب كرامة هو قادر بلا حرية، والعبودية لغير الله ذله ومهانة، وصغار وحقارة، لذا رفع أصحاب الدعايات المضللة والأفكار الهدامة شعارات الحرية والمساواة والإخاء، ليجذبوا بها الدهماء ويكثروا بها الأتباع، شعارات خادعة ومبادئ كاذبة، ليس لها ضوابط تضبطها، ولا حدود تحدها، فضاعت معها العقائد وذابت معها المبادئ، وتلاشت معها الأخلاق، وتلك صنيعة اليهود الذين قالوا بالنص: «كنا أول من اخترع كلمات الحرية والمساواة والإخاء التي أخذ العميان يرددونها في كل مكان دون

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٨/ ٥/ ١٤١٩هـ)

ترو، بل إنها جلبت لنا أعواناً من جميع أنحاء الدنيا»، ولقد انخدع بعض المسلمين بهذه الشعارات ودعوا لها على ما أراد أهلها من غير نظر في العواقب، أو عرض على محك القرآن والسنة، فأخطأوا في التفكير، وظهر الخلل في التدبير.

وهناك آخرون بهرتهم الحضارات الغربية، ورأوا أن سبب التقدم والرقي هو الحرية المطلقة التي بها يعيشون، فأرادت هذه الفئة ـ من المبهورين ـ أن تكون ديار المسلمين على ذلك المنوال، حرية لا تحدها حدود ولا تضبطها ضوابط، ولا تقننها شرائع، ونسي أو تناسى أولئك أن القوم شطر منهم لا دين لهم، وشطر منهم نصارى، وشطر يهود، كتب محرفة وديانات ملفقة، كيف لها أن تضع حدوداً صحيحة لمثل هذه القضايا الكبرى، ومنها العبودية والحرية، كيف يصنعون ذلك وأحدهم لا يعرف لماذا خلق، ولا إلى أين ذهب، ولا ما مصيره بعد الموت؟ أسئلة تحيرهم رغم تطورهم، فهم كما وصفهم خالقهم سبحانه: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [الروم: ٧]. وهم كما قال قائلهم:

جئـت لا أدري ولـكنـي أتـيـت

وأبصـرت قدامي طريقاً فمشـيت

وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيـت

كيـف جئت، كيف أبصرت طريقي

لسـت أدري

لماذا لسـت أدري؟ لست أدري.

عباد الله، ليس هناك دين ضبط هذه المبادئ، وبين حدودها ومداها، مثل

الإسلام ففيه الكمال والجمال، وفيه التفصيل والإجمال، لكن ما فتئ الأعداء يتهمون ديننا العظيم بأنه قتل الحريات، وشاهدهم على ذلك ، أنه حبس المرأة وعطلها وظلمها، وأنه لا يسمح بحرية التدين، وأنه دين دموي، وأنه شرع الرق والاسترقاق، وأنه حجر على الأفكار، أقوالهم في هذا كثيرة، وتصوراتهم متعددة، لكن كلامهم مردود عليهم، وحججهم داحضة، والواقع والتاريخ شاهدان على ذلك، الإسلام جاء والرق ضارب بأطنابه، والمرأة مهانة، والحقوق مهضومة، والظلم طاغ.

فرفع الظلم عن المرأة وكرمها، وأعاد الحقوق إلى أهلها، وأنصف المظلوم من الظالم، وأشرع الأبواب أمام تحرير الأرقاء بما لم يعرف له مثيل قط، وأغلق كل منافذه إلا منفذاً واحداً في حالة الحرب مع الأعداء ، حياطة للدين وكسراً لشوكة العدو، ثم إنهم إذا أسلموا وجدوا الطرق مشرعة لنيل حريتهم، ومن أعظم الأدلة على أن الإسلام دين يحث على الحرية ويأمر بها ، أنه جعل للأرقاء نصيباً من الزكاة يعتقوا أنفسهم من ساداتهم، ومنها أنه جعل الإعتاق في مقدمة كفارات كثيرة، كالقتل، والظهار واليمين، ومنها أنه أمر بذلك أمراً صريحاً كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور: ٣٣]، ومنها أنه جاء بالترغيب العظيم في ذلك في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «**من أعتق رقبة مؤمنه أعتق الله بكل عضو فيه عضواً من النار** » [متفق عليه].

ومنها أنه جعل كفارة ضرب الرقيق عتقه، كما قال ﷺ : « **من ضرب غلاماً له حداً لم يأته أو لطمه فإن كفارته أن يعتقه**» [رواه مسلم].

عباد الله، الإسلام ما قتل الحريات ولا وأدها، لكنه نظمها، ورسم لها مسارها الصحيح، الذي لو تجاوزته لكانت وبالاً على أصحابها، ولكننا وللأسف الشديد نجد من أبناء جلدتنا من يتهم الشريعة بأنها أغلال وقيود، ويتذمر من تلك الضوابط المهمة، بحجة أن الحرية حق يجب أن يزاوله.

عباد الله، الحرية كلمة تتداولها الألسنة وتمر على الأفكار، ويستعملها بعضنا في غير محلها، فتجد كثيراً من الناس إذا نصح في كلام يقوله، أو عمل يعمله، أو خطأ يقترفه يقول أنا حر، وإذا تصرف في بعض ملكه تصرفاً مضراً ولامه لائم قال هذا مالي وأنا حر، وإذا تعدى على صحته بشرب مسكر أو مفتر، أو تعاطى محرم ومضر، قال : هذه صحتي وأنا حر ، هذا عقلي وأنا حر .

حريات مزعومة، نسمعها كل يوم فهل هذا المفهوم الفاشي في الناس مفهوم صحيح ؟ كلا ليس كذلك .

فالحرية في الإسلام ليست مطلقة من جميع القيود، بل لها من القيود ما يجعلها نافعة مقبولة، فالإنسان ليس حراً فيما يقول ويتكلم، وإلا لقال من شاء ما شاء، وهذا ما يروج له الفكر الغربي، لذا ظهرت عندهم ألوان من المكتوبات والمنطوقات لايقبلها عقل، ولا يقرها ذوق، فهذا مروج للجنس وآخر للجريمة، وذلك للسحر والشعوذة، ورابع للإلحاد والزندقة، كل ذلك من جراء حرية الفكر والكلام .

أما الإسلام فقد وضع للكلام ضوابط، إذا فقدها الإنسان كان الكلام ممنوعاً، وليس الإنسان حراً في الكلمة التي يقولها شعراً كانت أم نثراً، فلا يجوز للإنسان أن يتفوه بما فيه إفساد، كالنميمة، أو ضرر وتعد كالغيبة والقذف واللعن

والسباب، أو تنقص كالسخرية والاستهزاء، وغير ذلك من مظاهر الإضرار بالناس، كما أن كل كلام فيه تعد على حدود الله أو شرعه ممنوع، وهذا قد يوجد في شعر بعض الشعراء بحجة أن الشاعر له أن يقول ما لا يقول غيره، ويجوز له ما لا يجوز لغيره.

ألا فليعلم كل إنسان أنه محاسب على قوله الذي يقول، إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، والشعر كما تقول عائشة: كلام حسنه حسن، ورديئه رديء، ولقد سجن عمرُ الحطيئةَ لهجائه المسلمين ومنعه من الوقوع في أعراضهم، فلا يظن ظان بعد هذا أن له الحق في أن يطلق لسانه ليقول ما شاء كيف شاء، وليس حقاً قول القائل: أنا حر في كلامي وفي قولي، بل هو عبد لخالقه الذي يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، والقائل: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨] ، وليتنبه لقوله ﷺ : «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار سبعين خريفاً**»[صحيح الجامع]، والإسلام عندما وضع تلك الضوابط للكلام، كان ذلك لمصلحة القائل والمجتمع ، لأن كل تلك الممنوعات هي أضرار إما على قائلها وإما على من حوله، وفي المقابل أرشد إلى طرق كثيرة تسخر فيها هذه الكلمة بالنافع المفيد، كذكر الله وإصلاح ذات البين، والدعوة إلى كل خير، كما قال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤]، ويقول صنف آخر إنه حر في صحته يفعل بها ما يشاء، يهلكها بالتدخين تارة ، وبالمخدرات والمسكرات تارة أخرى، لا دخل

لأحد في ذلك ؟ وهذا لون آخر من ألوان انعكاس المفاهيم في الحرية، كلا لست حراً في صحتك، وهي ليست ملكاً لك، بل إنك إذا تعديت عليها وتجاوزت الحدود ، جاء الشرع فمنعك وحرم عليك ما تفعل، حتى ولو كان الذي جلب لك الضرر عبادة من العبادات، فالصوم مثلاً وهو قربة يحرم على من يضر بصحته، فكيف بالمحرمات كالتدخين والمخدرات والمسكرات ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[البقرة: ١٩٥]، وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[الأعراف ١٥٧]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا ضرر ولا ضرار**»، فلو قال قائل أنا حر أفعل بنفسي ما أشاء، قلنا له: هذا ليس بصحيح، بل أنت عبد لخالقك محكوم بشرعه، ولو أردت الإضرار بنفسك لمنعك الشرع من ذلك، وتلك والله هي إحدى مظاهر العظمة في هذا الدين العظيم، يحمينا حتى من أنفسنا، فلو أراد الإنسان التعدي على نفسه بإنهاء حياته بأية طريقة، لكان ذلك كبيرة من الكبائر، لأنه اعتدى على منحة الله للإنسان، حياتك وموتك لست أنت الذي تحددها، ومن غياب الوعي الشرعي قول بعضهم: هو حر في حياته ينهيها متى شاء، لا ليس الأمر كذلك، لأنك أيها الإنسان ليس لك أثر في ابتدائها فكذلك الأمر في إنهائها .

واسمع **يا عبد الله** لقول رسول الهدى ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن شرب سماً فقتل نفسه، فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من**

جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » [رواه مسلم].

عباد الله، الإنسان لا يملك حضوره ووجوده في هذه الدنيا، فكيف يملك حق خروجه منها، فالأمر في هذا لله وحده، والحرية في هذا المجال خبط من الجهالات، وقعت فيها الشعوب التي لا تؤمن بالله، حتى أضحى الانتحار شيئاً مألوفاً، وكلما ارتفع مستوى المعيشة زادت نسب الانتحار؛ لأنه لا إيمان ولا رادع، وبدلاً من تسليم الأمر لخالقه، تشكلت جمعيات متعددة في العالم الغربي، وأُلفت كتب كثيرة لبيان طرق الانتحار، فهناك جمعية (حرية الموت)، أصدرت كتاباً يخص كبار السن في طريقة التخلص من الحياة، وهناك (اتحاد مؤسسات حق الموت الكريم)، الذي يزيد أعضاؤه على نصف مليون شخص، وضع هذا الاتحاد بالتعاون مع مجموعة من الأطباء برنامجاً للقضاء على المسنين، ألا تباً لهذا الطب، وسحقاً لتلك التقنية المتقدمة، إنه الإجرام والقتل ، والوحشية والغلظة ، نجحوا في غزو الفضاء وصناعة التقنية، وفشلوا في رسم ابتسامة رضى وسعادة على فم عجوز يحتضر، بل وصل الأمر في استهانتهم بهذا الإنسان أن قامت شركات سياحية في السويد، بالدعاية عبر وسائل الإعلام لما سمَّته بـ (سياحة الانتحار)، حيث توفر للمنتحرين تأشيرة الدخول، والإشراف على الانتحار وتسهيله، مع خدمة التخلص من الجثة وفق رغبة المنتحر .

أين هؤلاء من عمر بن الخطاب ليلقنهم درساً، كيف تكون الرحمة للعجوز والمريض؟ حينما شاهد مسناً من أهل الكتاب يسأل الصدقة ليدفع بها الجزية، قال عمر مخاطباً خازن بيت المال ليرفع الجزية عن هذا الرجل، الذي ليس على الإسلام لكنه تحت عهدها: «انظر هذا وضُرباءه (وأمثاله)، فو الله ما أنصفناه أن

أكلنا شبيبته ونخزه اليوم»، وإننا لا نستغرب من وجود ذلك المفهوم المغلوط للحرية المزعومة عند قوم لا خلاق لهم، لكننا نتعجب أن المفهوم ذاته بدأ يجد سبيله عند بعض بني جلدتنا وإن كانوا قلة، من كان يتوقع أن مسلماً من هذه البلاد يحمل ذلك الفكر المنحرف، ويتعدى على منحة الله فيه، يزهق روحه، لماذا ؟ لأن هناك ضعفاً إيمانياً كبيراً ، وخواءً روحياً أصبح يسري في قلوب الشباب، وهناك أفكاراً هدامة وجدت طريقها إلى القلوب، حتى سجلنا في عام واحد هو عام ١٤١٧هـ سبع حالات انتحار، وقد أجمع المحللون أن ضعف الوازع الديني هو السبب الرئيس في هذه الجريمة البشعة .

وأما الحرية في التملك والكسب فهي مرتبطة بعدم الإضرار بالآخرين، فإذا وجد الضرر، ضربت قيود على تلك الحرية، فالإنسان له أن يكسب لكن بالطرق المشروعة، فلا يكسب بالربا ولا بالغش ولا بالاحتيال، ولا بالحلف ولا بالغرر، ولا بالاحتكار المضر، ولا بالسرقة، ولا بغيرها من الطرق غير المشروعة، ولا يقل قائل: أنا حر أملك ما أشاء وأكسب كيف أشاء، كلا بل لذلك ضوابط شرعية وآداب مرعية.

ولقد كان نظام الإسلام في هذا وسطاً بين النظام الشيوعي المنقرض، والنظام المادي الذي يسمح بالكسب بأي طريق وبأي أسلوب، إن المال مال الله ليس للإنسان الحق في ادعاء الحرية فيه، يكسبه كيف يشاء ويصرفه كيف يشاء، بل عليه فيه تبعات من صدقات وزكوات، وهو مسؤول عنه من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وفي هذا رد على من يدعي أنه حر في ماله يحرقه أو يفسده أو يبدده، كلا ليس له ذلك بل هو محاسب عليه وموقوف بسببه.

أما الحرية في التفكير، فإن الإسلام حث على التفكر والتأمل، وفتح لذلك أبواباً، لكنه جعل حدوداً لذلك، لا يمكن تجاوزها لأن العقل ربما يجمح ويتجاوز قدره، ويشارك فيما لا قدرة له عليه؛ لذلك قال ﷺ: «**تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله**» [صحيح الجامع (٢٩٧٦)]، وقد أمرنا رسول الهدى ﷺ بعدم الاسترسال مع مثل تلك الأفكار، التي يتقاصر عنها العقل، ولم يدع لنا الحرية في قبولها أو رفضها بل حسم الأمر بالنهي فقال ﷺ: « **يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول فمن خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**» [رواه البخاري ومسلم] ، وفي رواية فإذا كان ذلك فقولوا: « **بسم الله ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾** [الإخلاص] ، **ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً وليستعذ من الشيطان** » [رواه أبو داود] .

تلك بعض من مجالات الحرية، وغيرها يدخل فيها ضمناً، والحرية بغير تلك الضوابط تكون وبالاً وخرابا، وما الذي يجري في العالم من حولنا عنا ببعيد، فساد في الأخلاق، انحراف في القيم، طغيان في المادة، تجبر وعتو، كل ذلك لفقدان الموازين الشرعية .

عباد الله أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية:

عباد الله، لا يعني ما ذكرنا أن الإنسان ليس له حرية، وليس له إرادة، كلا بل له مشيئة وإرادة، لكنها لا تخرج عن مشيئة الله وإرادته، له حق في التملك والكسب ، له حرية في التفكير والقول ، له مشيئة في التصرف والعمل، لكن هناك ضوابط وتعاليم تبين له حدوده وترشده إلى الطريق الصحيح ، فالكلام منه ممنوع ومشروع ، وكذلك الكسب والتملك .

وإذا تقرر هذا عند الإنسان فعليه أن يعلم أنه لا يصح له أن يتكئ على الحرية في استحلال ما حرم الله، والتعدي على حدود الله، أو الإضرار بالآخرين، وعلى الإنسان أن يوقن أنه عبد الله خاضع لحكمه محكوم بشريعته، ولا يقل كما قال بعض المتمسلمين إن الشريعة قيود وأغلال، بل هي ضوابط وحدود، تدل على الحسن وتحذر من القبيح، ليعلم الإنسان أن شرفه في عبوديته لربه وخالقه .

وممـــا زادنـــي شـــرفاً وتيهـــا وكـدت بأخمصـي أطـأ الثـريـا

دخولي تحت قولك «يـا عبـادي» وأن صيَّـرت أحمـد لـي نبيـاً

لأنه إن طلب تلك الحرية المزعومة في غير عبودية الله، فهو كمن خرج من النور إلى الظلام، ومن السعة إلى الضيق، ومن النعيم إلى الشقاء، وليعلم الإنسان أنه إذا تنصل من عبودية الله ارتكس في عبوديات أخرى لا نهاية لها، من عبودية الهوى والشهوة، عبودية المنصب والجاه، عبودية المصلحة والمنفعة، عبودية الذات والزوجة، عبودية الدرهم والدينار، قال بعض السلف: «إن من غلبته شهوته للدنيا لزمته العبودية لأهلها » فاختر **ايها المبارك** عبودية رب العالمين تزداد معها

مكانة وسمواً، ورفعة وعلواً، وحرية تعيش بها في ظل شرع الله، ترتفع بها عن أوضار الأرض، و العبودية لله حرية للعبد، حرية للقلب والعقل والوجدان، لأن صاحبها متصل بالخالق الديان، أفتختار **أيها المؤمن** عبودية الرفعة والسؤدد والسعادة والمجد، عبودية الله، أم عبودية الضعف والهوان، والذلة والخسران، عبودية الانتكاس للدنيا وما فيها، حريات مزعومة، وحياة بائسة، وشهوات مسيطرة ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

الغش[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فإنه لا بد لنا أن نلتقي في بيع أو شراء، ولا بد لنا أن نحتاج إلى بعضنا في مشورة أو نصيحة، ولا بد لنا من تعاون واتصال، حتى تبحر السفينة ويصلح الحال، ومن حكمة الله سبحانه أن سخر بعضنا لبعض، فكل منا يحتاج للآخر، وكل منا يكمل الآخر، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، ونحن نحتاج في هذا الجو التعاوني إلى نبذ صفة خسيسة، وخصلة ذميمة، تحمل على الظلم، وتسلب الحقوق، وتنبئ عن نفس دنيئة وإيمان رقيق، إنها خصلة الغش، الذي يدخل في البيع والشراء فيفسدهما، ويؤثر في المشورة والنصيحة فيحرفهما، وينسل إلى القلب فيؤثر فيه، إنه الغش، الذي هو خلاف النصح، الغش الذي يقوم على إظهار الأمر على غير ما هو عليه، إنه تغيير للحقائق، وقلب للأمور، ونظراً لشدة أثره وعظيم خطره على المجتمع، فقد قال ﷺ محذراً: « **من غشنا فليس منا** » [رواه مسلم]، يا لها من كلمة ما أشد وقعها، فأين الباعة ألا يسمعون؟ أين أهل المهن ألا يدركون؟ أين أصحاب الولايات ألا ينتبهون؟، إن الأمر خطير، والإفساد كبير، إذا انتشر هذا الخلق في البلاد، وسرى شره بين العباد .

اعلم **ايها الفاضل** بأن الغش على ثلاثة أنواع :

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٢٣/ ٤/ ١٤٢٢هـ).

النوع الأول: هو الغش في البيوع خصوصاً، وسائر المعاملات عموماً، وهذا النوع عرّفه ابن حجر بقوله: «الغش أن يعلم صاحب السلعة فيها عيباً، لو اطلع عليه مريد أخذها ما أخذها بذلك المقابل».

فيا أصحاب المتاجر والسلع، ويا أرباب المهن والحرف، اتقوا الله في بيعكم، وراقبوا الله في صنعتكم، وتذكر **أيها الفاضل** بأنك إذا بعت مالا يستحق الثمن الذي أعطي لك فأنت غاش، وإذا كتمت عيباً في السلعة فأنت غاش، انظر إلى أحوالنا الآن في بيع المواد الغذائية والخضروات والفواكه، والملابس والحاجيات، ثم انظر إلى هذه الحادثة على عهد رسول الله ﷺ، حيث مر عليه الصلاة والسلام على صرة طعام (أي كومة طعام) عرضها صاحبها للبيع، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، أي وجد في أسفلها بللاً، وهذا غش حيث جعل الجيد فوق، والرديء في الأسفل، فقال ﷺ: «**ما هذا يا صاحب الطعام ؟** قال: أصابته السماء أي المطر، فقال عليه الصلاة والسلام : **أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا**» [رواه مسلم].

ألا فليسمع هذا التوجيه النبوي باعة الفواكه والخضراوات، والتمور والحبوب، الذين تفننوا في رصف الجيد أعلى البضاعة، وهم يعلمون أن أسفلها رديء، ألا يخافون الله؟ يغشون العباد، وينشرون في الأرض الفساد، ويكسبون المال من غير حله، ويزيدون الطين بِلّه، فيا أيها البائع قبل أن تمتد يدك لوضع الرديء وإخفائه بالجيد، تذكر رقابة الله، وقبل أن تصدر أوامرك لعمالك بأن يمارسوا هذا الجرم، تذكر أن هذا حرام وسحت، وأيما جسد نبت من سحت فالنار أولى به، وأنتم يا أصحاب الحرف، من الحدادين والنجارين، وجميع الأصناف الأخرى، راقبوا الله في أعمالكم فقد قال ﷺ: «**خير الكسب كسب**

العامل إذا نصح»، أما إذا غش فكسبه خبيث، واعلموا أن صاحب العمل قد لا يعرف أسرار الصناعة، أما أنت فتعلم الأصناف والأنواع، وتدرك الفروق والميزات، فكن لأخيك المسلم ناصحاً، وليكن مقياسك ألا تعطي أخاك المسلم، إلا ما ترضاه لنفسك سواء من ناحية السعر، أم من ناحية إتقان الصنعة.

ومن الغش، الحلف على أثمان السلع بخلاف الواقع قال ﷺ: «**ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، ... وذكر منهم، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا، فصدقه وهو على غير ذلك ...**» [رواه مسلم (١٠٨)].

أفلا يتعظ هؤلاء الذين أفنوا أيمانهم في إنفاق سلعهم، تأمل في حال البائعين كم يحلفون، وانظر إليهم كيف يسارعون في الإيمان قبل أن تطلب منهم، كل ذلك ليكسب أحدهم بضع دراهم، أو يكون مندوباً لشركة له نصيب على التسويق فيها، فتجده لا يتورع أبداً عن ذكر أعلى المقاييس، وأفضل النتائج مؤكداً ذلك بأيمان مغلظة، يا لخيبة الأمل، كيف ندعي الإسلام، وعند المال يكون الاستسلام؟

ألا فليعلم التجار أن من الغش للمسلمين، وضع علامات تجارية ذات سمعة عالمية على منتجات هزيلة، ثم بيعها بمبالغ كبيرة، ويدخل في هذا رضاهم بذلك وسكوتهم عنه، إننا نعلم أن بعض أهل التجارة يباركون هذا العمل، ويقومون بتصنيع هذه السلع المقلدة في دول لا هم لها إلا ذلك، ويقوم بتسويقها بين المسلمين.

ولقد كثر هذا الأمر حتى عده بعض اللاهثين وراء سعار المادة براعة وفناً، وفطنة وذكاء.

ومن هذا أيضاً جميع ألوان التزوير سواء في البضائع أم الأختام أم النقود.

ومن الغش في البيوع: النجش وهو: الاتفاق على الزيادة في سعر السلعة ولا يريد شراءها، وإنما المراد إيقاع من يجهل شأنها فيأخذها بغير ثمنها الحقيقي.

ومن الغش، الكذب في الإعلان عن السلعة بما ليس فيها، ومن الغش تغيير علامات الأراضي للاستيلاء عليها، وهذا منتشر بين أصحاب الأراضي الزراعية غير المنظمة، ألا فليعلم أولئك قول النبي ﷺ: «**لعن الله من غير منار الأرض**» أي علاماتها. [رواه مسلم (١٩٧٨)].

فاتق الله **أيها المؤمن** وابتعد عن كل ما يضر إخوانك المسلمين، وعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، وارض لهم ما ترضاه لنفسك، فإنك لا ترضى أن يخدعك أحد، ولا أن يغشك أحد، ولا أن يغرر بك أحد فكيف ترضى ذلك لإخوانك؟.

اعلم **أيها الفاضل**، أن أعظم أسباب انتشار الغش خصوصاً في التجارات والصناعات هو حب الدنيا، والطمع واستعجال الربح، وعدم مراقبة الله ونسيان عقابه، لا أيها الفاضل تمهل فأمامك يوم عظيم، وحساب دقيق ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وهذا النوع المنتشر وخصوصاً في البيوع والأراضي هو من كبائر الذنوب، يقول ابن حجر رحمه الله: «عد هذا كبيرة هو ظاهر ما في بعض الأحاديث، من نفي الإسلام عن الغاش مع كونه لم يزل في مقت الله، أو كون الملائكة تلعنه».

اللهم أغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك.

عباد الله، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فقد رأينا بعض صور النوع الأول من الغش، أما النوع الثاني فهو: الغش في النصيحة، والاستشارة، وقد قالوا: غشه غشاً أي لم يخلص له في النصح.

يا عبد الله، قد تجد من الناس من يعميه الحسد، أو يحجب عينيه حب الدنيا، أو التسلط، فإذا استنصحه مسلم أو استشارة، أشار عليه بخلاف ما يعلم أنه صواب، قال ﷺ: «**المستشار مؤتمن**»، فيجب عليك **أيها المؤمن** إذا استنصحك أخوك المسلم أن تخلص في النصح له، وتشير عليه بما تراه صواباً، ولو كان خلاف مصلحتك الخاصة، وهذا النوع يظهر في المنافسات، فقد يأتي إنسان يريد أن يزاول عملاً تجارياً، فيستشير تاجراً له خبرة في ذلك المجال، فيشير عليه بعدم ممارسة هذا النشاط من التجارة، يفعل كل ذلك حسداً منه، وخوفاً أن ينافسه في تجارته، وهذا فيه سوء ظن بالخالق سبحانه فالرزق بيده وحده قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقال ابن حجر: «وهو من الكبائر الباطنة لأن مرجعها سوء القلب»، ويلحق بهذا كل حقد وحسد يحمله الإنسان على إخوته، تأمل في هذا الحديث **أيها الفاضل**، قال ﷺ: «**يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار وذكر ذلك ثلاثاً فخرج الرجل نفسه**» فتعجب عبد الله بن عمرو بن العاص، فبات عنده ليالي فلم ير عنده كثرة صلاة ولا صيام، فسأله ما الذي بلغ بك إلى ما قال رسول الله ﷺ، قال: هو ما رأيت غير أني لا أحمل في نفسي على أحد من المسلمين غشاً ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: فهذه التي بلغت

بك وهي التي لا نطيق» [رواه أحمد (٣/ ١٦٦)].

إنها النظافة الكاملة للقلوب المؤمنة، فاحذر **يا عبد الله** من غش القلب هذا، فإن السالم منه قليل، وتذكر هذه الليلة إذا أويت إلى فراشك، هل في القلب غش على أحد من المسلمين، راجع نفسك ونقّ قلبك.

النوع الثالث: غش الرعية، وقد عدَّه الذهبي ﷺ من الكبائر، وكلما عظمت المسؤولية عظمت المساءلة، والمسؤول عن عدد من الناس ولو كان قليلاً يعد مسؤولاً عن رعية، فالمعلم تحته رعية، ورئيس الدائرة تحته رعية، والرجل في بيته تحته رعية، وهكذا تتفاوت المسؤوليات، من الولايات الكبرى إلى الولايات الصغرى كل بحسبه، لذا كانوا يفرون من القضاء والحكم لما يعلمون من تبعة ذلك ومسئوليته.

واليوم يتقاتل الناس على الإدارة كل يريدها، فإذا تولاها أحدهم لم يدرك من حقوقها شيئاً، فهل من يتولى الإدارة يسأل عن أحوال من تحت يده، هل ينصحهم ويوجههم، هل يساندهم ويساعدهم، هل يتابع عملهم، هل يعدل بينهم، هل يوصل إليهم حقوقهم، هل يعطيهم الذي لهم؟، أم أن هناك محسوبيات ووساطات، ومعارف ومقربين، ومصالح متبادلة، وأحوالاً منكرة؟.

وفي جانب العمال ما شأنهم مع كفلائهم؟، وفي جانب المؤسسات والشركات، والقطاعات الحكومية والخاصة، هل كل قام بما عليه ولم يأخذ إلا ماله؟، لو كان الأمر كذلك ما رأينا كثرة الشكاية، ولا رأينا أرتال الناس يملأون أروقة المحاكم.

وهناك ولاية الأب في بيته، هل أدى ما عليه من التربية والتعليم، والنصح

والتهذيب، أم أنه أهمل ذلك حتى شب أولاده عن الطوق، وتجاوزوا سن التعليم والتدريب؟، إننا نلحظ خصوصاً في جانب النساء تهاوناً كبيراً من الأولياء الذين جعلهم الله أهل القوامة، فأحدهم لا يعتني بتعليم ولا توجيه، ولا يتابع أحوال أهل بيته من زوجة وبنات حتى ظهر من المنكرات ما يشهده الجميع.

يا عبد الله، أما تخاف الله حين يسألك يوم القيامة كما قال ﷺ: « **إن الله سائل كل امرئ عما استرعاه ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته** » ، إنّ تركهم وإهمالهم من الغش، وجلب ما يحرفهم ويفسد أخلاقهم من الغش، أما يخشى من هذا حاله من الوعيد الشديد في قوله ﷺ:« **أيما راع استرعى رعية فغشها فهو في النار** » [السلسلة الصحيحة (١٧٥٤)]، وقوله ﷺ:« **ما من رجل يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت ، وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة** » [رواه مسلم] .

فانتبهوا يا أصحاب الولايات والمسؤوليات، وانصحوا وحاسبوا أنفسكم قبل أن يحل الأجل، وينقطع الأمل .

اللهم وفقنا للخيرات، وجنبنا المنكرات، برحمتك يا أرحم الراحمين .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

العصبية[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فإنه من المركوز في الفطر، ومما جبل عليه البشر، انتماء الإنسان إلى قومه وقبيلته، إنه يجد ـ إن عاش بينهم ـ الأمن والاستقرار، وإذا نأى الإنسان عن أهله وعشيرته شعر بغربة ووحشة، ولكن هل هذا يعد مبرراً كافياً ليلغي الإنسان عقله وتفكيره، وينساق مع العشيرة أو القبيلة فيما تقول وتفعل، ولو كان باطلاً؟ كلا.

ومما يصور تلك التبعية الكاملة لما عليه القبيلة وما تقتضيه عاداتها وقوانينها، قولُ الشاعر مفتخراً بانتمائه الكامل لقبيلته:

وما أنا إلا من غَزِية إن غوت ... غويتُ وإن ترشد غَزِيةُ أرشدِ

أيها الأخوة الكرام، إنَّ التعصب ألوان وأشكال، وهو مذموم بكل صوره وألوانه.

فهناك التعصب للبلدة: فبعض الناس لا يذكر في حديثه في المجالس إلا مزايا منطقته، حتى لتتأذى من حديثه الأنفس، وقد يتطاول الأمر حتى يؤذي مشاعر الناس باحتقار ما هم فيه، وكل ذلك ليس من الإسلام في شيء.

وهناك التعصب للجنسية: فبعض الناس يرى أنه أعلى من غيره شرفاً وأكرم أرومة، لأنه من جنسية كذا وكذا، فتجده يذكر غيره بصفة التنقص والاحتقار،

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٢٣/ ١١/ ١٤١٦هـ).

ولعمري إن هذا ليس من الإسلام في شيء.

وهناك التعصب للرأي، والتعصب لجهة العمل، والتعصب للاختصاص ومن أظهر ألوان التعصب، التعصب للقبيلة ومجد الآباء والأجداد، فإن لذلك مخاطره الجمة والتي منها:

١ ـ العصبية قد تصرف الإنسان عن الحق وتورده المهالك: ذكر الزهري أن أبا جهل وجماعة معه، وفيهم الأخنس بن شريق وأبو سفيان، استمعوا قراءة الرسول ﷺ في الليل، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟.

يا ترى ما إجابة أبي جهل؟ أينظر بعين الإنصاف فيقول هو الحق، أم ينظر بعين القبلية فتأخذه الحمية فيترفع عن الحق ويردّه، نعم إن هذا هو الذي يتبين من إجابته حين قال: «تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وتحاذينا وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذا؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه»، إن أبا جهل لم يقس الأمور بمقياس الحكمة والتعقل والبحث عن الحقيقة، بل قاسها بمقياس مآثر القبيلة، فرفض الحق رفضاً أودى به لأن يكون أحد المخلدين في نار جهنم، إن تلك النعرة رافقت أبا جهل أيامه كلها، بل حتى ساعة موته (يوم بدر) حين سالت دماؤه وأشرف على الموت، وصعد عبد الله بن مسعود على صدره وسأله: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ فرد قائلاً: ليس على رجل قتله قومه خزي، عصبية حتى عند الموت، فانتبه **اخي الكريم** أن تحملك حميتك لقبيلتك أو جماعتك أو جنسيتك على رد الحق، لأنه لا يوافق هوى القبيلة أو الرفقة فتندم أشد الندم يوم لا ينفع ندم.

٢ـ العصبية قد تحمل الإنسان على التمادي في الباطل رغم قناعته ببطلانه، هذا أبو طالب عم النبي ﷺ يحمي رسول الله ﷺ من أذى قريش، ويوجد له المكان الآمن للدعوة والتبليغ، ويقتنع تماماً بما عنده من الصدق فيما يقول، لكن حاجز القبيلة وأعرافها يحول دون النطق بالشهادة المنجية، انظر إليه يقول عن النبي ﷺ مبيناً شدة التعصب بسبب رباط القبيلة رغم الخلاف في المعتقد:

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه ... ربيعُ اليتامى عصمة للأرامل

فوالله لو لا أن أجيء بسبة ... تُجرّ على أشياخنا في المحافل

لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جداً غير قول المهازل

كان لزاماً في عرف القبيلة أن ينتصر ابن القبيلة لمثيلته ظالماً أو مظلوماً، وما زال هذا المفهوم سائداً حتى اليوم، فابنُ القبيلة الحقيقي هو الذي يقف مع أفراد العشيرة سواء أكان بالحق أم بالباطل .

أخي الفاضل، لا مانع من معاونتهم بالمعروف فيما لا يضر بالناس، أما أن يتحول الباطلُ حقاً، والحقُّ باطلاً من أجلهم فلا، وقد روي عند الإمام أحمد وأبي داود وسكت عنه المنذري قولُ النبي ﷺ : «**مثل الذي يعين عشيرته على غير الحق مثلُ البعير تردى في بئر فهو يُنزَع بذنبِه**» .

٣ ـ في التعصب المقيت للقبيلة والجنس والاحتجاج بالعادات تشبه بالكفار : انظر إلى حجة القوم في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الزخرف: ٢٣-٢٤]، إنهم مستمرون على الكفر مادام الكفر هو دين

الآباء والأجداد، ما أخطره من منهج، وما أشنعه من تقليد، ولخطر هذا الأمر فقد اعتنى به الإسلام اعتناءً أعاده إلى الجادة، وأرجعه إلى الصواب.

إن الإسلام لا يصادر قوة القبيلة، ولا يستهين بذلك التجمع، بل إنه يستفيد منه، لكن بشرط أن يكون ذلك الأمر منضبطاً بالضوابط الشرعية لا يتجاوزها، إن الإنسان لن ينسلخ من قومه، ولن يناصبهم العداء إن كانوا على دينه، بل هذا التعصب قد يكون أحياناً سبباً للخير من حيث لا يراد له ذلك، ذكر ابن إسحاق صاحب السيرة أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه ونال منه ورسول الله ﷺساكت، ثم قام ودخل المسجد، ومولاة لابن جدعان تسمع الكلام فأخبرت حمزة عمَّ النبي ﷺ وكان مشركاً، فغضب من أجل ابن أخيه، فجاء إلى القوم وهم في ناديهم فقال مخاطباً أبا جهل: أتشتم ابن أخي وأنا على دينه؟ ثم ضربه بالقوس فشجه شجة منكرة، فثار رجال من بني مخزوم لينصروا أبا جهل فقال: أبو جهل دعوا أبا عمارة، فإني والله سببت ابن أخيه سباً قبيحاً.

فانظر **أخي الكريم** إلى قوة تأثير القرابة وعصبية الدم، وكيف كانت سبباً في إسلام حمزة ﷺ.

لقد هذب الإسلام أمر العصبية، وأذاب تلك النزعةَ الخطيرةَ التي تجعل القبيلة هي مصدر الأمر والنهي، وجعل الأصل الذي عليه يجتمعون وإليه ينتسبون وبه يفتخرون هو الإسلام (الدين).

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

لقد أدرك الناس بعد نزول الوحي أن الوشيجة التي يجتمعون عليها ليست وشيجة الدم والنسب، ولا الأرض والوطن ولا القوم والعشيرة، ولا اللون

٢ـ العصبية قد تحمل الإنسان على التمادي في الباطل رغم قناعته ببطلانه، هذا أبو طالب عم النبي ﷺ يحمي رسول الله ﷺ من أذى قريش، ويوجد له المكان الآمن للدعوة والتبليغ، ويقتنع تماماً بما عنده من الصدق فيما يقول، لكن حاجز القبيلة وأعرافها يحول دون النطق بالشهادة المنجية، انظر إليه يقول عن النبي ﷺ مبيناً شدة التعصب بسبب رباط القبيلة رغم الخلاف في المعتقد:

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه ... ربيعُ اليتامى عصمة للأرامل

فوالله لو لا أن أجيء بسبة ... تُجرّ على أشياخنا في المحافل

لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جداً غير قول المهازل

كان لزاماً في عرف القبيلة أن ينتصر ابن القبيلة لمثيلته ظالماً أو مظلوماً، وما زال هذا المفهوم سائداً حتى اليوم، فابنُ القبيلة الحقيقي هو الذي يقف مع أفراد العشيرة سواء أكان بالحق أم بالباطل.

اخي الفاضل، لا مانع من معاونتهم بالمعروف فيما لا يضر بالناس، أما أن يتحول الباطلُ حقاً، والحقُ باطلاً من أجلهم فلا، وقد روي عند الإمام أحمد وأبي داود وسكت عنه المنذري قولُ النبي ﷺ: «**مثل الذي يعين عشيرته على غير الحق مثلُ البعير تردى في بئر فهو يُنزَع بذنبِه**».

٣ ـ في التعصب المقيت للقبيلة والجنس والاحتجاج بالعادات تشبه بالكفار: انظر إلى حجة القوم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الزخرف: ٢٣-٢٤]، إنهم مستمرون على الكفر مادام الكفر هو دين

الآباء والأجداد، ما أخطره من منهج، وما أشنعه من تقليد، ولخطر هذا الأمر فقد اعتنى به الإسلام اعتناءً أعاده إلى الجادة، وأرجعه إلى الصواب .

إن الإسلام لا يصادر قوة القبيلة، ولا يستهين بذلك التجمع، بل إنه يستفيد منه، لكن بشرط أن يكون ذلك الأمر منضبطاً بالضوابط الشرعية لا يتجاوزها، إن الإنسان لن ينسلخ من قومه، ولن يناصبهم العداء إن كانوا على دينه، بل هذا التعصب قد يكون أحياناً سبباً للخير من حيث لا يراد له ذلك، ذكر ابن إسحاق صاحب السيرة أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه ونال منه ورسول الله ﷺساكت، ثم قام ودخل المسجد، ومولاة لابن جدعان تسمع الكلام فأخبرت حمزة عمَّ النبي ﷺ وكان مشركاً، فغضب من أجل ابن أخيه، فجاء إلى القوم وهم في ناديهم فقال مخاطباً أبا جهل: أتشتم ابن أخي وأنا على دينه؟ ثم ضربه بالقوس فشجه شجة منكرة، فثار رجال من بني مخزوم لينصروا أبا جهل فقال: أبو جهل دعوا أبا عمارة، فإني والله سببت ابن أخيه سباً قبيحاً .

فانظر **أخي الكريم** إلى قوة تأثير القرابة وعصبية الدم، وكيف كانت سبباً في إسلام حمزة ﷺ .

لقد هذب الإسلام أمر العصبية، وأذاب تلك النزعةَ الخطيرةَ التي تجعل القبيلة هي مصدر الأمر والنهي، وجعل الأصل الذي عليه يجتمعون وإليه ينتسبون وبه يفتخرون هو الإسلام (الدين) .

أبي الإســـلام لا أب لـــي ســـواه إذا افتخـــروا بقيـــس أو تميـــم

لقد أدرك الناس بعد نزول الوحي أن الوشيجة التي يجتمعون عليها ليست وشيجة الدم والنسب، ولا الأرض والوطن ولا القوم والعشيرة، ولا اللون

٢ـ العصبية قد تحمل الإنسان على التمادي في الباطل رغم قناعته ببطلانه، هذا أبو طالب عم النبي ﷺ يحمي رسول الله ﷺ من أذى قريش، ويوجد له المكان الآمن للدعوة والتبليغ، ويقتنع تماماً بما عنده من الصدق فيما يقول، لكن حاجز القبيلة وأعرافها يحول دون النطق بالشهادة المنجية، انظر إليه يقول عن النبي ﷺ مبيناً شدة التعصب بسبب رباط القبيلة رغم الخلاف في المعتقد:

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه ... ربيعُ اليتامى عصمة للأرامل

فوالله لو لا أن أجيء بسبة ... تُجرّ على أشياخنا في المحافل

لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جداً غير قول المهازل

كان لزاماً في عرف القبيلة أن ينتصر ابن القبيلة لمثيلته ظالماً أو مظلوماً، وما زال هذا المفهوم سائداً حتى اليوم، فابنُ القبيلة الحقيقي هو الذي يقف مع أفراد العشيرة سواء أكان بالحق أم بالباطل.

أخي الفاضل، لا مانع من معاونتهم بالمعروف فيما لا يضر بالناس، أما أن يتحول الباطلُ حقاً، والحقُّ باطلاً من أجلهم فلا، وقد روي عند الإمام أحمد وأبي داود وسكت عنه المنذري قولُ النبي ﷺ: «**مثل الذي يعين عشيرته على غير الحق مثلُ البعير تردى في بئر فهو يُنزَع بذنبه**».

٣ ـ في التعصب المقيت للقبيلة والجنس والاحتجاج بالعادات تشبه بالكفار: انظر إلى حجة القوم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الزخرف: ٢٣-٢٤]، إنهم مستمرون على الكفر مادام الكفر هو دين

الآباء والأجداد، ما أخطره من منهج، وما أشنعه من تقليد، ولخطر هذا الأمر فقد اعتنى به الإسلام اعتناءً أعاده إلى الجادة، وأرجعه إلى الصواب .

إن الإسلام لا يصادر قوة القبيلة، ولا يستهين بذلك التجمع، بل إنه يستفيد منه، لكن بشرط أن يكون ذلك الأمر منضبطاً بالضوابط الشرعية لا يتجاوزها، إن الإنسان لن ينسلخ من قومه، ولن يناصبهم العداء إن كانوا على دينه، بل هذا التعصب قد يكون أحياناً سبباً للخير من حيث لا يراد له ذلك، ذكر ابن إسحاق صاحب السيرة أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه ونال منه ورسول الله ﷺساكت، ثم قام ودخل المسجد، ومولاة لابن جدعان تسمع الكلام فأخبرت حمزة عمَّ النبي ﷺ وكان مشركاً، فغضب من أجل ابن أخيه، فجاء إلى القوم وهم في ناديهم فقال مخاطباً أبا جهل: أتشتم ابن أخي وأنا على دينه؟ ثم ضربه بالقوس فشجه شجة منكرة، فثار رجال من بني مخزوم لينصروا أبا جهل فقال: أبو جهل دعوا أبا عمارة، فإني والله سببت ابن أخيه سباً قبيحاً .

فانظر **أخي الكريم** إلى قوة تأثير القرابة وعصبية الدم، وكيف كانت سبباً في إسلام حمزة ﷺ .

لقد هذب الإسلام أمر العصبية، وأذاب تلك النزعةَ الخطيرةَ التي تجعل القبيلة هي مصدر الأمر والنهي، وجعل الأصل الذي عليه يجتمعون وإليه ينتسبون وبه يفتخرون هو الإسلام (الدين) .

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

لقد أدرك الناس بعد نزول الوحي أن الوشيجة التي يجتمعون عليها ليست وشيجة الدم والنسب، ولا الأرض والوطن ولا القوم والعشيرة، ولا اللون

واللغة، ولا الجنس والعنصر، ولا الحرفة والطبقة، إن الوشيجة المطلوبة التي يجب أن يكون عليها الاجتماع هي وشيجة العقيدة ليس غير .

لقد جاءت النصوص الكثيرة لتأكيد هذا، فإلى الذين ما زالت النعرات القبلية والعنصرية عندهم قائمة، بمقياس القبيلة يكرهون ويحبون، ويحرمون ويحلون، ويكرمون ويهينون إليهم هذه النصوص ليتأملوها ويتعظوا بها .

تذكر **أخي الكريم** أن كل الروابط سوى الدين يمكن أن توجد ثم تنقطع، هذا نبي الله نوح تنقطع بينه وبين ولده الروابط لأنه كافر، تأمل قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [هود : ٤٥-٤٦]، وامرأة فرعون تنفصل عن مجتمعها كلِّه، وتنتصرُ على ضغط المجتمع والقصر والملك والحاشية وترفع رأسها إلى السماء، إنه التجرد الكامل من كل هذه المؤثرات والأواصر والروابط، ﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ [التحريم:١١].

إنه الإدراك الحقيقي أن كل هذه الروابط لا تسمن ولا تغني من جوع، إن هي حالت بين الإنسان وبين دينه .

يقول ﷺ: «**من قاتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعَصَبية، أو يدعو لعصبية، أو ينصر عصبية فقُتل فقِتْلة جاهلية** » [رواه مسلم] .

إن رابطة المعتقد لتعلو على كل الروابط، لهذا قال الله سبحانه وتعالى في أبي عبيدة حين قتل أباه المشرك يوم أحد، وفي أبي بكر حين دعا ابنه للمبارزة يوم بدر، وفي عمر حين قتل خاله يوم بدر، وفي حمزة حين قتل عتبة وشيبة يوم بدر : ﴿ لَّا

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة : ٢٢].

إن ترك هذا التعصب للجنس أو اللون أو اللغة يجعل المسلم عالمياً، أخوه من يكون على دينه ولو كان في أقصى الأرض، لهذا جمعت العقيدة صهيباً الرومي، وبلالاً الحبشي، وسلمان الفارسي، وأبا بكر العربي القرشي تحت راية واحدة .

لو كانت الدعوة دعوة قبلية لما اجتمعت هذه الأجناس، ولوقفت هذه النعرات دون المد الإسلامي العظيم، لذلك ربى النبي ﷺ أصحابه على تذويب تلك النعرات، ومن ذلك أنه سمع صيحة من رجل، يا للأنصار، وآخر يرد يا للمهاجرين فقال : « **دعوها فإنها منتنة** » [رواه البخاري]، وقال ﷺ : «**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية** » [رواه مسلم] .

اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فإذا كان هذا هو خطر التعصب للقبيلة والجنس وبسببه يُرد الحق، وإذا كان هذا هو موقف الإسلام من هذا التعصب، فنحن ما واقعنا، وهل للتعصب للقبيلة أو الجنس أثر في حياتنا؟ إننا إذا كنا نريد الصراحة قلنا : نعم وبملء أفواهنا، نحن نلمس في مجالسنا التنابز بالألقاب، كل رجل يغمز صاحبه الحاضر أو الغائب بنسبه، أو جنسه أو لونه، ونحن نلمس اليوم أن التقدير والاحترام يؤثر فيهما في أحيان كثيرة القبيلة والجنس واللغة .

التوظيف يخضع أحياناً لتعصب مقيت ظاهر يلمسه الناس، فليس شرطاً عند هؤلاء أن يكون الموظف كفئاً بل المهم أن يكون من القبيلة أو الفئة المطلوبة، وهذا من أمر الجاهلية .

نحن نلمس اليوم من أمر التعصب الجاهلي ما يظهر عند بعض الناس من أنه إذا أُمر بأمر شرعي قال هذه عادة الآباء والأجداد، إنها حجة الجاهلية، نحن نلمس اليوم السخرية من أناس دون أناس بما يؤذيهم ويؤثر في نفسياتهم، والسبب أن لهم جنسيةً معينةً أو لوناً أو لغة أو قبيلة، إنَّ كل هذه المقاييس المتهافتة ليس لها وجود في شريعة الله، إن المقياس الحقيقي لكل ما ذكر هو (التقى) ليس غير، نحن لا نلغي القبيلة ولا دورها، ولكن لابد أن تخضع لحكم الله لهذا قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣]، إذاً هذا التميز القبلي والشعبي لا لأجل التناحر والتباغض، بل هو من أجل التعارف، ومقياس

التقديم والتكريم: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ إنه كلام ظاهر بين لمن تأمله وأراد تطبيقه، إن آثار التعصب المقيت لتظهر في الدين والمعتقد، وتبرز أيضاً في العلاقات الاجتماعية بما يسودها من شحناء وبغضاء، بل وتنعكس على إنتاج المجتمع وتقدمه عندما لا يختار الموظف المناسب في المكان المناسب، عندما تهمل كلمة علي رضي الله عنه : «قيمة كل امرئ ما يحسن »، عندما تُقَدَّم المحسوبيات والمعرفة على المصلحة العامة، عندما يكون الشعار وهو الحاصل «قيمة كل امرئ بحسبه ونسبه » بغض النظر عن قدرته ومعرفته، عندما يكون الشعار «الرجل المقرب والمعروف في المكان المناسب»، عند ذلك تظهر هذه النتائج المدمرة في نتاج المجتمع وتماسكه.

معاشر الأخوة، لا عجب أن تستمر هذه النعرات إلى اليوم فقد قال ﷺ : **«اثنتان من أمر الجاهلية لا تدعهما أمتي : النياحة على الميت والتفاخر بالأنساب »**، وهذا حكاية للواقع، وليس هو للتبرير والتعليل .

أخي الكريم، أنت مسلم رضيت برابطة العقيدة وجعلتها هي الأصل، فلا تتخل في مواقفك الحاسمة عن هذا، بل عليك أن تستمر على المبدأ الصحيح، انظر إلى العباس بن مرداس رضي الله عنه وهو يقاتل مع رسول الله ﷺ بعض بني عمه يوم حنين مخالفاً هواه ورابطة القبيلة مطيعاً ربه خاضعاً لدينه منشداً :

ويوم حنينٍ حيـن سـارت هوازنٌ	**إلينا وضاقت بالنفـوس الأضالـع**
أمام رسـول الله يخفـق فوقنـا	**لواء كخذروف السحابـة لامـع**
نذود أخانـا عن أخينا ولو نـرى	**مطالاً لكنـا الأقربيـن نتـابـع**

ولكنّ دينَ الله دينُ محمدٍ رضينا به فيه الهدي والشرائع

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

الحياء «خلق الإسلام»[١]

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فإن من أخلاق هذا الدين العظيم ، وخِلاله النبيلة، خلقَ الحياء، قال ﷺ: «**إن لكل دين خلقا وإن خلق الإسلام الحياء**» [صحيح الجامع (٢١٤٥)].

الحياء ما الحياء ؟ الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التفريط في حق ذي الحق ، وهل الإسلام غير ذلك ؟! وهل شرائع الدين تخرج عن هذا ؟! فمن مات فيه الحياء، رفع عنه الإيمان قال ﷺ: «**إن الحياء والإيمان قرنا جميعا ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر**» [رواه الحاكم وهو في (صحيح الجامع(١٥٩٩)]، وجاء في البخاري: «**الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان**»، الحياء خلق رفيع يحمل الإنسان على اجتناب اللفظ الفاحش، والقول البذيء، يبتعد بصاحبه عن الأخلاق الرذيلة، والمواضع المشبوهة، الحياء يرقى بألفاظ الإنسان وتصرفاته إلى مراقي السمو، ومقامات العلو، ويرتفع به عن السفاسف والمحقرات ، قال ﷺ : «**ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه ، ولا كان الحياء في شيء إلا زانه** » رواه أحمد وهو في [(صحيح الجامع) (٥٥٣١)] .

عباد الله، كم نحتاج إلى هذا الخلق الرفيع في نوع حديثنا، وطريقة تصرفاتنا واجتماعاتنا، وعلاقاتنا وعياداتنا، كيف لا يكون ذلك وللحياء أقسام كثيرة تشمل

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٣/ ١٠/ ١٤٢١هـ).

حياة الإنسان وعلاقاته، نذكر منها:

أولاً : حياء الجناية :

وهو حياء آدم ﷺ لما خرج من الجنة، ومنه حياء الأنبياء في عرصات القيامة، وليس عندهم ما يزري بمراتبهم العالية، ومنازلهم السامية، لكنه اتهام النفس وتعظيم العظيم سبحانه وهيبته.

لما احتضر الأسود بن يزيد بكى فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: «والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل، لأهمني الحياء منه، مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحيياً منه»، نعم إنه كلام يسطر بماء الذهب، أين الذين يقابلون إنعام الله وعفوه بالمعاصي والذنوب، سبحان الله أين الحياء من الجليل العظيم:

يا حسرة العاصين عند معادهم ... هذا وإن قدموا على الجنات

لو لم يكن إلا الحياء من الذي ... ستر القبيح فيا لها حسراتي

ثانياً : حياء التقصير:

كحياء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، فسبحان الله أين من يستحيي من ذنبه، وتقصيره في جنب الله سبحانه، أين من تلومه نفسه على قلة العمل وكثرة الخطأ، هذا هو الحياء من التقصير في حق العظيم.

ثالثاً : حياء الإخلاص :

وهو حياء المعرفة، فمن عرف الله حق المعرفة هابه وأجله، يا مؤمن أو ما

ترى الرجل المعظم في قومه، المقدم في أهل ملته، صاحب الأخلاق والمكانة كيف يهابه الناس ويستحيون منه؟، هذا عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: «والله إن كنت أشد الناس حياءً من رسول الله ﷺ، فما ملأت عيني منه عليه الصلاة والسلام ولا راجعته بما أريد حتى لحق بربه حياءً منه » [رواه الإمام أحمد في مسنده] .

يغضي حياءً ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

فإذا كان هذا هو حياء الخلق من بعضهم، فكيف يكون حياء العبد الذليل، الفقير الضعيف، من الله العظيم، القادر القاهر سبحانه، ويل للإنسان ما أكفره ! كيف لا يقدر لله حق قدره، كيف لا يهابه حق الهيبة، كيف لا يستحيي من ربه حق الحياء، قال ﷺ : «**استحيوا من الله حق الحياء، قالوا إنا نستحيي يا رسول الله، قال ليس ذاكم، ولكن من استحيا من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء** »[رواه أحمد في المسند وهو في صحيح الترمذي ٢/٢٩٩] .

تأمل **يا مؤمن** وهل يكون الذنب إلا مما ذكر، أيطلق بصرَه، ويشنف للحرام أذنَه ، ويفري في أعراض الخلق بلسانه ، مَنْ عرف الله وراقبه ؟ أم هل يأكل الربا في بطنه ، ويدخل المسكرات والمخدرات في جوفه ، مَنْ قدر الله حق قدره؟ كلا والله .

رابعاً : حياء الكرم :

كحياء نبي الهدى ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وأطالوا

الجلوس عنده، فقام واستحيا أن يقول لهم: انصرفوا فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [الأحزاب ٥٣].

خامساً : حياء الحشمة :

كحياء علي ﷺ أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذي، لكون زوجته هي بنت الرسول ﷺ (فاطمة) الطيبة المطيبة ﷺ، فقال: «كنت رجلاً مذاء فأمرت المقداد أن يسأل النبي ﷺ عنه فسأله فقال فيه الوضوء » [رواه البخاري] .

سبحان الله، أين هذا من كلمات تخدش الحياء، ويقطر منها جبين العفة، تقال في المجالس وتجال في الأفواه، يتندر بها بعض الناس، ويصرحون حين ينبغي التعريض، إنها نتائج المسلسلات التي نشرت ألفاظ الحب والغرام، والغزل والهيام ، وأحياناً الفحش والإجرام ، حتى مات الحياء في النفوس .

سادساً : حياء الاستحقار واستصغار النفس :

كحياء العبد من ربه عز وجل حين يسأله حوائجه، فإنه يحتقر نفسه أن يسأل العظيم سبحانه، كما قال بعضهم، إني لأستحيي أن أسأل ربي الدنيا وهو مالكها، ولكن من فضل ربي سبحانه أنه أمرنا بالسؤال تكرماً منه وفضلاً فقال : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر: ٦٠] فله الحمد والمنة .

سابعاً : حياء المحبة :

وهو حياء الذين أشرقت قلوبهم بمحبة خالقهم ، فلم يكن في القلب إلا هو

سبحانه، فعند ذكر صفاته أو عرض بعض آلائه، تعرض للقلب روعة شديدة، وتلك منزلة لا يدركها الذين صرفوا المحبة إلى ملذات الدنيا وشهواتها، ولا الذين تعلقوا بصور الغانيات وأنغام الأغنيات، إنما هي للركع السجود، العاكفين في محراب العبادة ، التالين للذكر الحكيم .

ولا يكون هذا الخلق النبيل إلا باستكمال أركانه: الحياء من الله، الحياء من الملائكة ، الحياء من النفس، الحياء من الناس .

فأما الحياء من الله، فهو ما سبق من حفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ومن عرف ربه وتذكر مراقبته له خجل وانكسر، وابتعد عن كل قبيح، سبحان الله كيف يجرؤ الإنسان على هتك الأستار، والإقدام على الخنا والعار، وهو يعلم أن الله مطلع عليه يراه ويسمعه، ويحصي عليه ، ولا تنظر **يا عبد الله** إلى صغر المعصية ولكن انظر عظمة من عصيت ، وقال رجل يسأل عن حفظ العورة، أرأيت يا رسول الله: إن كان أحدنا خالياً؟ فقال ﷺ: «**الله أحق أن يستحيا منه**» [رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي] ، وروى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن موسى كان رجلا حيياً ستيراً لا يُرى من جلده شيء استحياء من ربه**» وهذا أبو موسى الأشعري ﷺ يقول: «إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي ،حياء من ربي عز وجل » .

وهذا الصديق ﷺ يقول: «أيها الناس استحيوا من الله، فوالله ما خرجت لحاجةٍ منذ بايعت رسول الله ﷺ أريد الغائط إلا وأنا مقنع رأسي حياءً من الله»، فأين هذا ممن يكشفون عوراتهم أمام الناس في المسابح والنوادي، وأين هذا ممن خلعوا الحياء بالكلية فتاجروا بالأعراض علناً على الشاشات، وسوّقوا بالعورات

المنتجات، سبحان الله ما أعظم الفرق! فيا مؤمن تأمل في حالك وحال زوجتك وبناتك، وربهن على الحياء والحشمة، فإن المرأة إذا فقدت الحياء ضاع منها كل شيء ، انظر إلى الفتاة المؤمنة كما صورها الله سبحانه : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص: ٢٥]، قد كبلها الحياء وفرش لها حتى خطت فيه قدماها، فلا ضرب بالرجل والكعب، ولا إظهار لصوت الخلخال، ولا تكسر ولا تمايل ، كذلك في القول لا تغنج ولا خضوع بل كلام بقدر الحاجة، وحديث كله طهر وعفة.

يا ويح من لا يستحيي من ربه، كم سينزلق في الموبقات، ويعب من الشهوات، وهل وقع المذنبون في ذلك إلا بسبب قلة الحياء من ربهم، يقول محمد بن الفضل: «ما خطوت ـ أربعين سنة ـ خطوة لغير الله، وأربعين سنة ما نظرت في شيء استحسنه حياءً من الله » إن القلوب المتيقظة التي عاشت على الطهر وقدرت ربها الجليل حق قدره تبقى متيقظة دوماً، وحية أبداً، ذكر عن محمد بن سيرين أنه قال: «ما غشيت امرأة قط لا في يقظة ولا في نوم غير أم عبد الله (زوجته)، وأني لأرى المرأة في المنام، فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري» سبحان الله حياء من الله حتى في المنام، أيَّةُ قلوب هذه التي يحملونها !.

وهذا عمرو بن عتبة، كان يخرج للعدو مع الناس فلا يتحارس الناس لكثرة صلاته وقيامه، رأوه ليلة يصلي فسمعوا زئير الأسد فهربوا، وهو قائم يصلي، فلم ينصرف ، فقالوا: أما خفت الأسد: فقال: «إني لأستحيي من الله أن أخاف شيئاً سواه » هذا والله الحياء، الناس يتعرضون أحياناً للموت حياء من الناس، وخوفاً من الذم والفضيحة، وكل ذلك رياء وسمعة، وأسوأ من هذا أولئك الذين

يتركون بعض فرائض الله حياء من أصحابهم، وخجلاً من نقد أقرانهم، فيستحيي بعضهم أن يصلي في مجمع من الشباب، أو يستحيي أن يؤذن، أو غير ذلك لا جهلاً ولكن خجلاً، أما لو غنى فهو المقدم وصاحب السبق، فبئس الحياء يمنع من الطاعة ويجرئ على المعصية، تقول عائشة رضي الله عنها: «رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين» .

أما الحياء من الملائكة فقد قال فيه بعض الصحابة: «إن معكم من لا يفارقكم، فاستحيوا منهم وأكرموهم»، ومن ألأم ممن هتك ستر الله أمام هؤلاء الملائكة المقربين الذين قال الله عنهم: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الانفطار: ١١].

يا مؤمن تذكر قبل أن تذنب كيف يتأذى الإنسان من الفجور من إنسان مثله، فكيف بالملائكة المقربين، وكيف يكون أذاهم، تذكر بها ذا سيشهدون عليك يوم القيامة ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ق: ٢٣]، يقول عبد الرحمن بن ليلى: «ما على أحدكم إذا خلا أن يقول للملك: أكتب فيملي خيراً فيقول: سبحان الله والحمد لله».

أما الحياء من الناس فإنه خلق جميل، وطبع مركب في الإنسان صاحب القلب الحي، قال حذيفة رضي الله عنه: «لا خير فيمن لا يستحيي من الناس، ومن لا يستحيي من الناس من عمل القبيح فلن يستحيي من ربه» .

وهذا مقياس عظيم لو عقله الناس، قال ﷺ للرجل الذي استوصاه: «**أوصيك أن تستحيي من الله كما تستحيي من الرجل الصالح في قومك**» [رواه الإمام أحمد] ، وقال الألباني إسناده جيد [السلسلة الصحيحة رقم (٤٧١)]، فعليك بهذا المقياس **ايها الفاضل**، كلما هممت بخطأ أو ذنب أو أمر قبيح، تذكر أيمكن أن تفعله أمام

أحد شرفاء وصلحاء قومك أم لا، والله أحق أن يستحيا منه، **معاشر الفضلاء** أما ترون بعضنا يأتي يوم الجمعة بثياب النوم، أو ملابس الرياضة، ولو قيل له نريد أن نزور فلاناً، قال نعم، لكن بعد أن أغير ثيابي، ولو قيل له: لماذا؟ لقال: أستحيي أن أقابلهم بملابسي هذه، سبحان الله أليس الله أحقّ أن يستحيا منه !.

عباد الله، وبمجالسة الأخيار يحيا هذا الأمر في قلب الإنسان، بل ويتمكن منه فيتعود بإذن الله على الخيرات وترك المنكرات، تعلق رجل بامرأة من أهل الشام فتعرض لها وبيده سكين لا يقترب منه أحد إلا عقره، والمرأة تصيح بين يديه ، فمر به بشر الحافي فدنا منه، وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل على الأرض، ومضى بشر وسلمت المرأة، فسألوا الرجل عن حاله وكان يتصبب عرقاً، قال ما أدري ولكن حاكّني شيخ، وقال لي إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل، قال فضعفت وهبته وسقطت على الأرض، قالوا: أتدري من الرجل قال لا، قالوا إنه بشر الحافي أحد الزهاد العباد، قال الرجل: واسوأتاه كيف ينظر إليّ بعد اليوم، وحّم الرجل من يومه، ومات في اليوم السابع، سبحان الله إذا كان هذا هو أثر الحياء من إنسان، فكيف يكون الحياء من خالق الإنسان جل جلاله .

عباد الله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فهذه نماذج حيَّة، لهذا الخلق الجليل، من الرعيل الأول، نسوقها لشحذ الهمم:

كان حياء الرسول ﷺ في القمة والذروة العليا، «**كان ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا رأى شيئاً كرهه عرفناه في وجهه** » [رواه البخاري]، ولما تردد بين ربه تعالى وبين موسى عليه السلام في تخفيف الصلاة قال في آخرها: « **سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم**» [رواه البخاري].

وذلك عثمان ذو النورين يقول عنه ﷺ: «**ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة** » [رواه مسلم] .

وتلك فاطمة بنت المصطفى ﷺ، «لما جاءها أبوها ﷺ وهي مع زوجها عليّ وجلس بينهما غلبها الحياء حتى أدخلت رأسها في اللحاف حياء من أبيها» [رواه البخاري].

وتلك أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله ﷺ قالت: «كنت أدخل البيت الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبي رضي الله عنه، واضعة عني ثيابي وأقول إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر رضي الله عنه معهما توقفت، فو الله ما دخلته إلا مشدودة علي ثيابي حياءً من عمر رضي الله عنه »، فلله درك يا أم المؤمنين، حياءٌ حتى من الأموات.

وتلك فاطمة بنت عتبة جاءت مبايعة للنبي ﷺ فأخذ عليهنّ « **ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين**» فوضعت يدها على رأسها حياءً، فأعجبه ذلك

منها، فقالت عائشة ﵂: أقري أيتها المرأة فلقد بايعناه على ذلك .

هذه بعض الصور المشرقة للحياء، وتلك بعض منازله وآثاره فالله به فإنه خلق الإسلام.

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

الصدق والجنة[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فينادي منادي الجهاد في غزوة العسرة غزوة تبوك، ويتأهب المسلمون، وينطلق الركب الميمون لإعلاء كلمة الله، ودفع الباطل وأهله.

يخرج المؤمنون مخلفين وراءهم الظلال والثمار، والزوجات والأولاد، يخرجون تلفحهم الصحراء بحرها، وتحفي المفازات أقدامهم لبعدها، كل ذلك طلباً لمرضاة الله، طلباً لجنة الله، ولم يتخلف من أهل الإيمان إلا ثلاثة منهم كعب بن مالك ﷺ الذي أحس بعظم الذنب، ونازعته نفسه في الكذب، ولكن هيهات أن يكذب من خالط الإيمان بشاشة قلبه، جاء كعب وهو يعلم أن الله مطلع على السرائر، فقال يا رسول الله: «لئن حدثتك اليوم بحديث كذب ترضى به عني، ليوشك الله أن يسخط علي»، تأمل **يا مؤمن** حياة القلوب، ونظافة النفوس، وعمق الإيمان، ثم قال: «ولئن حدثتك حديث صدق تجد فيه عليّ، إني لأرجو فيه عقبى من الله، يا رسول الله، والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك».

يا له من نموذج ما أرفعه في الصدق، نموذج لا بد أن تتذكره القلوب، نموذج لا بد أن يعيش طيفه بيننا، لأننا فرطنا كثيراً في هذا الجانب.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة عام (١٤٢٣هـ).

يا مؤمن، تأمل هذا الموقف ثم تأمل بماذا ختم الله آية التوبة على هؤلاء الصادقين، لقد قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، كونوا مع الفئة المختارة المصطفاة، لأنه لا يوفق لهذا الخلق كل أحد، قال معروف: « ما أكثر الصالحين وما أقل الصادقين» .

الصدق **يا عباد الله** منزلة رفيعة، قرن الله ذكر أصحابها مع ذكر الأنبياء كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء: ٦٩]، لذا كان أعظم هذه الأمة إيماناً بعد نبيها هو أبو بكر رضي الله عنه وكان جديراً بلقب(الصديق)، الصدق **يا عباد الله**، راحة للضمير، وطمأنينة القلب، لذا قال ﷺ كما عند الترمذي: «**الصدق طمأنينة والكذب ريبة** » .

والصدق **يا عباد الله**، معناه الضيق مطابقة منطوق اللسان للحقيقة، ومعناه الواسع مطابقة الظاهر للباطن، فالمظهر والمخبر سواء، المنطوق والمكنون سواء، لذا ذُكِرَ المنافقون في الصورة المقابلة للصادقين في قوله تعالى: ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٤] .

وإذا كان ذلك هو معناه الواسع فاعلم يا عبد الله، أن حقيقته هي «القول بالحق في مواطن الهلكة»، حقيقته «أن تصدق في موطن لا ينجيك فيه إلا الكذب»، ذلك هو الصدق، وضوح في كل موقف .

واعلم رعاك الله أن الصدق ثلاثة أقسام :

صدق مع الله، وصدق مع الناس، وصدق مع النفس .

الصدق مع الله، يعني توحيده وإفراده بالعبادة ، يعني الإخلاص والنظافة من شوائب الشرك .

تأمل **رعاك الله** كيف قال سبحانه : ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٨]، فحتى أهل الصدق سيسألون عن صدقهم، فالصدق يحتاج إلى إخلاص وتجرد .

يقول المحاسبي رحمه الله: «واعلم رحمك الله أن الصدق والإخلاص، أصل كل حال ...، والصدق في ثلاثة أشياء لا تتم إلا به: صدق القلب بالإيمان تحقيقاً، وصدق النية في الأعمال، وصدق اللفظ في الكلام ».

تذكر **يا عبد الله**، موقف كعب بن مالك المتقدم، لقد صدق مع ربه فرفع الله قدره، فماذا عساه يقول؟ أولئك الذين لا يقيمون لرقابة الله وزنا، يعملون الأعمال، وقد ينفقون الأموال، كل ذلك ابتغاء مرضاة البشر، همهم مدح الناس لهم وثناؤهم عليهم، أفسد الرياء أعمالهم وضيع أعمارهم، أما الذين صدقوا في نياتهم، فقد حقق الله أمانيهم، فبلغوا أقصى آمالهم، ومنهم ما زال على الطريق سائراً، جاء رجل إلى النبي ﷺ بعد إحدى الغزوات فأعطاه رسول الله ﷺ حقه في الغنائم فقال الرجل: «ما على هذا بايعتك، إنما بايعتك على أن أُضْرَب بسهم من هاهنا وأشار إلى حلقه، ويخرج من هاهنا وأشار إلى قفاه»، ثم ولى، فقال ﷺ: «**إن تصدق الله يصدقك**»، وفي المعركة حصل ما قال ومات شهيداً : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقال ﷺ: «**من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**» ، ذلك هو الصدق مع الله ، سبيل الرفعة

والفلاح، والفوز والنجاح.

وأما الصدق مع الناس: فيعني مطابقة المنطوق للواقع، يعني نقل الحقائق كما هي، فلا تدليس ولا كذب، ولا مراوغة ولا نصب، بل وضوح وبيان، هذا هو المؤمن وتلك إحدى سماته، ودلائل إيمانه، قال ﷺ: « **آية المنافق ثلاث وذكر أولها: إذا حدث كذب** » فيا ويل من ينشر الأكاذيب بين البشر، ويذيع الأباطيل بين الناس، عبر مجلة أو جريدة، أو قناة أو إذاعة، أو حديث أو مكالمة، ويل له فقد وصفه ﷺ في أحد من مشاهد الآخرة فذكر أنه رأى « **رجلاً يشرشر شدقه إلى قفاه، فقال ذلك الذي يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق** »، [رواه البخاري].

فيا مؤمن، لا تكن بوقاً للأخبار، تنقل سقيمها وصحيحها، دون تثبت ولا روية، ألست ترى **أيها الفاضل** كيف ينتشر بعض التلفيق والكذب، عبر وسائل الإعلام، ألست ترى إلى أولئك الذين يسارعون بنقل الأخبار المزيفة عبر الصحف السيارة، والهواتف النقالة، وصفحات الشبكة العالمية، أليس ذلك من الكذب الذي يبلغ الآفاق.

ومن أخطر مزالق الكذب المنافي للصدق، الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ، وإبلاغ ذلك للناس قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأنعام: ٢١]، قال ﷺ: « **إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** » [رواه البخاري].

يا عبد الله، تأمل اليوم حال أولئك الذين ينسبون الأقوال إلى النبي الكريم ﷺ، دون توثيق ولا تمحيص ولا إسناد، وبعضهم يسترزق بها، فيروج لسلعته بالأحاديث الموضوعة والأخبار المكذوبة، واليوم نرى من يبادر إلى الفتوى في

صدور المجالس أو صفحات المجلات، وهم من أجهل خلق الله بذلك، نرى من يحلل ويحرم على صفحات الجرائد، وعبر القنوات في أمور يتوقف فيها كبار العلماء، إنها جرأة كبيرة يوم غاب الخوف من الكذب على الله وعلى رسوله.

تأمل **يا مؤمن** هذا الموقف لرجل من أعظم علماء الدنيا، إنه ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن ﵄، حيث أورد مسلم في مقدمة صحيحه أن بُشَيْراً العدوي كان بحضرة ابن عباس يحدث، وابن عباس لا يأبه به، ولا يبالي بحديثه، ولا ينظر إليه، فقال بشير: يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي ، أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس: « إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بأسماعنا، فلما ركب الناس الصعب والذلول ـ أي تحدثوا في الأمور السهلة والصعبة وهذا حالنا اليوم ـ لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف ».

فانتبهوا **يا عباد الله**، لما تقولون وما به تتفوهون، خصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بدين الله ، فإن كذباً على الله ورسوله ليس ككذب على الناس.

ومما يكثر فيه الكذب، ويقل فيه الصدق، المزاح والمرح، لذا جاء التنبيه على ضرورة الصدق فيه، قال ﷺ فيما أخرجه الترمذي بسند حسن : «**ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له** ».

يا له من شقاء أن يتفنن الإنسان في اختلاق الأحاديث، وادعاء القصص، وترويج النكت والمسليات، فيضحك الناس، ويسرون، وهو يعود بالشقاء والكذب، والوعيد بالويل والثبور.

يا امة الإسلام، تأملوا عظمة هذا الدين، يشدد على الكذب ويأمر بالصدق

في أمر يعده الناس من توافه الأمور، وهي الطرائف والمضحكات فما بالك بالأمور العظيمة، والأحداث الجسيمة.

ومما ينبغي فيه الصدق، المديح والثناء، فبعض الناس يتملق الكبراء بحديثه، ويكيل الثناء بغير حساب فيجاوز الحد، ويهرف بما لا يعرف، كل ذلك لينال عرضاً من الدنيا قليل، ولما كان ذلك مما يفسد ولا يصلح أَمَر ﷺ: «**بأن نحثو في وجه المداحين التراب**» [رواه الترمذي] ، وأما من مدح الرجل بما فيه، فلا يدخل في ذلك إذا كان دون إسراف، «**وليقل أحسبه كذلك والله حسيبه**» [رواه البخاري].

ومن عجيب أمر الناس أنهم يتبارون في المدائح شعراً ونثراً، ويتجاوزون الحد في المدح والثناء، ويلهم كيف يفعلون ذلك ورسول الهداية صاحب المناقب والفضائل، وهو الأحق بالمدح والثناء يقول: «**لا تطروني كما أَطْرَت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله**» .

ومما نص الشارع على ضرورة الصدق فيه: البيع والشراء لما في ذلك من حفظ مصالح الناس، وما أعظم خطر الكذب في التجارة، ولعلكم تلحظون أيها الفضلاء كثرة الكذب والتزوير، والتقليد والتلفيق، كل ذلك لترويج السلع، ولكن ما أقل البركة وما أكثر المحق، قال ﷺ : «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما فعسى أن يربحا ربحا ما، وتمحق بركة بيعهما**» .

ومما يؤسف له أن تكون الوعود المخلفة، هي عادة أكثر المسلمين، يتساهلون فيها، حتى عُرف غيرهم بقيمة الوعد، وما أحوجنا إلى تقدير الكلمة، ومعرفة قيمة الموعد فتلك أخلاق الأنبياء، تأمل كيف بدأ سبحانه وتعالى في سرد صفات

إسماعيل ﷺ بصدق الوعد قبل الرسالة والنبوة فقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝﴾ [مريم: ٥٤] . يمدحه الله بصدق الوعد وأحدنا الآن لشغل يسير، أو حاجة تافهة يضرب بالموعد عرض الحائط .

يا عباد الله، هذه بعض جوانب الصدق مع الناس، تأملوا كم نحن بحاجة إليها، تأملوا كم تجاوز فيها الناس، وكم أهملها من أناس، كم جرت من ويلات وأفسدت من علاقات؟.

وأما **الصدق مع النفس**، فهو ألا تخادع ذاتك، حين تعلم الحق ويظهر لك، ألا ترى أيها الفاضل أننا أحياناً ندرك الخطأ والخلل، والحرمة والمنع في أمر (ما) ومع هذا نجادل ونحاول إقناع أنفسنا بخلاف ذلك، ومن الصدق مع النفس الاعتراف بالخطأ، والرجوع عن الزلل، بعضنا لو بان له الحق وظهرت له أدلته، وبانت له محجته، ينكر ويكابر مع يقينه بأن ذلك حق، وهذا خلل لا يستقيم معه اعوجاج الإنسان ، ولا يصلح حاله ، وقد سلكه فرعون من قبل فهلك وخسر ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝﴾ [النمل:١٤].

عباد الله، هذا هو الصدق، هذا هو طريق الجنة قال فيه نبي الرحمة : «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ...**» [رواه البخاري]، إنه طريق مضى فيه الصالحون، وفاز فيه الصادقون، صدقوا الله فصدقهم الله، فأين أنت يا مؤمن من تتبع آثارهم والسير على منهاجهم .

اللهم وفقنا لصالح الأعمال والأخلاق، وجنبنا سيئ الأعمال والأخلاق يا أرحم الراحمين.

عباد الله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فمما ينبغي العناية به، غرس هذا المبدأ في نفوس الأبناء ، حتى يكون حلية لهم في حياتهم، وتاجا جميلاً يرفع على رؤوسهم، لأن الصدوق محبوب، مقرب مرغوب، لأن الصدق من جماع الخيرات، وسبيل الجنات، وأساس الحسنات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها » .

فعليك **أيها المربي الفاضل**، بهذه الخطوات مع ولدك عل الله أن يوفقك لغرس هذه الفضيلة في قلبه فتسعد ويسعد .

أولاً: كافئ ولدك الصادق بعدم عقابه فيما صدق فيه، فإذا كسر الطفل زجاجاً مثلاً، وصدقك في ذلك فأشعره بأن الذي صرف عنه العقاب هو صدقه، لأنك لو عاقبته لظن الطفل أن عقابه بسبب صدقه فيلجأ إلى الكذب لينجو في المرة القادمة .

ثانياً: كن قدوة حسنة له، فإياك والكذب معه أو أمامه، فإن ذلك هو البلاء وهو أمر منتشر، ألا تعرف أحداً، بل ألا تجد من نفسك أحياناً أنك تقول لولدك رد على الهاتف أو جرس الباب، وقل: والدي غير موجود، أما تعلم أنك بذلك تربيه على الكذب وتنزع منه فضيلة الصدق.

وعليك أن تكون حريصاً في وعده، فلا تعده إلا بما تقدر على تحقيقه، قال ﷺ كما في المستدرك بسند صحيح: «**إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، ولا أن**

يوعد الرجل ابنه ثم لا ينجز له». وروى أحمد في المسند قوله ﷺ: «من قال لصبي: تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة».

ثالثاً: لا تكثر من اتهامه بالكذب، بأن تقول له فيما لا يظهر فيه الصدق أنت كذاب، وتكرر ذلك عليه في كل موقف، بل قل له: أأنت متأكد من ذلك، فإن الله يراك ويسمعك، أيقظ رقابة الله في قلبه، ويكفيه ذلك .

رابعاً: ذكره وعظه بفضل الصدق وخطورة الكذب من خلال قصة هادفة أو جلسة إيمانية ، فإن الله قال عن لقمان : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣]، فالوعظ من طرق التربية الناجحة .

خامساً : امدحه بالأخلاق الطيبة وأثن عليه بها ، فلذلك أثر عظيم في ذوبان الصفات السلبية من قلبه .

سادساً : أكثر من الدعاء له بأن يرزقه الله الأخلاق الفاضلة وأن يبعد عنه سيئها ، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو بأن يوفقه الله لصالح الأخلاق والأعمال وأن يصرف عنه سيئها .

يا عبد الله: لتكن حياتك وحياة أسرتك كلها صدقاً، اجعل مدخلك صدقاً ومخرجك صدقاً، وليكن لسانك لسان صدق فتلك مطالب الصالحين، قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الإسراء:٨٠] .

وهذا إبراهيم عليه السلام يدعو: ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

[الشعراء: ٨٤].

هذه دعوات الأنبياء والصالحين فادع بها، واحرص عليها علَّ الله أن يرزقك قدم صدق ، ومقعد صدق، كما قال تعالى : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٥].

عباد الله ، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

نعمة الأمن[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان:٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣]، آيات متعددة، وخطابات متكررة ، كلها تُذكِّر العبد بنعم المولى عليه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر:٣]، نعمة في الولد، ونعمة في البلد، نعمة في البدن، ونعمة في المال، نعم متعددة ، وآلاء متنوعة، وأجلها نعمة إتمام هذا الدين، فليس هناك نعمة تدانيها، لذا امتن الله على عباده بها في قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة:٣].

ومن النعم العظيمة على الإنسان نعمة الأمن واندحار الخوف، إن الأمن إذا ضرب أطنابه في موطن، نعم أهل ذلك المكان، واستقر أمرهم، ورغد عيشهم،

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٩/ ٢/ ١٤١٧هـ).

وحسن حالهم، والخوف إذا نزل بدار قوم، ضاق أهلها بها ذرعاً، ولو وجدت الأموال ولو كثر الأولاد.

معاشر الفضلاء: إن توفر الأمن ضرورة من ضروريات الحياة، قد تفوق ضرورة الغذاء والكساء، بل لا يستساغ طعام ولا شراب إذا فقد الأمان، والأمان في جوهره ومعناه لا يكون إلا مع الإيمان، والسلام في حقيقته لا يكون إلا مع الإسلام: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢]، **(لهم الأمن)** ما أعظمها من كلمة، جاءت في موطن المنة على المؤمنين، **(الأمن)** تلك الكلمة الغالية، **(الأمن)** تلك اللفظة التي غاب مضمونها عن كثير من البلاد والعباد، **(الأمن)** تلك المنحة الربانية لعباد الله المؤمنين.

تأمل **رعاك الله** كيف جاءت كلمة **(الأمن)** مطلقة غير مقيدة بصفة أو حال، حتى يشمل ذلك كل أنواع الأمن، **(لهم الأمن)** في بلادهم وأولادهم، **(لهم الأمن)** في أموالهم وأعراضهم ، **(لهم الأمن)** يوم يفزع الناس، **(لهم الأمن)** يوم يخاف الناس، **(لهم الأمن)** في الدنيا والأخرى، لكن بم استحقوا ذلك؟ وما صفة أولئك القوم الذين لهم تلك الأعطية؟ قال الله عنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢] ، بظلم (أي شرك).

إذاً هو الإيمان وإخلاص العبادة لله، عند ذلك يحصل المسلم على أغلى ما تبحث عنه شعوب الأرض، لهذا نجد أكثر الدول المتقدمة صناعياً، التي تملك أجهزة أمنية ضخمة، لا يمكن أن يصل فيها **(الأمن)** إلى ما يصل إليه في دولة

مسلمة تطبق شرع الله.

إن الأمن ليس ملكاً لأحد يجلبه متى شاء، ويبعده متى شاء، إنه منحة ربانية للذين يؤمنون به ويصدقون بوعده، لهذا تميزت هذه البلاد في فترة طويلة بين كثير من الدول باستقرارها وأمنها، وما ذلك إلا لتحكيم الشريعة، ولو تُخُلِّيَ عنها لانهار هذا البنيان، وحوادث التاريخ قديماً وحديثاً شاهدة على ذلك، ولهذا كانت هذه البلاد موطن استهداف من كثير من الأعداء، وكم حالوا جاهدين هدم الشريعة فيها، وإلغاء العقوبات الشرعية، إلا أن الموقف كان واضحاً والرد كان صادقاً، وما زالت المطالبات بإلغاء عقوبة القتل والإعدام قائمة، ولكن، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠].

معاشر الفضلاء، إننا ندرك جميعاً في هذه البلاد أن الذي ينجي سفينتنا في هذه البحور المتلاطمة هو الله، فلا نجاة بغيره سبحانه، فإذا حُكِّمت الشريعة، وتحقق الإسلام والإيمان، توفرت أسباب الأمن والأمان، وذلك وعد من الواحد الديان: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥]، إنها ضمانات إلهية، وأسباب حقيقية، ونتائج مرضية.

عباد الله، بلاد بلا أمن لا تنفعها رفاهية ولا حضارة، ولا يستقيم فيها بناء ولا عمارة، لذا تكرم الله على عباده بهذه النعمة، في البلد الحرام فقال: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[القصص:٥٧]، يذكر بعض أهل العلم أن هذا الوصف (وهو الأمن في البلد) قد جمع كل أجناس الحياة السعيدة؛ لهذا امتن الله على أولئك العرب المشردين بهذه النعمة، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش:٣-٤].

عباد الله، وبهذا ندرك أن نعمة الأمن عظمى، لا يقدرها إلا من سمع أو عايش الفوضى، وإهدار الحقوق، وإزهاق الأنفس، والتشريد، والقلاقل، والخوف، إن الطعام لا يُستساغ، والشراب لا يُستلذ، والمال لا يُسْعِد إذا فزع الإنسان وخاف، إذا فقد الأمان، فُقدت السعادة والهناء، وذهبت لذة السراء والنعماء، لذا وجب علينا جميعاً أن نشكر المنعم بهذه النعمة، لأن حق النعمة أن تشكر ولا تكفر، ومن حقها أن تحفظ ولا تهدر، ومن حقها أن نتعاون على حمايتها من كل من يحاول إهدارها، أو كفرها، لأنها بهذا تزول وتذهب، وإذا زالت النعم حلت النقم.

معاشر الفضلاء، إن الأمن من النعم التي سنسأل عنها يوم نلقى الله، أحفظنا أم ضيعنا، أشكرنا أم كفرنا، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر: ٨]، قال ابن مسعود النعيم: «الأمن والصحة»، فهل استشعر أحدنا ذلك، وعمل على بقاء هذه النعمة بالشكر والعمل الصالح.

معاشر الفضلاء، لئن كان (الأمن) يتوفر برسوخ الإيمان في القلوب، وتطهير الأخلاق في السلوك، وتصحيح المفاهيم في العقول، فإنه لابد مع ذلك كله من الشرع العادل، والسلطان القوي: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ

وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد: ٢٥]، إن من الناس صنفاً غليظاً لا يكفيه توجيه رفيق، ولا ينفع معه وعظ رقيق، بل لا يرده عن غيه إلا عقوبة زاجرة، وقوة صارمة؛ لذا كان لا بد من سوط السلطان مع زواجر القرآن، وقد جاء في الأثر: «**إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن**».

ولكي يشيع الأمان، ويطمئن الإنسان، شرعت الشرائع الحازمة لمعكري الأمن، ومثيري القلاقل، إنها مبادئ وأحكام من أجل ضبط المجتمعات، وحفظ الضروريات .

إن هتك الأعراض جريمة، ونهب الأموال جريمة، وإزهاق الأنفس جريمة، وزعزعة الأمن جريمة، كلها جاءت الشريعة بردع فاعلها، وعقوبة من يقوم بها، من أجل أن يأمن الإنسان، ويعيش حياة هادئة، وعيشة هانئة، وإذا تكامل التعاون بين الراعي والرعية في الوقوف أمام تيار الجريمة، خنست بإذن الله رؤوس المجرمين، وخمدت نارهم .

عباد الله، إن فشو الجريمة، وظهور الانحراف مؤذن بخطر عظيم، زادت معه معدلات الاعتداء، وكثرت معه استباحة الأعراض والدماء، وذلك بعض أسباب هجمة شرسة على هذه البلاد وأهلها، صادفت قلوباً خاوية، وأنفساً مهيأة، بسبب ضعف التربية، والبعد عن الله، وأحياناً يندس بين الصفوف من يزرع الجريمة، وينشر الرذيلة ممن هو دخيل أو عميل، فلا بد من التآزر والتعاون، وعدم التغاضي والتهاون، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة على المسلمين، والمؤمن لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، لنقف صفاً

واحداً ضد مروجي المخدرات، ومصنعي المسكرات، وناشري الرذائل والموبقات، ومثيري القلاقل والحزازات، لنحاول جاهدين حفظ النعمة التي حُرِمها آخرون والفضل الذي سُلبه كثيرون .

واعلم **أيها الفاضل**، أنك أنت قد تسهم بأعمالك في إقصاء هذه النعمة وجلب النقمة، فلا يتنصل من المسؤولية أحد، لأن الجماعات مكونة من الأفراد، وأخطاء الآحاد تهلك الجماعات، والنار مصدرها شرار ، والسيل أوله قطرة .

لعلك **اخي الفاضل**، تقول كيف أكون سبباً لنزع هذه النعمة وتكدير صفو الحياة ، نقول لك إن الله عز وجل سن سنناً لا يمكن أن تتغير أو تتبدل، فإن كنا نعيش في أمن وأمان وسلامة وإسلام، فإنه لا يمكن أن يتبدل ذلك، إلا إذا غيرنا ما بأنفسنا مع ربنا فعصينا أوامره، وانتهكنا حرماته، وتجاوزنا حدوده، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد:١١]، فلا بد أن نعود إلى أنفسنا ونصلحها مع الله فرداً فرداً .

والله جل جلاله قد يعاقب بعض الأمم والأقوام بنزع هذه النعمة من بين أيديهم، لأنهم ليسوا أهلاً لهم، بسبب كفرهم بنعمة الله ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل:١١٢] .

فانظروا **عباد الله** إلى أحوالنا مع النعم والمأكولات كم يرمى في المزابل منها كل يوم، وجد رسول الله ﷺ قطعة خبز على الأرض فرفعها ووضعها على عينه،

وقال: يا عائشة ما خرجت النعمة عن قوم ثم عادت إليهم، وتأملوا حالنا مع نعمة المال والسيارات والبيوت كيف جعلها بعضهم أداة للإفساد، فأين الشكر؟!.

وتأمل **رعاك الله** كيف جعل عقاب من يصنع ذلك الجوع وزاد معه الخوف، فنسأل الله السلامة والعافية.

وقد يبتلي الله عز وجل أقواماً بنزع هذه النعمة منهم اختباراً لهم وتمحيصاً ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥] وتأمل كيف قدم الابتلاء بالخوف على كل شيء لعظمه وشدة تأثيره.

إن كل ذلك يدلنا على أن حفظ هذه النعمة، ورعاية هذه المنة، وصون هذه الهبة، هو شأن كل واحد منا، ليس هناك جهة مسؤولة عن الأمن، وباقي الناس لا علاقة لهم بذلك، كلا، بل على الجميع أن يتعاونوا على إبقاء هذه الذخيرة، والحفاظ على هذه الركيزة، بالأخذ على يد السفيه، والإبلاغ عن المجرم والمفسد، والانصياع الكامل لأوامر الله حتى نكون أهلاً لهذه النعمة.

اللهم احفظنا بحفظك، واكلأنا برعايتك، واكفنا شر الحاقدين، ورد عنا كيد الكائدين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فإذا كنا نحرص على الأمن في البلد، ونأنس به، فلندرك أن هناك أمناً يجب أن نعمل له، إنه الأمن يوم يخاف الناس، ويفزع الخلق، إنه الأمن الذي قال الله عنه : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء:١٠٣] وقال عنه : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحجر: ٤٦].

معاشر الفضلاء، الأمن ضده الخوف، وقد نفى الله الخوف عن فئة من الناس يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، هناك في الدار الآخرة ألوان من الهلع والخوف والحزن، والعذاب والنكال والجحيم والسعير، والبكاء والعويل.

وهناك قوم آمنون من كل ذلك، من هم؟ هم المؤمنون هم المتقون، هم الذين خافوا في الدنيا فأمنهم الله يوم الفزع الأكبر، هم الذين اتبعوا شرع الله، وحكموه في حياتهم ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨].

واعلم **أيها الفاضل**، أنهما خوفان وأمنان، اثنان في الدنيا، واثنان في الأخرى وهما يتعاكسان، فمن خاف هنا من ربه أمن يوم يلقاه كما قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم:١٤] ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤١] وهذا الخوف يجب أن يصاحب الإنسان في مسيره إلى ربه، يتذكر النار والعذاب،

فيحجزه ذلك عن المعاصي، وكيف لا يخاف المسلم ورسول الله ﷺ يقول: «**لو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار**» [رواه البخاري]، فمن خاف هنا أَمِن هناك، ومن أَمِن هنا من مكر الله خاف هناك، هؤلاء السادرون الغافلون، الذين لا يقيمون لحكم الله وزناً، يعبون من الملذات، ويعاقرون المنكرات، لا يتذكرون عذاباً، ولا يخشون عقاباً، الحرام عندهم أهون ما يكون، والكبائر في نظرهم من الصغائر والدون، يا ويحهم ألا يخافون الجبار، ألا يؤمنون بالنار؟ ألا يخشون الله وسطوته، وعذابه ونقمته؟ أما رأوا الأمم كيف يأخذها الله أخذ عزيز مقتدر، أما قرؤوا قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود: ١٠٢].

عباد الله، الأمن من مكر الله نهايته خراب الأمم والممالك، من ذا الذي عنده ضمان من الله بعدم العقوبة، إن إقرار المعاصي، وانتشار الذنوب، سبب لحلول الخطوب، ودمار الشعوب، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٧ ـ ٩٩].

عباد الله، لندرك هذه المعادلة : من أمن هنا خاف هناك، ومن خاف هنا أمن هناك ، قال ﷺ : « **قال الله عز وجل : وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة ، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة**» صححه ابن حبان، ولندرك أن الأمن المنشود، والاستقرار المطلوب، هو ما كان في جنات النعيم، الذي سبيله رحمة الله وطاعته، والعمل بحكمه وشريعته ﴿ وَمَن

يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴿١١٢﴾ ﴾ [طه:١١٢]، ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحجر:٤٥ - ٤٦].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت:٣٠].

فالله الله بشكر النعم، والاستقامة على أمر الله، والبعد عما حرم الله، والخوف من سطوة الجبار، والأخذ على يد الظالم والمجرم، والتعاون على البر والتقوى، حتى تسير السفينة، ويأمن المجتمع، وحتى ينعم المؤمن في الدنيا، ويهنأ في الأخرى، فالمؤمنون لا يقصرون أنظارهم على الحياة الفانية، بل يعملون للحياة الباقية، فلنعمل قبل أن نقول : يا ليتني قدمت لحياتي .

اللهم وفقنا لمرضاتك، وجنبنا أسباب سخطك وارزقنا العافية في الأبدان والأمن في الأوطان، والصلاح في الأولاد، والطمأنينة في البلاد .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

السماحة[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فإنه مما لا يختلف فيه اثنان، أن شأن الأخلاق عظيم، وإنما تقاس الأمم بأخلاقها:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ورغم ضخامة النصوص الحاثة على حسن الخلق في ديننا، وعظم الأجور المترتبة عليه، إلا أننا مازلنا بعمومنا زاهدين في هذا الكنز العظيم، والمطلب الكريم، الأخلاقُ العالية، والتعاملات السامية مظهر من مظاهر الحضارة الحقيقية، وهي قبل ذلك جزء لا يتجزأ من ديننا الذي ندين الله به .

ومع هذا كله نجد أن في واقعنا مصادمة صارخة لهذه الدعوة الفاضلة والشمائل العالية .

وما أجمل أن نتجمل بالفضائل الحسنة، والخصال العظيمة حتى نتمثل الإسلام على حقيقته في صورة عمل ونشاط إذ الدين المعاملة.

إن موضوعنا اليوم يحتاجه التاجر في تجارته، والصانع في صناعته، والموظف في وظيفته، ويحتاجه الجارُ مع جاره، والصديقُ مع صديقه، والقريب مع قريبه .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٢٣/ ٦/ ١٤١٨هـ).

إن غياب السماحة عن مجتمعنا ظاهر، ويحتاج منا إلى وقفة محاسبة لتصحيح المسار، وحساب الخسائر.

إن السماحة في الإسلام لتتجلى في كل أمر من أموره، دقيقها وجليلها، إنها بحق بعثٌ جديد للقيم في جوهرها، لأن هذه الأخلاق لم تكن في الإسلام يوماً طلاء ذهبياً يتهافت الناس بسببه على سراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، إن السماحة في الإسلام أكبر من مفهوم (الإنسانية) الذي رفعته مؤسسات وجمعيات جاهلية معاصرة، وخدعت به شعوباً وقبائل، إن السماحة في الإسلام ليست شعاراً براقاً يرفع في وقت دون وقت، بل هي خلق سام يتسع ويتسع حتى يتجاوز الإنسان، إلى الحيوان والنبات، قال ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**» [صحيح مسلم].

السماحة هي طيب في النفس عن كرم وسخاء، وهي انشراح في الصدر عن تقى ونقاء، وهي لين في الجانب عن سهولة ويسر، وهي بشاشة في الوجه عن طلاقة وبشر، هي ذلة على المؤمنين دون ضعف ومهانة، وهي صدق في التعامل دون غبن وخيانة، هي تيسير في الدعوة إلى الله دون مجاملة ومداهنة، وهي انقياد لدين الله دون تشدد ورهبنة.

إنها لباب الإسلام، وأفضل الإيمان، وذروة سنام الأخلاق بها نكسب الناس، ونأسر قلوبهم، ونَقْسُرهم على احترامنا وأخذ أقوالنا، بها تصفو القلوب، ويسود الوئام، ويسعد الأنام، قال رسول الله ﷺ: « **خير الناس ذو القلب المحموم واللسان الصادق**، قيل : ما القلب المحموم؟ قال : **هو التقي النقي الذي لا إثم**

ولا بغي ولا حسد، قيل : فمن على أثره؟ قال : **الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة،** قيل : **فمن على أثره قال : المؤمن في خلق حسن**» [صحيح الجامع (٣٢٩١)].

عباد الله، إن هذه الغلظة التي نراها في تعاملنا ليست من ديننا في شيء، وإن هـذا الجفاء الذي نجده بين المسلمين هو أمر طارئ ومظهر يجب أن يختفي، إن المؤمن الحقيقي سمح مألوف، قال ﷺ: «**المؤمن يألف ويُؤلف، ولا خير فيمن لا يَألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس**» [صحيح الجامع (٦٦٦٢)]، بل إن السماحة هي من أفضل الإيمان، قال ﷺ: «**أفضل الإيمان الصبر والسماحة**» [صحيح الجامع (١٠٩٧)].

وهذا الخلق العظيم الذي لا يكلفنا عنتاً، هو من أفضل الأعمال، أتى رجل فقال: «يا نبي الله أي العمل أفضل قال: **الإيمان بالله وتصديقٌ به، وجهادٌ في سبيله،** قال أريد أهون من ذلك يا رسول الله؟ قال : **السماحة والصبر..**» [رواه الإمام أحمد بشواهد (٥/ ٣١٩)].

بل إن الدين كله بجميع شرائعه سماحة ويسر قال تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة :١٨٥] وسئل الرسول ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل قال: «**الحنيفية السمحة**»[أ خرجه البخاري تعليقاً وهو في السلسلة الصحيحة (٨٨١)].

ولقد كثرت أبواب السماحة ومسالكها في ديننا حثاً لنا على تمثلها، ومنها:

أولاً : في البيع والشراء والقضاء:

قال ﷺ: « **إن الله تعالى يحب سمح البيع، سمح الشراء سمح القضاء** » [رواه الترمذي وهو في صحيح الجامع (١٨٨٨)].

ثانياً : السماحة في الدَّيْنِ والاقتضاء:

قال ﷺ: «**رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**» [رواه البخاري].

وكم نحن بحاجة إلى السماحة في طلب الدَّيْنِ وإنظار المعسرين، والتجاوز عن المعوزين، حتى تدركنا رحمة الله برحمة خلقه، وحتى يتجاوز سبحانه عنا بتجاوزنا عنهم، جاء في صحيح البخاري: « **كان تاجر يدين الناس، فإذا رأى معسراً قال لفتيانه تجاوزوا عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه**» .

ثالثاً : السماحة في قضاء حوائج الناس:

لابدَّ أن نلين لإخواننا، ونسعى لقضاء حوائجهم في تواضع وسماحة، عن أنس ﷺ فيما رواه البخاري تعليقاً قال: « **إن كانت الأَمَة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت فيمضي معها حتى يقضي حاجتها**».

رابعاً : السماحة في العلم وإجابة السائل:

وهذا خلق يجب أن يتحلى به العلماء وطلابُ العلم والدعاة، مطلوب منهم أن يخفضوا أجنحتهم للسائلين، وينصحوا لهم، ويقدروا أحوالهم، ويدلوهم على ما يصلح شأنهم، سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ عن الوضوء بماء البحر فقال: «**هو الطَّهور ماؤه الحل ميتته**»[السلسلة الصحيحة]، فأجابهم على سؤالهم، وزادهم فائدة كانوا أحوج ما يكونون إليها، ولما سأل الرجل عن الساعة ورسول الله ﷺ يخطب، لم يهمل سؤاله بل قال بعد الخطبة: « **أين السائل عن الساعة آنفاً**» ثم جلس إليه وعلمه.

خامساً : السماحة في تحمل الأذى:

إن الفظاظة ليست من ديننا قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]، وقال رسول الله ﷺ: «**المؤمنون هينون لينون ...**» [السلسلة الصحيحة (٩٣٦)]، فحري بنا أن نتحمل جهل الجاهل، وفورة الغاضب، وحري بنا أن يغلب علينا خلق العفوِ والصفحِ والسماحة واللينِ .

عباد الله، ما أحوجنا إلى الخلق الجليل في زمن بلغ فيه البغض غايته، ورفع فيه الحسد رايته، ما أحوجنا إلى السهولة واليسر، والسماحة والبشر، حتى نعيش في هذه الدنيا بهناء، ونكون يوم القيامة سعداء، قال رسول الله ﷺ : «**من كان سهلاً ليناً هيناً حرمه الله على النار**» [صحيح الجامع (٦٣٦٠)]، وقال: « **ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً، على كل لين قريب سهل** » [٢٦٠٦].

عباد الله، إن خلق السماحة ولين الجانب، ليس خلقاً يمكن أن يدعيه كل أحد، إن الادعاء سهل لكن الحقائق تكذب ذلك أو تصدقه:

والدعاوى إذا لم يقيموا عليها — بينات أصحابها أدعياء

يظهر خلق السماحة عند التعامل بالدرهم والدينار، عندما تشحن النفوس بحب الدنيا وطلب المزيد، عن أبي صفوان سويد بن قيس ﷺ قال جلبت أنا ومَخْرمة العبدي بُزّاً من هَجَر، فجاءنا النبي ﷺ للوزان فسامه منا بسراويل، وعندي وزان يزن بالأجر، فقال النبي ﷺ للوزان: « **زِنْ وأرجح** » [رواه الترمذي وهو في صحيح الجامع (٣٥٦٨)].

فكان ﷺ يعطي زيادة في ثمن السلعة تسامحاً منه وكرماً، لأن الدنيا لا تساوي

عنده شيئاً .

وأما في القضاء، فقد كان ﷺ نموذجاً فريداً، فعن أبي هريرة ﷺ: « أن رجلاً تقاضى ﷺ فأغلظ له، فهم أصحاب النبي ﷺ به، فقال: **دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً، واشتروا له بعيراً فأعطوه إياه**، قالوا: لا نجد إلا أفضل من سنه، قال: **اشتروا فأعطوه إياه، فإن خيركم أحسنكم قضاءً** » [رواه مسلم] .

بهذه الأخلاق كان الرجل لا يكاد يعامل النبي ﷺ إلا ويسلم إن كان كافراً، أو يزيد إيمانه إن كان مسلماً، إننا يجب أن نكون دعاة بتعاملنا قبل أقوالنا، يجب أن نكون رحماء بإخواننا حتى تسود المودة، وينتشر الإخاء، لأن غياب التسامح يمزق شملنا، ويفرق جمعنا، كان قيس بن عبادة من الأجواد المعروفين فمرض يوماً فاستبطأ إخوانه في عيادته، فسأل عنهم فقيل له: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر منادياً ينادي من كان عليه لقيس مال فهو منه في حل، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه لكثرة من عاده وزاره . [مدارج السالكين (٢/ ٢٩٢)] .

معاشر الفضلاء، إننا يجب أن نسل سخائم البعض من قلوبنا، وننقيها من كل شائبة حسد أو حقد، ونعمرها بالرضا والتجاوز والسماحة، يقول ابن القيم رحمه الله عن شيخه ابن تيمية: « ما رأيت أحداً أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ وكان بعض أصحابه الأكابر يقول عنه وددت أني لأصحابي مثلهُ لأعدائه وخصومه، ما رأيته يوماً يدعو على أحد منهم قط، بل كان يدعو لهم، وقد جئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله

فعزاهم وقال : إني لكم مكان أبيكم، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه » [مدارج السالكين (٢/ ٣٤٥)].

عباد الله، هكذا فلتكن الأخلاق، هكذا فليكن الصفح، وهكذا فلتكن السماحة، أما هذه الجهامة الظاهرة على وجوه الموظفين والعاملين، وهذا الصلفُ البين في تعامل أصحاب رؤوس الأموال والقادرين، وهذه الشدة التي تنفر منها الطباع في الأقوال والأفعال، فهي ليست من ديننا في شيء، وليست من أخلاق المؤمنين في شيء .

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

عباد الله أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية:

أما بعد :

عباد الله، إن السماحة لا تعني الخور والضعف، ولا المهانة والاستكانة كما يظن بعض الناس، كلا، بل هي خلق عال ينبئ عن صفاء في القلوب، ووثوق بالنفس، وصدق في التعامل، ولقد خلط الناس في مفهوم السماحة وظن بعضهم أن هناك أموراً تنافيها وهي من لبابها، بل هي مفاتيحُ بابها ومن ذلك :

أولاً : الغضب عندما تنتهك حرمات الله .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شيء قط، إلا أن تنتهك حرمةُ الله فينتقمُ لله»[رواه البخاري].

هذا فليكن التوازن، سهولةٌ ويسر ولين، إلا فيما حرم الله، إن بعض الناس اليوم يرى السهولة والسماحة أن يُتَنازَل له فيما حرم الله، وإذا ما أبى المطلوب منه ذلك، وقال هذا حرام أو هذا بهتان وزور، قال أنت متشدد والدين يسر، وهذا خلط يجب أن يُقلع من العقول.

ثانياً : طلب الحق.

طالب الحق له أن يطلب حقه حتى يحصل عليه، وهذا ليس مضاداً للسماحة، لأن النبي ﷺ قال للرجل الذي أغلظ له في طلب حقه : «**دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً** » [رواه البخاري]، وقد قال الله عز وجل في وصف المؤمنين :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى :٣٩].

ثالثاً : البراء من أعداء الله.

يخلط بعض الناس بين الولاء والسماحة، ويظن أنهما شيء واحد، والحق أن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب وغيرهم شيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر، إنه لا مانع من السماحة معهم في البيع والشراء والتعامل، بل إنه يجب أن نعرض ديننا في صورة أخلاق رائعة حقيقة لاوهمية، لانغش، لانخلف، بل نحسن ونعين المحتاج، نكسو العاري، نطعم الجائع، ندعو، نبين، أما أن نواليهم فلا، والولاية هي النصرة والمحبة، إن الولاء لا يكون إلا لله ولرسوله ولدينه وللمؤمنين، لأن الكفار بعضهم أولياء بعض، فيجب أن لا يكون لهم في قلوبنا محبةٌ ولا نصرة، وظاهر من أوضاع الناس أنهم أصبحوا يخلطون كثيراً في مفهوم الولاء والبراء، الذي هو من أصول معتقد المسلم، إنه مطلوب منا أن لا ننساق وراءهم، مطلوب منا أن ننزع محبتهم من قلوبنا، لأنهم أعداؤنا مادمنا على ملتنا : ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ ﴾[البقرة : ١٢٠] .

إنه مطلوب منا أن ندعوهم ونُخلِّصهم وننقذهم من النار، كما كان يفعل نبينا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، فهذا هو اليهودي زيد بن سعنة يعلن إسلامه بسبب موقف الوفاء والحلم المحمدي العظيم، إنه موقف أخلاق أسلم بسببه الرجل، والغلام اليهودي الذي زاره رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فأسلم فقال عليه الصلاة والسلام : « **الحمد لله الذي أنقذه من النار** » .

معاشر المؤمنين أين جهودنا على مختلف أحوالنا في دعوة هؤلاء بالحسنى والخلق النبيل؟ إن الطبيب مطالب بدعوتهم، والمهندس كذلك، والكاتب،

والصانع، والتاجر، والذكر والأنثى كلنا يجب أن نكون جنوداً لديننا، ندعو إليه بجميل الأخلاق، وبدمع الأحداق، وبحسن الأقوال، وروائع الأفعال، وبذل الأموال .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة، **محمد** بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

الأمن الأسري[١]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فإن الإسلام شرع لكيان الأسرة ما يحفظه ويحرسه، ويشيده ويبنيه، هذا الكيان المبني من أول يوم على المحبة والرحمة، والمودة والألفة، قال جل شأنه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

عباد الله، إن قيام الأسرة ضرورة ملحة لإقامة مجتمع متماسك، لأن الرجلَ بحاجة إلى المرأة، والمرأة بحاجة إلى الرجل، لشيء آخر غير ضرورة الجسد ودافع الغريزة، إن كلاً منهما ليجد عند الآخر مشاعرَ نفسية، وحاجات ضرورية، يجد عنده الألفة والحنان، والطمأنينة والأمان، والمودة والوئام، وهذه المشاعر كلها لا تستقيم مع الطفرات الهائجة، والتيارات المتحولة، والنزوات الطائشة، إن الاستقرار العاطفي، والتآلف النفسي، لن يكون في أي مناخ، ولا في أي مكان إلا في أسرة وبيت.

هذه الأسرة وهذا الكيان المبارك أولاه الإسلام عناية فائقة ليستقيم بناؤه، ويستمر هناؤه، فإلى الزوج الذي يتطلع إلى حياة هادئة، وعيشة هانئة، في ظل تعاليم الإسلام نسوق هذه المحاذير التي هي من أهم أسباب تقويض بناء

---

(١) ألقيت هذه الخطبة عام (١٤١٩هـ).

الأسرة، وتحطيم علاقاتها الشرعية .

معاشر الفضلاء، إنه ما من عاقل إلا ويبحث جاهداً عن الاستقرار والسكينة والطمأنينة في بيته وأسرته، لكن ببعض أفعالنا، وقلة فقه بعضنا، قد نشارك في تقويض البناء ، وإذهاب الهناء ، وزرع الشقاء.

فإن كنت من راغبي العيشة الراضية، والحياة الهانئة، إن كنت من مبغضي التشتت والفراق، وشانئي التعنت والشقاق، فانتبه من خمسة محاذير، أسردها على مسمعك مقرونة بأدلتها الواضحة، وأحداثها الناصعة.

أولاً : احذر التفريط في الرعاية الدينية وحسن التوجيه:

فقد قال ﷺ كما في السلسلة الصحيحة (١٦٣٦): « **إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**» . وإن من الرعاية لأهل بيتك أن تعلمهم أحكام الدين وتعاليمه الشرعية ؛ لأن هناك من النساء من لا تعرف كيف تصلي صلاة صحيحة، ومنهنّ من لا تعرف أحكام الحيض والنفاس، ومنهن من لا تعرف كيف تعامل زوجها معاملة شرعية، بل ربما وقع بعضهنّ في الشرك عياذاً بالله ، كالنذر لغير الله والسحر والكهانة، ولا تعجب **أيها الفاضل** من هذا الكلام ولا تظن أن فيه مبالغة فإن الواقع يشهد به، هل يخطر ببالك أن تبقى امرأة مع زوجها عشرات السنين وهي لا تعرف الغسل من الجنابة، أم هل تتخيل أن المتعلمات في الثانويات والكليات يجهلن أحياناً أسهل قواعد أحكام المرأة، إن المرأة محتاجة جداً إلى التعليم الديني حاجتها إلى الطعام والشراب، ولنا في اعتناء النبي ﷺ بهذا الأمر مثلاً نسير عليه، حيث زوج امرأة لرجل وجعل صداقها تعليمها شيئاً من كتاب الله.[صحيح البخاري]، كما

أنه خصص يوماً للنساء يعظهنّ ويعلمهنّ فيه .

فيا **أيها الزوج المبارك** ماذا عليك لو اتبعت الخطوات الآتية لتعليم زوجتك:

١. تهديها كتيباً عن أحكام دينها ثم تناقشها فيه.

٢. تهديها شريطاً عن أحكام دينها ثم تناقشها فيه.

٣. تصطحبها معك للمحاضرات والدروس التي تخصها.

٤. تتدارس معها ومع أولادك كتاباً مثل رياض الصالحين.

٥. تربطها بصحبة صالحة من جاراتها يتعاونّ على الخير والفلاح.

٦. تكوّن في بيتك مكتبة صغيرة للكتب والأشرطة التي تخص الأسرة.

٧. تخصص لها هدية شهرية، كلما حفظت أو أتقنت شيئاً من أمور دينها.

٨. تجلب لها المجلات الإسلامية التي تناقش قضاياها.

ثانياً : احذر تلمس الزلات وتتبع العثرات :

من الأزواج من لا يرى عيباً إلا يفشيه، ولا تقع عينه على نقيصة من زوجته إلا ويقيم الدنيا ولا يقعدها، وقد نهى النبي ﷺ كما في صحيح البخاري «**أن يطرق الرجل أهله ليلاً** »، أي إذا سافر عنهم، مخافة أن يتخونهم أو يتلمس عثراتهم ، بل عليه أن يتجاوز عن بعض الهفوات، ويسامح في بعض الزلات، حتى تسير السفينة ويسلم البناء، قال عليه الصلاة والسلام: « **استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإذا ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً** » [متفق عليه] .

وجاء في الصحيح: « **لا يفركنّ مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر** »، وفي الصحيحين: (أن امرأة عمر راجعته فقال أتراجعين بالكفاء؟ ، فقالت إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك ، فقال : خابت حفصة وخسرت إن راجعته، لا تغتري بابنة أبي قحافة، فإنها حب رسول الله ﷺ»، فانظر **يا عبد الله** إلى تحمله ﷺ لما يصدر من زوجاته، وانظر إلى تعقله وهو صاحب المكانة والشرف، إنه ﷺ مثال عملي لتوجيهات القرآن قال سبحانه: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [النساء: ١٩].

وهذا عمر الفاروق يلين بعدما رأى من رسول الله ﷺ ما رأى، فيأتيه رجل يشكو خلق زوجته، فيقف على بابه ويسمع امرأة عمر تستطيل عليه وتخاصمه، وعمر ساكت لا يرد، فانصرف الرجل، وقال في نفسه إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين فكيف بحالي، فخرج عمر فرآه وناداه وأخبره بحاجته وبما سمع من زوجة عمر، فقال عمر، يا أُخَي أحتملها لحقوق لها علي، إنها طابخة لطعامي، خبازة لخبزي، غسالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام، فاحتملْها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة.

فأين هذا من أولئك الأزواج الذين لا يسامحون في هفوة، ولا يتجاوزون عن زلة، لا يرعون في أزواجهم إلاً ولا ذمة، بهذا الخلق والصبر والتحمل مع القوامة تسير الحياة الزوجية، وتتلاشى المشكلات الأسرية.

ثالثاً : احذر الظلم والتعدي في العقوبة والتأديب :

أخي الفاضل، العقاب له ضوابطه في دين الله، وله أسبابه التي تقتضيه، وأحواله التي تستدعيه، فلا يحق للزوج استغلال سلطته للتعدي والظلم، ومن مظاهر ذلك استخدام الضرب كأول خطوة في العلاج والله عز وجل يقول: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ٣٤].

ويقول ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرا فإنما هنّ عوان عندكم، ليس تملكون منهنّ شيئاً غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ ضرباً غير مبرح**» [رواه الترمذي وقال حسن صحيح].

ومن الظلم إخراج الزوجة من بيتها بدون مسوغ شرعي قال تعالى: ﴿ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ [الطلاق :١].

ومن الظلم أيضاً : الضرب على الوجه والسب والتقبيح، فقد روى أبو داود بإسناد حسن أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وسأله ما حق المرأة على زوجها ؟ فقال: «**أن يطعمها إذا طعم ، ويكسوها إذا اكتسى ، ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر إلا في البيت**» .

عباد الله، هناك صنف من الرجال لا يرى قوته إلا على زوجته أم عياله، فيعاملها معاملة الأسير عند سجان ظالم، نعجب اليوم من أناس لا ينقصهم التعليم، ولا تعوزهم المعرفة، مازالوا ينظرون إلى المرأة نظرة دونية، فتجدهم يكرمون المجلس عن ذكرها فيقول بعضهم: زوجتي أكرمك الله، أو فلانة أكرم الله مجلسكم، يا هذا أهي نجس حتى تقول عنها هذا! إن ذلك منطق أصحاب

الديانات المحرفة ، إنه لا فرق في ديننا العظيم بين ذكر وأنثى إلا بالتقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣] ، كم من زوجة هي أعظم قدراً عند الله من زوجها، فإياك والاحتقار فإنه مزلة عظيمة، وظلم كبير،لا يبقى معه بناء الأسرة طويلا، ومن أظهر نتائجه التعدي الجسدي على بعض النساء بالضرب والشتم والتقبيح، يظن بعض الرجال أنه بهذا يثبت رجولته، يا هذا ما فعل ذلك رسول الله ﷺ ، قالت عائشة رضي الله عنها: « **ما ضرب رسول الله قط بيده، لا غلاماً ولا امرأة، إلا أن يجاهد في سبيل الله**» ، لو كان خيراً لسُبقنا إليه ، الرجولة والفحولة في القوامة والعدل والرحمة ، لا في الجفاء والغلظة والظلم ، ولا يظن ظان أنه غير مسؤول عن ذلك ، بل هو موقوف بين يدي ربه ومحاسب على ظلمه وجوره ، فانتبه وتذكر قدرة الله وضعفك ، وتذكر عدل الله وظلمك، قال ﷺ : «**لا تضربوا إماء الله** ، قال عمر يا رسول الله إن النساء ذَئِرنَ (أي تجرأن) على أزواجهم ، فأذن لهم، فطاف أزواج ببيت النبي ﷺ يشكون أزواجهن فقال ﷺ : **أولئك ليسوا بخياركم** » [رواه أبو داود وصححه الألباني].

رابعاً : احذر التقتير في النفقة .

قال تعالى موجباً النفقة: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٣].

إن بعض الأزواج شحيح بخيل يقتر على أهله، ويضيق على أسرته، فيعيشون معه عيشة نكدة، والمال جارٍ بين يديه، حتى يلجئهم إلى السؤال والمذلة، هل تتخيل **اخي الكريم** رجلاً يملك مئات الألوف، وعنده عدد من العمارات

يبحث أولاده عما يلبسون أو حتى ما يأكلون في المزابل والقاذورات، إن هذا واقع رأيناه وعرفناه، إن هذا الصنف من الأزواج لم يرع الحقوق الواجبة عليه، وبهذا يعرض بناء الأسرة للزوال، لأن المرأة لن ترضى بهذه العيشة المهينة، إن الإنفاق المعتدل على الأسرة فوق كونه واجباً، هو نوع من الصدقة يثاب عليها الإنسان، جاء في الصحيحين: «**إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة**» وجاء في صحيح مسلم: «**أفضل دينار ينفقه الرجل على عياله**».

عباد الله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فقد ذكرنا بعضاً من أسباب هدم الأسرة، وإليك **أيها الفاضل** ما يكملها :

خامساً : احذر سوء المعاشرة وشائن المعاملة .

جاء في السلسلة الصحيحة: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم** » [رواه الترمذي]، فيجب على الزوج أن يكون بشوشاً مع أهله، يدخل عليهم السرور بكلامه وفعاله، جاء في السلسلة الصحيحة: « **كل شيء ليس من ذكر الله لهو أو سهو، إلا أن يكون في أربع خصال ، ومنها ملاعبة الرجل أهله** »، ومع هذا يظن كثير من الأزواج أن ملاطفة أهله واللهو معهم على غير محرم أنه من خوارم المروءة، ونقائص الرجولة، ونقول لهؤلاء أين أنتم من سيرة المصطفى، النبي المجتبى ﷺ الذي كان يلاطف أهله ويحث على ذلك، ومن الملاطفة إطعام الزوجة بيدك قال ﷺ: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى فيّ امرأتك**» [متفق عليه] .

ومن التلطف نداء الزوجة بأسماء التدليل والترخيم لزيادة المودة والمحبة، فقد كان ﷺ: «**ينادي عائشة أحياناً فيقول يا حميراء**» كما عند النسائي، والحميراء تصغير (حمراء) وصف للون البشرة، وكان يناديها أحياناً «يا عائشُ». وكان يمازحها ويلاطفها ويقول لها: «**يا عائشة إني لأعرف غضبك علي ورضاك عني، قالت وكيف تعرفه؟ قال إذا رضيت عني قلت لا وإله محمد، وإذا غضبتِ عليّ قلت: لا وإله إبراهيم، قالت صدقت، إنما أهجر اسمك**» ، وكان يقول لها ﷺ:

«**كنت لك كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك**» [رواه البخاري ومسلم]، وبلغ من إيناسه ﷺ لأهل بيته أنه إذا خلا بإحداهن يسابقها، هذه عائشة ﵂ يقول لها: «**تعالي حتى أسابقك ، قالت فسابقني فسبقته، ثم مضت الأيام فامتلأت من اللحم فسابقني، فسبقني وقال هذه بتلك يا عائشة** »[صححه الألباني في الإرواء (١٥٠٢)] .

معاشر الأزواج إن المعاملة الطيبة، والخلق الحسن يدخل من الأنس والبهجة مالا تستطيعه مغريات الدنيا كلها، وإن الشيطان حريص على هدم هذا الكيان المبارك، كيان الأسرة بالتفرقة والتشتيت والنشوز والطلاق، وإنه ينفخ في الكلمة تصدر من الزوج أو الزوجة حتى يجعلها مشكلة كبرى تستعصي على الحل، ولكن الكلمة الطيبة والاحتمال والصبر يذهب كل هذا، ومما يجب فهمه أن مؤانسة الأهل والتلطف معهم لا تعني ترك الحبل على الغارب لهم، بل المقصود المؤانسة في حدود ما أحله الشرع أما التبسط الزائد، واللين المذموم الذي يفسد معه خلق المرأة ، وتسقط به هيبة الرجل فهذا مذموم ، فلا بد من التوسط ، فلا ظلم ولا قسوة ولا عبوس ولا شدة، وكذلك لا يجوز أن ينقاد لهنّ انقياداً كاملاً يمسكن معه بزمام الأمور، وقد جاء في صحيح مسلم: «**ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء**» وقال الحسن البصري: «والله ما أصبح رجل يتبع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار »، وعند الرجل العاقل لا مصادمة بين التلطف وحسن المعاشرة، وبين القوامة والحزم والقوة، فلكل منها موطنه، وسيرة النبي ﷺ شاهد عملي لكل هذا، فرغم الأعباء التي كان يتحملها وينوء بها، إلا أنه لم يهمل أهله من جميل الكلام وحسن الفعال .

فبالخلق اللطيف وحسن المعاشرة، يؤدي الزوج لزوجته حقوقها ، وبخلق

الحزم والعدل تتحقق القوامة ويبقى كيان الأسرة متماسكاً.

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

الانتحار

(الهروب إلى الجحيم)[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فإن الإنسان إذا فقد رصيده من الاستعانة بالعظيم سبحانه، وأحاطت به خطيئته ، وتراكمت عليه ظلمات الجهل والمعصية ، وخبا في قلبه نور الإيمان ، إذا كان ذلك فلا تعجب من تلك الاعتداءات المتكررة على منحة الله للإنسان (الحياة)، لا تعجب أن يقتل الإنسان نفسه بحربة أو ضربة، أو شنق أو خنق ، أو سهم أو حرق ، إنها ظاهرة (الانتحار) ، تلك الظاهرة البشعة التي لا تظهر إلا في مجتمعات فقدت الصلة برب هذا الكون، وأظلمت جنباتها بالمعاصي والذنوب ، وألوان الكفر وكبائر الحوب .

ليس عجيباً أن نسمع العشرات أو المئات أو حتى آلاف الحالات من الانتحار في دول الغرب الكافر، رغم المدنية والرفاهية، ورغم الحرية المزيفة، ورغم الملذات التي تصل إلى حد الإقذار ، لكن العجب أن ينجر هذا البلاء وذاك الشقاء إلى بلاد المسلمين، وخصوصاً إلى بلادنا هذه ، بلاد الحرمين ، مهبط الوحي، ومنبع الرسالة الخاتمة .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٢/ ٣/ ١٤٢٢هـ).

عباد الله، نسمع بين الحين والآخر أخباراً عن هذا الاتجاه الغريب، الذي بدأ يسري في كل المدن، حتى ذكرت أحدى الصحف أنه لا يكاد يمر يوم إلا ونسمع فيه خبراً عن الانتحار أو محاولة ذلك.

يا لله ما أعظمها من جريمة، أن يعتدي الإنسان على منحة الله له، حتى لكأنه ينازع ربه في ملكه، يا ابن آدم مبدأ حياتك ليس لك، ولم يكن لك فيه رأي ولا حول ولا قوة، فكذلك إنهاؤها ليس لك، بل هو لخالقك ومدبرك، وإن من أسوأ الأمور تلك العبارات التي تصاحب نشر الخبر، من مثل قول بعض محرري الصحف «وضع فلان حداً لمأساته» ، «أو أنهى فلان معاناته»، وكأن الأمر إليه، وكأن هذا هو الحل الذي يسعى المؤمن إليه، ويعوّل عليه، إنه اجترار لعبارات قوم لا خلاق لهم ولا دين، ترجمات حرفية، ونقل في عمى لكلام أولئك الموتورين من رجالات الغرب ونسائهم ، أو هو ترديد لما اعتاد الناس سماعه مما يعرض ليلاً ونهاراً من قاذورات الإعلام العالمي، دون وعي أو إدراك، دون حصانة أو تربية.

كيف يقول هؤلاء ما يقولون ، وكيف يفكر الشباب وبعض الفتيات في هذا الأمر ، وهم يقرؤون قول ربهم سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان ٣٤].

معاشر المؤمنين، إنه لأمر محزن حقاً، أن نسمع عن أخبار الانتحار في بلادنا الخيرة، بلاد الإسلام، بلاد الإيمان، بلاد القرآن ، لقد أشارت مجلة الحسبة الصادرة عن الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في عددها الثامن والثلاثين ، إلى أنها رصدت في الصحف إحدى عشرة حالة انتحار في شهر

واحد ، وهذا ينذر بخطر كبير وشر مستطير ، هؤلاء هم شبابنا وبعض رجالنا ، وعدد من نسائنا، سلكوا سبيلاً ما كنا نعرفه، ويحهم أليس لهم رب يعتمدون عليه، ويلجأون عند الضيق إليه ، أما قرؤوا كثيراً قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾، أما عرفوا معنى الصمد ، إنه الذي يُصمد إليه ويلجأ إليه ، ويعتمد عليه عند الحوائج، ويحهم أما بين أيديهم كتاب الله يطمئن نفوسهم ، ويهدئ روعهم ، ويبعث السكينة في نفوسهم ، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ﴾ [الرعد ٢٨] .

ويحهم لماذا ينتحرون، لماذا يقتلون أنفسهم، لماذا يسيرون بأرجلهم إلى الجحيم؟ .

عباد الله أتدرون لماذا ؟ إنه الجهل بالدين، وضعف اليقين، وقلة الاعتماد على رب العالمين، والله لن يكون انتحار مع إيمان، ولا ضعف مع يقين، لكن ماذا نقول؟ قلوب خاوية، وعقول فارغة، وشهوات مشرعة، اسودت معها القلوب، فتكاثرت عليها الخطوب، وزادت عليها المآسي، فكان الإحباط، والاكتئاب، وعشرات من الأمراض النفسية، التي ييئس معها الإنسان من الحياة فيسلك سبيل الانتحار ، هروباً من جحيم الحياة إلى حيث (لا يدري)، إنه يهرب لو علم من جحيم الحياة الذي صوره لنفسه وأوقعها فيه إلى جحيم النار، وهذا مالا يؤمن به الكفار، وبعض العصاة الفجار، إن جحيم النار أعظم وأكبر لو كانوا يعقلون ، قال ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده، يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها أبداً ، ومن شرب سماً فقتل نفسه ، فهو يتحساه في نار جهنم خالد مخلداً فيها أبداً ، ومن تردى من جبل، فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً**

فيها أبداً »[أخرجه الشيخان]، هذا الوعيد غائب عن العشرات والمئات ممن لا يحضرون صلاة ولا خطبة ولا محاضرة، حياتهم مع الأغاني والغواني، لهو وطرب، ثم تعاسة وكرب، وهموم وأحزان، وانحراف وإدمان، ثم انتحار وقتل، شاب في الثامنة عشرة من عمره، يغلق على نفسه باب غرفته ويضع الحبل في مكان المروحة، ويلف الحبل حول رقبته، ثم يزيح الكرسي الذي يقف عليه ليبقى معلقاً حتى يموت، يا لها من نهاية في عمر الزهور ، في مقتبل العمر، ما سر حالته؟، ذكرت الجريدة أنه كان يمر بحالة نفسية سيئة لعدم حصوله على وظيفة، والبطالة هي من الأسباب التي تذكر كثيراً مع هذه الجريمة، فلا بد من النظر في أوضاع الشباب، وخطورة بقائهم بلا عمل، خصوصاً أن أعدادهم في ازدياد رهيب، وشاب آخر يقتل نفسه بعدة رصاصات يوجهها إلى رأسه أمام فندق عام في إحدى المدن، وغير ذلك كثير من أحوال الشباب الذين فقدوا الأمل في الحياة، إما بسبب مشكلات عائلية أو نفسية أو وظيفية، وأحياناً بسبب الخطيئة والذنب، يقترف أحدهم جُرماً فلا يجد مفراً من تأنيب الضمير، إلا بقتل النفس، وكثيرون هم الذين صرحوا بأنهم حاولوا الانتحار عدة مرات، أو على الأقل فكروا فيه بعد ممارسة بعض الخبائث عافانا الله وإياكم منها، فاحفظ نفسك يا عبد الله عن الحرام تعش سعيداً هانئاً بإذن الله.

ومن الأسباب أيضاً : الظلم والقهر وخصوصاً في جانب العمالة الوافدة، هل تعلم **أيها الفاضل** أن محاولات الانتحار في جانب الخادمات على وجه الخصوص، هي أكثر من غيرها، في بلادنا سجلت إحصائيات العام الماضي أكثر من سبعة وأربعين ألف حادثة هروب، وحسب تحقيقات الصحف فإن أكثر

أسباب الهروب والانتحار هو الظلم والضرب، وأحيانا الاعتداءات الجنسية إما من الزوج وإما من أولاده.

يا عباد الله، لا بد أن نعلم أن الظلم ظلمات يتسبب في دمار البيوت والممالك، فلماذا لا يُعطى الأجير أجره، قبل أن يجف عرقه، لماذا المماطلة بحقوق الخلق ، هؤلاء جاءوا من بلادهم وخلفوا صبية جائعين، وأسراً ضعيفة، وأحوالاً مأساوية، ألا نرحم ضعفهم ، وننظر في حالهم ، عدد من الخادمات قذفن بأنفسهن من أعلى العمارات، لكن الله كتب لهن الحياة، يذكر بعضهن أن كفلاءهنّ لا يعطونهن حقوقهن، لمدة قد تصل إلى أربع سنوات، وبعضهم يصر على بقائها عدة سنين مع الغربة، فتظلم الدنيا في وجهها، لأنها تريد أهلها وأولادها، إن هذا ظلم ولا شك، سواء مع الخادمات أم العمال، لا بد أن نعاملهم بإنسانية، على الهدي الذي يأمر به ديننا ، «**خدمكم خولكم لا تكلفونهم من العمل مالا يطيقون ، وإذا كلفتموهم فأعينوهم**»، وهذه فتاة من هذه البلاد تواجه حياة مريرة في البيت من زوجة أبيها الظالمة، التي تتفنن في ضربها كل يوم، حتى إن أختها الصغرى دخلت المستشفى من شدة ما لاقت من الضرب، إنها قلوب حجرية أعمتها الغيرة، حتى نسيت الرحمة، أين الإيمان أين الدين، أين مخافة الله؟ ووسط هذا الظلم أقدمت تلك الفتاة على قتل نفسها، متأثرة بحروقها وجروحها، وهكذا عشرات من المآسي تتكرر كل يوم، ينشر بعضها ويطوى البعض الآخر، والأمر في ازدياد، والظاهرة في انتشار، حتى فشا الأمر في كبار السن فهذه امرأة تقدم بها العمر تسكب الكيروسين على جسدها ثم تشعل فيه النيران، في بيتها، وتبقى تصارع حتى تموت، ورجل متقاعد يزيد عمره على سبعة وخمسين عاماً، يطلق على

نفسه رصاصتين يموت على أثرهما، بعد ما ترك ورقة على الباب كتب فيها « ممنوع الدخول حتى حضور الشرطة »، ورجل قارب الأربعين يرمي بنفسه في خزان المياه يموت غرقاً، حرق وشنق وغرق وخنق، ألوان من الاعتداءات على منحة الله (الحياة)، كلها تنذر بتحول كبير، وشر مستطير في المجتمع يجب النظر فيه ومحاولة علاجه .

عصمنا الله وإياكم من الزلل، وبصرنا بمواضع الخلل، ويسر لنا سبل الخلاص.

عباد الله أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فيا عباد الله ، يكاد يجمع علماء الشريعة وعلماء النفس والاجتماع على أن من أعظم أسباب هذه الظاهرة (ضعف الإيمان) ضعف الدين، فهلّا من نظر في هذا الأمر، هلّا من معالجة شاملة عبر وسائل الإعلام والتعليم، هل من مراجعة لأوضاعنا، هل إيمان أولادنا وإيماننا نحن يزيد؟، أهذا الذي نشاهده كل يوم يزيد إيماننا، ويقربنا إلى الله أم هو يضعف إيماننا ويبعدنا من الله؟ ، أظن الجواب عندك أيها المؤمن، فكل منا خبير بنفسه، ومن البلاء الذي حول أفكار الشباب والشابات، بل حتى العقلاء هذا الغزو الإعلامي المركز، متى كان يفكر المسلم في الانتحار إلا بعد ما رأى وشاهد ، وسمع واطلع، رأى ذلك على شاشات التلفاز ومن أفواه الأبطال المزيفين، والنجوم المنكدرة، رأى كيف يفضلون الموت بسبب فشل قصة حب، أو إخفاق في تجارة وصفقة، يا لها من تفاهات يتربى عليها أبناؤنا، لأجل حفنة دراهم ، بل لأجل تراجع في أسعار البورصة بنسبة ٦٪ تقدم عائلة هندية كاملة زوج وزوجة وأولاد على الانتحار شنقاً في بيتهم، لا عجب، لأنه لا إيمان، لكن كثرة عرض هذا البلاء أثر في ناشئتنا وكبارنا .

معاشر المؤمنين، ماذا نأمل من أبنائنا الذين يمموا وجههم شطر هذه القنوات، يستقدمون الأفكار، ويشربون المبادئ ، يسمعون عن الحرية فيعجبون بسحرها ، وما علموا بمكنونها ، يسمعون في بلاد الحرية المزعومة عن مؤسسات يرأسها أطباء تعرف بـ «اتحاد مؤسسات حق الموت الكريم » يزيد أعضاؤها على نصف مليون، مهمتها مساعدة من يريد الانتحار على ذلك ، إن كثيراً من الدول

تفصح عن هذا من خلال إعلامها، فما زلنا نسمع ونقرأ عن أطروحات لمساعدة كبار السن على التخلص من حياتهم، ومساعدة المنتحرين على الطريقة التي يرغبون فيها ويختارونها، هذا شأنهم هم، لكن نحن، ألا نؤمن بالله العظيم ؟ ، ألا نتوكل على العزيز الرحيم؟ ألا نقول «**حسبنا الله ونعم الوكيل** »؟ ألا نردد « **إنا لله وإنا إليه راجعون** »؟، فمن أين إذاً لليأس أن يتسرب إلى قلوبنا ، فيا شباب الأمة ، ويا **أيها الآباء** اهتموا بتربية أولادكم وأنفسكم على طاعة الله، والاعتماد على العظيم سبحانه ، اربطوهم دوماً بخالقهم لا تتركوهم نهباً لتلك الأفكار الهادمة ، والدعايات الخاوية، وعلى كل جهة حكومية أو مؤسسة خاصة، أن تعتني ببث الوعي الديني، وترسيخ الخوف من الله، وبث الأمل في القلوب ببيان أن الأرزاق بيد الله، وأن من كان مع الله كان الله معه، كما لا بد من إيضاح خطورة هذه الجريمة التي فيها تعدٍ على منحة الله للإنسان ، كما أن فيها عذاباً عظيماً ، ومآلاً خاسراً قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء: ٢٩ـ ٣٠] ، وقال ﷺ : «**الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعن نفسه يطعنها في النار**» [رواه البخاري]، وقال ﷺ: «**من حلف على يمين بملة غير الإسلام فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة** » [رواه مسلم].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

ويجعل من يشاء عقيماً(١)

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فإن سنة الابتلاء في هذه الدنيا ماضية، كما قال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، يمتحن الله عباده، ويختبر صبرهم، ليتبين الصابرُ المؤمن، من الخائر الضعيف .

معاشر الفضلاء، إن شر ما منيت به النفوس، يأس يميت القلوب، وقنوط تظلم به الدنيا، وتتحطم معه الآمال .

إن في هذه الدنيا مصائب ورزايا، ومحناً وبلايا، آلام تضيق بها النفوس، ومزعجات تورث الخوف والجزع، كم ترى من شاكٍ، وكم تسمع من باكٍ، وكم يقابلك من لوام يشكو علة وسقماً، أو حاجة وفقراً، ترى مَنْ كسدت تجارته وبارت صناعته، وترى مَنْ ضاع جهدُه ولم يدرك مطلبه، وترى مَنْ سئم معيشته وضاقت به حياته، وترى مَنْ مصيبته داخل أسرته، وضمن أسوار بيته، فالله أكبر كم في البيوت من آهات وأسرار، وكم فيها من آلام وأخبار.

معاشر الأخوة الكرام، إن كل إنسان يسعى لتكتمل له كل مقومات السعادة، يحاول أن يحوي كل أطرافها، ويحوز عليها من جميع جوانبها، ولكن

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في عام (١٤١٧هـ).

هيهات، فهذه هي الدنيا إن أعطت أخذت، وإن أفرحت أترحت، وإن أضحكت أبكت، وإن جمعت شتت، تتنوع فيها الابتلاءات، وتتعدد فيها الامتحانات .

ومما يبتلي الله به بعض عباده فقدان الولد، فقد يحرم الإنسانُ من الإنجاب لعيب فيه، أوفي زوجه أو فيهما معاً، وكل ذلك بتقدير الله وحكمه وإنه لا يشك شاك أن فقدان الولد مصيبة تستحق الصبر والاسترجاع لأن وجودهم نعمة، وهم زينة الحياة الدنيا:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٤]، ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف : ٤٦]، وقد لا يقدر هذه النعمة حق قدرها إلا من فقدها، إما بعد وجودها أو من أصلها .

إنه لفرق كبير بين من عاش سنواتٍ كافح فيها وكابد وشارف على النهاية ولم يحتضن يوماً ما ابناً ، أو يلاعب طفلاً، ولم تطرق سمعه كلمة (أبي)، وبين رجلٍ مُلئت حياته بوجود أولاده، عاش بينهم وعاشوا معه، أنس بهم وأنسوا به، فرق بين أن يمتلئ البيت صخباً وصراخاً، وبين أن يسود جنباته صمت رهيب، وسكوت مهيب، فرق بين أن يبلغ الرجل من الكبر عتياً، وبين يديه أبناؤه يبرونه ويوقرونه، يتسابقون في خدمته، يتنافسون في قضاء حاجته، وبين رجل أضحى كهلاً عاش وحيداً في حياته وهاهو اليوم يموت وحيداً، عاش حياة رتيبة وأياماً عصيبة، كان قلبه يتقطع حسرة عندما يرى الأطفال يمرحون ويلعبون، يذهبون ويجيئون، يتمنى لو أنفق ما يملك في سبيل أن يكون له ولد، فرق بين امرأة عاقر

عاشت أيام شبابها في نظام مقنن خلا من حياة الأطفال، وشقائهم ولعبهم وضحكاتهم، لم تعرف حملاً، ولا ولادة، ولا إرضاعاً، ولا تربية، ولم تحضن طفلاً، ولم تعرف للأمومة طعماً، وبين أم تعيش بين أبنائها تسعد لسعادتهم وتحزن لحزنهم، تجد فيهم التسلية إذا طرقها من الهم طارق، وتجد فيهم العزاء إذا تكالبت عليهم الأحزان، يملأون عليها حياتها، هم كل شغلها، فرق كبير بين هذه وتلك .

عباد الله، إن بيتاً يمتلئ بصخب الأطفال، ويزهو بلعبهم البريء، ويطرب لألحانهم الجميلة لهو بيت حي، ومن عاش فيه أنس بذلك الجو المرح، وسعد بتلك البراءة وما استطاع أن يتخيل يوماً أن يوحِش ذلك البيت ويقفر من أهله، ويفقد رياحينه التي هي روحه، ويخلو من أزاهيره التي هي فَوْحُه، وكأن لسان حال الأب يقول بعد خلو البيت من الأطفال بعدما تعود عليهم :

أين الضجيج العذب والشغب ... أين التدارس شابه اللَّعب

أين الطفولة في توقدها ... أين الدّمى في الأرض والكتب

يتزاحمون في مجالستي ... والقرب مني حيثما انقلبوا

فنشيدهم (أبتي) إذا فرحوا ... ووعيدهم (أبتي) إذا غضبوا

بالأمس كانوا ملء منزلنا ... واليوم ويح اليوم قد ذهبوا

حتى إذا ساروا وقد نزعوا ... من أضلعي قلباً بهم يَجِب

ألفيتني كالطفل عاطفة ... فإذا به كالغيث ينسكب

قد يعجب العذال من رجل ... يبكي ولو لم يبك فالعجب

إنـي وبـي عـزمُ الـرجـال أب هيهـات مـا كـل البكـا خـور

فإلى أولئك الباحثين عن الإنجاب الذي فقدوه، والراغبين في الولد الذي أملوه، ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون، إليهم هذه التذكرة علها تكون بلسماً يأسوا جراحهم، ويخفف معاناتهم .

يا عبد الله، يا من قدر الله عليك عدم الإنجاب والذرية، تذكر أموراً مهمة تجلو لك حقيقة ما أنت فيه، وتبين لك السبيل الصحيح في التعامل مع هذا الامتحان .

أولاً : تذكر أن هذا من الابتلاء، وأنك إن صبرت نلت أجر الصابرين على المصائب، واعلم أنه لن يضيع شيء صغيراً كان أم كبيراً، فقد قال ﷺ: « **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه** » [رواه البخاري] .

فروّح عن نفسك واستلهم رحمة ربك، وارْج ثواب الصابرين فإنه عظيم: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠ ﴾ [الزمر: ١٠] .

ثانياً: هل طرقت باب الدعاء، هل تسلحت بهذا السلاح الفتاك، الذي لا يحتاج إلى جهد ولا إلى مال ولا إلى واسطة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، هل تضرعت إلى خالقك وسألته مسألة المسكين، وخضعت له خضوع الخائف الذليل: « **إن ربكم حي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه، أن يردهما صفراً خائبتين** »[رواه أحمد والترمذي وحسنه وقال الحافظ سنده جيد].

أخي الكريم، لا أقول لك امتنع عن الاستطباب، ولكن لتكن ثقتك بربك عظيمة، وليكن لجوؤك إليه صادقاً، لقد لجأ أنبياء الله قبلك إلى ربهم طالبين الذرية، فهـذا زكريا عليه الصلاة والسلام يزيد عمره على التسعين سنة وقيل عشرين ومئة سنة، ولم يرزق بولد فيتوجه إلى ربه بقلب خاشع، وجَنَان خاضع، في دعاء تظهر فيه السكينة، ويتضح فيه الخشوع: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ [مريم:٤ـ٦]،فاستجاب الله له وجـاءت البشـارة: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ ﴾ [مريم : ٧]، فاتجه من اليوم بقلب مخلص وفؤاد صافٍ إلى ربك، وألح في الدعاء وأخلص في الالتجاء حتى تفوز بالمطلوب، وتحصل على المرغوب.

هذا رجل مضى على زواجه سبع سنين، لم يترك جهداً إلا بذله ولا طبيباً متخصصاً يستطيع الوصول إليه إلا وصله، فلما طال الوقت مل من كثرة المواعيد وركام الأدوية، وفي يوم وجد على حافة الطريق رجلاً كفيفاً، فقاده حتى عبر به الشارع فدعا له الأعمى، وسأله هل أنت متزوج؟ فقال: نعم ثم قال: ألك أبناء؟ قال: لم يقدر الله ذلك، فقـال الأعمى: يا بني لا تيئس فقد جرى لي ما جرى لك، لكني لجأت إلى الله وأخـذت أدعـو في كـل صـلاة ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ ﴾ [الأنبياء : ٨٩]، فاستجـاب الله دعائي، ولي الآن سبـعة من الولد، ثم ودعني وقـال: لا تـنس الدعاء، فأخذ الرجل الوصية التي كان عنـها ذاهـلاً رغم سهولتها ويسرها، فـتوجه هو وزوجته إلى الله بـالدعاء في كل صلاة، فماذا تتوقع **أخي الكريم،** لقد فتح الله لهـما باب الإجابة، ويسر الله

أمرهما وحملت زوجته، وأنجبت طفلة ملأت الدنيا عليهم سروراً، فتبارك الله أحسن الخالقين الذي إذا أراد شيئاً كان، أما وهب زكريا ﷺ الذرية بعد وهن العظم، وتقدم العمر، وعقم الزوجة: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

ثالثاً: الاستغفار، قد تعجب **أخي الكريم** ما علاقة الاستغفار بإنجاب الولد، جاء رجل إلى الحسن البصري يشكو عدم الإنجاب فقال: أكثر من الاستغفار، فتعجب الرجل من هذا العلاج، فقرأ عليه الإمام قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح :١٠-١٢]، وقال النبي ﷺ : «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب**» [رواه الإمام أحمد والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وضعّفه الألباني]، وكان من هديه ﷺ أن يكثر من الاستغفار، يقول ﷺ:«**والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**» [رواه البخاري]، وفي مسلم «**في اليوم مائة مرة**» .

فداوم يا صاحب هذا الابتلاء على الاستغفار، فإنك ستحمد ذلك، فلو فاتك الولد فلن يفوتك أجر الاستغفار «**طوبى لمن وجدَ في صحيفته استغفاراً كثيراً**» [صححه الألباني في صحيح الجامع] .

ذكر أحد الدعاة عن رجل أنه بلغ الستين من عمره، وما ترك حيلة إلا فعلها من أجل الإنجاب، أنفق أموالاً طائلة، وتعب ونصب، فالتقى يوماً بأحد الأخيار فقص عليه قصته، فأوصاه بالاستغفار سنة كاملة هو وزوجته، فما مضت السنة

حتى حملت زوجته فتبارك الله أحسن الخالقين .

فلا يأس مع الارتباط بالله، ولا قنوط مع التعلق به، لكن اليأس سيقتلنا إذا كان كل ارتباطنا بهذه الأمور الدنيوية القريبة، لنشخص بأبصارنا إلى العلو، نناجي ربنا، ونتبع كلامه، ونثق بوعده، ففي ذلك الفلاح لنا في الدنيا والآخرة .

رابعاً : اعلم أيها ـ المكروب بهذا الكرب ـ فك الله كربتك ـ أن كل ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، تذكر دوماً ضرورة التسليم لله بما قضاه خيراً كان أم شراً، تذكر أن آجال الناس مكتوبة، وأرزاقهم مضمونة، وأعمالهم محسوبة، تذكر أن الله سبحانه عالم بكل ذلك قبل أن يخلقهم، فارض بما قسم الله لك، واحمد الله على قضائه، واعلم «**أن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**» [رواه الترمذي وابن ماجة بسند حسن] .

تذكر قوله تعالى : ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى : ٤٩-٥٠] .

خامساً : أيها **الأخ المبارك**، تذكر أنه ليس كل السعادة في الولد، بل إن النعيم الذي يجده المؤمن في الآخرة لايوصف، «**في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**» فإن فاتك الولد والتنعم به، فلا يفتك نعيم الآخرة، فاعمل واجتهد، وأرضِ ربك فتلك هي السعادة الحقيقة.

عباد الله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية:

أما بعد :

سادساً : اعلم **يا عبد الله** أن الخيرة فيما اختاره الله، فقد يكون من الخير لك أن تعيش بلا أولاد، ولله في ذلك حكمة، فإن من الناس من يكون الفقر خيراً له لأنه لو اغتنى لطغى وتجبر، والعكس صحيح لذا قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى : ٢٧] .

اعلم **بارك الله فيك** أن عدداً غير قليل ممن لديه من الأبناء عدد يُفتخر به، يتمنى لو كان عقيماً، يتمنى أنه لم ينجب أبداً، لأنهم أبناء منحرفون، ضالون عاقون، لم يعرفوا لأبيهم قدراً، ولم يقيموا له وزناً، بل آذوه في نفسه وماله ودينه، لهذا لما سأل موسى الخضر عن سبب قتل الصبي قال : ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الكهف : ٨٠]، بعض الآباء يظن أن المهم هو الإنجاب، وما علم أن بعض الأولاد سيكون على أبيه وبالاً وشراً، ونقمة ودماراً، وفضيحة وعاراً، فكم من أب تمنى ألا ذرية له، وكم من أم تمنت ذلك، وكم من أب تبرأ من ولده، وكم من أم فعلت ذلك، لقد سمعنا وقرأنا عن ذلك كثيراً، فهل من خير في ولد يرفع صوته على والديه، وربما تعدى الأمر إلى الضرب والإهانة، ذُكر أن شاباً ضرب أباه أمام الناس في الشارع، فأراد المارة منعه فقال الابن لهم : اتركوني أؤدبه، اتركوني أؤدبه، هكذا يقولها الابن بكل صفاقة وجرأة، فهل هذا الولد هو الذي تتمناه يا **أخي الكريم**؟ .

تغمط حقي ظالماً ولوى يدي   لوى يده اللهُ الذي هو غالبه

أإن رعشت كفا أبيك وأصبحت يداك يدي ليث فإنك ضاربه

اخي الكريم، أنت **يا مؤمن** تبحث عن الولد، فما رأيك إذاً في أم رعت وليدها، أرضعته من ثديها، وأطعمته من يدها، وسهرت لمرضه، وتألمت لألمه، صبرت عليه صغيراً، وسرت به كبيراً، حتى إذا فرحت بزواجه منتظرةً في آخر عمرها برَّه، قابل ذلك بالعقوق وأي عقوق، إنه أقصى غايات العقوق، القتل، نعم القتل ومن أجل مَنْ، من أجل زوجته، لقد مضى يوماً إلى حجرة أمه وهي نائمة فلم يرحم ضعفها، ولم يرع حقها، ولم يتذكر معروفها، فهوى عليها بطعنات متتالية فلما أحس بحركتها، قام ورفع طوباً كبيراً وهشم به رأسها حتى قضى عليها.

يا عبد الله، أفترى هذه الأم تمنت يوماً أنها أنجبت ولداً، لو علمت بما هو كائن ؟ .

ولقد وجد من العقوق في أيامنا هذه ما لم يعرفه التاريخ من قبل، إن القتل أضحى معه شيئاً هيناً، لقد كثر معه تعاطي المخدرات، وتناول المسكرات فعلُ الفواحش بالمحارم حتى وصل الأمر إلى الأمهات فأي عقوق هذا، وأي ذرية هذه التي تطلبها إذا كانت على هذه الصورة!.

اخي الكريم المقصود من كل ذلك أن ترضى بما قسم الله لك، فقد يكون فيه الخير لك : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

سابعاً : اعلم بارك الله فيك أنك لست الوحيد الذي لم يرزقه الله الذريَّة،

فمنذ أن خلق الله آدم إلى يومنا هذا، والأجيال تتعاقب وفيها عدد غير قليل لا ينجبون، وفيهم صفوة الخلق من الأنبياء والصالحين، فلك في هؤلاء أسوة، وهم لك قدوة، تذكر دوماً أن من الأنبياء من عاش بلا ذرية ومع ذلك صبر واحتسب، ومن أولئك يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام، وعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

أخي الكريم، قل لزوجتك إن كان الله قد ابتلاها بهذا الأمر، إن هناك من فضليات النساء من حصل لهن هذا، فهذه آسية بنت مزاحم زوجة فرعون المؤمنة الصادقة القائلة: ﴿ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١]، كانت تتلهف على الولد وتتمنى لو ضمت على صدرها طفلاً، لذا لما رأت «موسى ﷺ» وقد ساقه الله إليها وهو رضيع قالت: ﴿ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ﴾ [القصص: ٩].

وهذه عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ، ومن أحب الناس إليه ومع ذلك لم تنجب، وهذه أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه بقيت معه ست سنين وتوفيت ولم تنجب.

وهناك عدد من الصحابة لم يولد لهم، منهم عبد الله بن رواحة شاعرُ رسول ﷺ، قال عنه الذهبي: «ليس له عقب»، وبلال بن رباح، وصفوان بن بيضاء، وهشام بن العاص، وأبو زيد رضي الله عنهم أجمعين.

ومن علماء الأمة الذين لم تكن لهم ذرية: الخطيب البغدادي، والزبيدي، والحافظ بن النجار، والإمام حماد بن سلمة، وغيرهم كثير، فلا تظن **أخي** أنك

أنت الوحيد في هذا العالم، بل كل هؤلاء الأخيار يشاركونك فيما أنت فيه.

وتذكر دوماً **أخي الكريم** أن الله ابتلى بفقد الأولاد بعد وجودهم عدداً من أنبيائه، وهذا قد يكون أشدّ وأعظم.

تذكر كيف أحب إبراهيم ﷺ ولده إسماعيل وكيف جاءه على كبر، لقد كانت زوجته سارّة بنت هاران عجوزاً، وقد بلغ هو من الكبر عتيا، ومع ذلك منّ الله عليه فجاءته البشرى، وجاءه الولد، فلما ترعرع ونشأ ابتلاه الله عز وجل بقتل ولده الذي يحبه والذي كان ينتظره: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٦].

هذا هو الامتحان العظيم، فانظر **أخي الكريم** إلى عِظم البلاء، وعظم الصبر من هذا النبي الكريم فليكن لك فيه أسوة.

وانظر إلى يعقوب عليه الصلاة والسلام كيف تعلق بيوسف ثم يبتليه الله بفقده أكثر من ثمانين عاماً، بلغ فيها من الحزن مبلغاً ذهب بسببه بصره: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [يوسف: ٨٤-٨٦].

فاشك بثك وحزنك إلى ربك جل جلاله، وثق بوعده، فإنه قريب مجيب:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل : ٦٢]، ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤].

عباد الله ، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

نزول الغيث «آية ونعمة» [١]

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فإنه لأمر لافت للنظر، وإنه لمنظر حقيق بالتدبر، وإنه لمشهد حري بالتفكر، هذا الذي نراه في أيامنا هذه من الناس، وما يحصل لهم من انشراح وسرور، بسبب نزول المطر، ورحمة الله بالعباد، إن الأرض كلها بأحيائها لتستبشر بهذه الرحمة، فالأطيار تغرد وتصدح، والأطفال تأنس وتمرح، وكافة الناس تستبشر وتفرح، فتبارك اللهُ الخلاق، ماذا في هذا المطر حتى يحدث في هذه الكائنات المتعددةِ كلَّ هذه النشوة، وكلَّ هذا الفرح، إنه سر الله في مخلوقاته .

ما أعظم خلق الله، وما أدق صنعه، يرسل الرياح فتثير السحاب فيسيرهُ الله كيف يشاء، ثم يُنزل الماءَ على الأرض، فتسرُّ به النفوس وتأنس به القلوب، فمن قدر هذا التقدير ؟ ومن يسر هذا التيسير ؟: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الروم : ٤٨]، سبحان من أودع في هذا الماء تلك البشرى وذلك السرور .

إنه لأمر محزن حقاً أن يكون بعض من يتنـزهون في هذا الخير العظيم، وهذا الفضل العميم، لايقيمون لأوامر هذا الإله المدبر والخالق القادر وزناً، هل وقفوا

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ(١٠/٧/١٤١٧هـ).

عند حدوده، هل امتثلوا كلَّ أوامره، هل انتهوا عن كل محارمه، إن آياته سبحانه محيطةٌ بنا، لكننا عنها غافلون، إننا نرى منها أيامنا هذه شيئاً عجباً، لكنّ ذلك يكون للقلوب الحية، للقلوب المتذكرة، للقلوب التي هي بربها متعلقة، لكن هناك نفوساً جامحة وفي سعيها غيرُ رابحة، تنكبت طريق الهداية، وفضلت طرق الغواية، أعجبتها زهرة الدنيا فانشغلت بها، وتعلقت بغير الله فأنست به، ونسيت صاحب الخلق والتقدير والعظمة والتدبير، فراحت تنسب نزول المطر لغير الله، فيقول بعضهم: مُطرنا بنوء كذا وكذا، وهذا إشراك بالله، فإن الكوكب لا قدرة له على التصرف، وإنما المنعم المتصرف هو الله، قال عليه الصلاة والسلام بعد نزول المطر: **«أصبح من الناس مؤمن بالله كافر بالكوكب، وأصبح منهم كافر بالله مؤمن بالكوكب، فمن قال مُطرنا بنوء كذا وكذا، فهو المؤمن بالكوكب، ومن قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فهو المؤمن بالله»** [رواه مسلم]، هذا خلق الله ظاهر للعيان، وهذه قدرة الله متجلية في هذه الأكوان: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١٠-١١].

يا عبد الله، يا أيها المؤمن بربه، هل تأملت عظمة الله في الماء النازل من السماء، هل تفكرت في الهواء الذي يملأ الفضاء، هل استشعرت قدرة الله في السحاب المعلق بين الأرض والسماء، هل رأيت جبروت الله وقدرته في الرعد والبرق والصواعق، أم أنت عن هذا ذاهل، وعن ربك معرض، وفي حقه مفرط؟.

إن هذا الماء النازل من السماء بأمر الله، أمرٌ اختص الله به لم يجعله لأحد: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [لقمان: ٣٤]، إن إنزال الغيث مما لا يقدر عليه إلا الله، ولا يعلم وقت نزوله إلا هو، والغيث هو الماء النافع للأرض بإذن الله، أما المطر فقد يكون عذاباً ﴿ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧٣]، وإذا كان ذلك كذلك فلن يرتاب مؤمن فيما يسمع مما يسمى بالمطر الصناعي الناتج عن إطلاق قذائف خاصةٍ ترسل نحو السحاب، فتشكل برودةً معينة يتحول بها السحاب إلى ماء هاطل، لن يرتاب مؤمن أن هذا العمل إن صح فليس هو مما استأثر الله بعلمه، إنه ليس كل ماء هاطل يسمى غيثاً ويكون نافعاً، ثم أيستطيع أولئك أن يتحكموا في مكان نزوله، هيهات لهم ذلك، نشرت بعض الجرائد في عام ثمانية وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية أن مزارعاً أجدبت أرضُه، فاحتاج المطر فاشترى قذيفة ماطرة من أمريكا، فلما أطلقها نحو السحاب أرسل الله الرياح فساقت السحاب إلى خارج أرضه فكان الري لغيره، وخاب أمله، وضل سعيه، لقد أراد شيئاً وأراد الله شيئاً، فكان ما أراد الله، من الذي يُقَدر تقسيم تلك المياه ؟ من الذي يتحكم في سيرها ووقوفها، من الذي يسيّر السحاب، ويسيّل الأودية والشعاب ؟ إنه الله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقد جاء في الصحيح [مسلم]: **«أن رجلاً سمع صوتاً في سحابة أن اسق حديقة فلان بن فلان، فتوجهت السحابة بقدرة الله إلى مكان بين الجبال، فتبعها الذي سمعها، فرآها تسكب الماء على**

حديقة كانت هناك، لا تتجاوزها، ثم تقشعت فدخل الحديقة فنادى صاحبها باسمه الذي سمعه في السحابة، فأجابه صاحب البستان متعجباً، كيف عرف اسمه، فقص عليه ما سمعه في السحابة، وطلب السائل من صاحب البستان أن يخبره عن أعماله فقال : إني أتصدق بثلث ثمر هذه الحديقة، وأصرف على أولادي ثلثاً، وأعيد فيها ثلثاً » .

يا عبد الله، إن السحاب العظيمَ المسخرَ بين السماء والأرض المثقلَ بالماء، يسوقه الله كيف يشاء، ولمن يكون له أهلاً بالطاعة والصدقة وأداء الزكاة، وعدم أكل الحرام وعدم الظلم والغش والبغضاء .

يا عبد الله، تأمل بديع خلق الله في هذا الهواء المحبوس بين السماء والأرض، يُدرَك باللَّمس جسمه، ولا يرى شخصه، تسبح في أمواجه الطيور كما تسبح في البحر الأسماك والحيتان، إن شاء الله سبحانه وتعالى حركه بحركة الرحمة، فجعله رخاء ورحمة وبشرى، وتسمى تلك الرياح، رياح الرحمة والمبشرات والذاريات والمرسلات والرخاء واللواقح كما قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر:٢٢]، ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الروم : ٤٦]، فسبحان من نَوَّع هذه الرياح وجعل لكل منها وظيفة تقوم بها، بعضها في البر وبعضها في البحر، بعضها للنبات وبعضها للإنسان، بعضها للرحمة وقد سبقت، وبعضها للعذاب وهي العاصف والقاصف وهما في البحر، والعقيم والصرصر وهما في البر .

الهواء هو الهواء يحرِّكُهُ الله عز وجل فيكون عذاباً مدمراً، وإن شاء أودعه رحمة فكان نافعاً، ثم إن في نفعه أعظم الاختلاف، فريح لينة رطبة تغذي النباتات، وأبدان الحيوانات، وأخرى تجففه، وأخرى تهلكه وتعطبه، وأخرى توهنه وتضعفه، وأخرى تشده وتقلبه، لذا يخبر الله عز وجل عن رياح الرحمة بصيغ الجمع لاختلاف منافعها، أما ريح العذاب فهي مفردة، لأنها تأتي من جهة واحدة، ولا تقوم لها ريح أخرى تكسر حدتها وتضعف قوتها، بل تكون مدمرة عظيمة.

بعض الناس اليوم لا يقيم لهذه الرياح حساباً، بل قد يلعنها أو يهزأ بها، أو قد يمضي في معصيته رغم هبوبها، لقد كان صلى الله عليه وسلم يتغيَّر وجهه إذا أظلمت السحب، وهبت الرياح ويسأل الله أن تكون رياحاً لا ريحاً، فإذا نزل المطر استبشر ﷺ.

عباد الله، ليتذكر كل معرض أن البيوت لن تحصنه من عذاب الله لو جاء، فقد هلكت أمم عن بكرة أبيها قبلنا : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٤-٢٥]، سبحان الله هذا الهواء مع خفته ولطفه يحمل هذه الأثقال العظيمة من السحب المتراكمة، والمركبات، والطائرات، ويسير البواخر التي تضاهي الجبال في ضخامتها، فتأمل يا عبد الله كيف استجار هذا الجسم الثقيل بهذا اللطيف الخفيف وتعلق به على البحر، أو بين السماء والأرض، وكم من الرافعات العملاقة تقوم على ضغط الهواء واستخدامه، فسبحان الله الخلاق.

عباد الله، ومن آيات الله الباهرة، هذا السحاب العجيب، وقد وصفه خالقه بقوله: ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١٦٤] ، تأمل يا عبد الله كيف ينشئه الله سبحانه بالرياح، فتثيره كسفاً ثم يؤلف بينه ويضم بعضه إلى بعض، ثم تلحقه الرياح، وتسوقه على متونها إلى الأرض المحتاجة إليه، فإذا استوى عليها وعلاها أهرق ماءه وأنزل بعض ما فيه بقدرة الله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾[النور: ٤٣]، ثم إذا شاء سبحانه أرسل عليه الرياح مرة أخرى فتذروه وتفرقه، لئلا يؤذي ويهدم ما ينـزل عليه، فمن يستطيع هذا التصريف وهذا التدبير، إلا العليمُ الخبير، العظيمُ القدير.

السحاب **يا عبد الله** مع ما فيه من الماء الثقيل، معلق بين السماء والأرض فمن الذي أمسكه، فإذا أذن الله نزل فإما أن يكون غيثاً، وإما أن يكون عذاباً، فتنـزل كل قطرة منه بقدر مخصوص اقتضته حكمة الله سبحانه ورحمته، فلا تختلط قطرة بقطرة، ولا تخالف قطرة طريقها الذي أرسلها الله إليه، كل قطرة قد عُينت لجزء من الأرض لا تتعداه إلى غيره، فمن يستطيع إحصاء هذه القطرات، ومن يستطيع توجيهها ومتابعتها، إنه لا أحد إلا الله، لهذا اعترف المشركون بهذا الخلق العظيم والتدبير البديع: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦٣] .

فانظر إلى هذه القسمة الربانية للماء، ولا عجب فكل شيء بقدر: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٨] .

سبحان من لو سجدنا بالعيون لــه | على شبا الشوك والمحمى من الإبـر
لم نبلغ العشر من معشـار نعمتـــه | ولا العشير ولا عشــراً من العشـر

عباد الله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

ففي هذا السحاب العظيم، الدال على الخالق العظيم، آيات أخرى ومعالم من القدرة متنوعة، فيه رعد وبرق وصواعق مذهلة مخوفة وربما مهلكة: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الروم: ٢٤].

يا عبد الله، تخيَّل نفسك إذا تراكمت السحب، وأظلمت السماء، وأنت في الصحراء، وأخذت الرعود ترعد بصوتها المخيف المهيب وأخذت البروق تبرق، وهطل المطر ماذا عساه يكون حالك عندها؟. إنك تدرك من أنت، تدرك حجمك الحقيقي، أمام عظمة الخالق، تقر عندها بالعبودية الكاملة، فتجأر بالدعاء والصلاة، ولكن أين كنت قبل ذلك، لماذا فرطت قبل ذلك، لماذا أهملت قبل ذلك ؟. ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة:١٩-٢٠]، وهذه الصواعق التي تهلك الأفراد والأمم هي بعض جنود الله، فعلينا أن نتيقن أنه لا مفر من الله إلا إليه، مهما بلغ التقدم العلمي، ومهما أعجب الناس بتخطيطهم وتدبيرهم: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد: ١٩]، ﴿ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ

ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الذاريات :٤٣-٤٤] .

فيجب أن نشكر الله على فضله باللسان والأركان، حتى لا يغضب علينا فيرسل العذاب، أو يرفع الخير والفضل والثواب، وكل إنسان حسيب نفسه .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

الشِّتاء[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فكم يحدث في هذا الكون من تغير، وكم فيه لمن تأمل من عبر، ليل ونهار، صيف وشتاء، حياة و موت، ذل و عز، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء، ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ ﴾ [الزمر:٥]، قبل أيام كنا في فصل وحال، و اليوم نحن في فصل وحال، كنا من قبل نشكو الحرارة والشمس، و اليوم نشكو الصقيع و شدة البرد، فسبحان الذي يغير و لا يتغير.

عباد الله، هذه وقفات مع الشتاء ببعضها نعتبر، وببعضها نتبصر، وببعضها نتذكر.

فسبحان الخلاق العظيم، المبدع الحكيم، خالق الأكوان، موجد الإنسان، الذي لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية، يقلب الفصول بحكمته، ويغيرها بقدرته، ويحيطها بعلمه، جعل في تغيرها صلاح أحوال الناس و النبات و الطيور.

فسبحانه ما أعظمه من ملك قادر، وجبار قاهر، بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

فالق الإصباح بالنور المبين ... خالق الإنسان من ماء و طين

جاعل الليل لباساً والنهار ... نشوراً للسعاة القاصدين

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٧/٨/١٤٢١هـ).

أنـــزل المـــاء فـأحيـــا خضـــراً ينبت الحب و صبـــغ الآكليـــن
ومن النجـــم مصابيـــح هـــدى ومن البـــرق سنـــى للمدلجيـــن
جـــل مـــن أبدعهـــا في كونــــه قدرة تعيـــي لســـان الواصفيـــن

يا مؤمن، أوَ تستطيع قوة في الأرض أن تحيل الشتاء إلى ربيع، والربيع إلى خريف، كلا، بل الكل تحت قهر الله وقوته، وعظمته وجبروته.

يا مؤمن، أو ما تذكرت وأنت تستقبل أيام الشتاء ، ضعفك وشدة فقرك، إلى لطف ربك، جسمك الضعيف لا يحتمل حرارة القيظ، ولا صقيع الشتاء، أنت دائماً صاحب شكوى .

يا مؤمن، تذكر العظيم القادر، الجبار القاهر، واخضع له واضرع ، فأنت الفقير إلى عفوه، وأنت المحتاج عونه، **يا مؤمن،** لم هذا الجحود والنكران، والتسويف والنسيان ، تعيش في ملكوت الله، ويظهر لك جلياً ضعفك ومهانتك، ثم تبارز ربك بالمعصية، أو تجاهر أحياناً بالموبقة ، قف وتأمل حالك مع الشتاء كيف تهرع إلى أنواع الملابس تحملها على ظهرك، خوفاً من الصقيع والبرد، يا هذا إن كنت لا تتحمل صقيع الشتاء ولا برودته فتذكر عذاباً عظيماً، وصراطاً منصوباً وجنة وناراً ، وربما خزياً وعاراً، تذكر أن في النار عذاباً بالحميم والنار ، والصهر والحرارة ، وعذاباً بالبرد والصقيع ، والقر والزمهرير، فكيف الصبر هناك ، كيف التحمل هناك ، كيف الحال هناك ، قال ﷺ: «**اشتكت النار إلى ربها، فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن لي فأذن لها في نفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر فهو من فيحها، وأشد ما تجدون من البرد فهو من زمهريره**» [رواه البخاري ومسلم] .

فيا ويح المبطئين عن طاعة الله، المعرضين عن شرع ربهم ، يا ويح من تنكب الصراط ، ونكص على الأعقاب ، يا ويح من ألهته نفسه ، وأعجبته ذاته ، يا ويح من فرط في جنب الله .

يا من يخاف البرد في هذه الحياة، ألا تخاف يوم القيامة من عذاب الله ، تأمل وتمعن في حالك ومآلك ، في طاعتك وامتثالك ، أو في صدودك وإعراضك، مالك أيها الإنسان ألا تعتبر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ﴾ [الانفطار:٦] .

يا مؤمن، إن كان أهل النار يعذبون بالنار والزمهرير ، فأهل الجنان ينعمون بالذهب والحرير، يسعون في روضات الجنات، ورضوان رب الأرض والسماوات، لا شمس تحرقهم، ولا برد يقلقهم، ولا عدو يخيفهم ، ولا سقم يصيبهم ، ما أعظم النعيم، وما أروع التكريم، قال ربنا الخلاق، عن جزاء المؤمنين المتقين الذين خافوا ربهم، وصبروا على حر الصيف، وقر الشتاء ، فما تركوا صلاة، ولا تثاقلوا عن خير ، أعانوا المساكين ، وكفكفوا دموع اليتيم، وأطعموا الطعام، ونشروا الخير وطيب الكلام، قال سبحانه ممتناً عليهم فلا حر ولا قر: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ۝١٤ ﴾ [الإنسان: ٨-١٤] .

يا الله ما أعظم النعيم، فيا من آذاه حر الصيف وقر الشتاء، اصبر عليهما حتى تفوز بالراحة الأبدية .

يا مؤمن، تذكر والشتاء يظلك أن للمؤمنين مع الشتاء أحاديث وأسراراً ، وأحوالاً وآثاراً، وعملاً واصطباراً، الشتاء يا مؤمن طويل الليل، فالله الله بركعات في السحر ، تناجي فيها ربك وتخلو فيها بنفسك، تسحّ دمعة حرّى على الخدين، تتضرع إلى من أوجدك، تسأله من خزائن جوده ، فالشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه ، لا تضيع الساعات في قيل وقال، فدقائق الليل غالية وأسهمه لا تخطئ ، ودعاؤه لا يرد ، ولكن أين المشمرون العاملون، قال تعالى : ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧ـ ١٨] وقال ﷺ : «**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آيه كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين** » [صحيح الجامع (٦٣١٥)] .

في قيام الليل وجد العارفون بغيتهم ، ولقي فيه العابدون أنسهم فصبروا وظفروا، كان رسول الهدى ﷺ «**يقوم حتى تتفطر قدماه فيقال له في ذلك، فيقول أفلا أكون عبداً شكوراً** » .

يبيت ليلته سهران مجتهداً ... وقد تغلغلت الأورام في القدم

أزيز صدرك في جوف الليل سرى ... ودمع عينيك مثل الهاطل العمم

فيا خسارة المفرطين، على الأوتار والصور يسهرون، ولدقائق الليل يضيعون، ما بالهم ألا يدركون ، ألا يؤمنون ، ألا يفكرون ، ألا يعقلون ؟.

يا مؤمن، ليكن لك نصيب من الليل، وحافظ من قيام الليل ولو على الوتر بعد العشاء، حتى لا تضيع سنوات العمر وتذهب دقائق الزمن في خسران ووبال.

يا مؤمن، وهذا نهار الشتاء قصير فاغتنم صيامه، حتى تربي نفسك على

الصبر والمراقبة، والخوف والمحاسبة، كفانا إضاعة لنفوسنا، وانسياقاً وراء شهواتنا، لابد من كبح جماح الشهوة، ورد جنوح الصبوة ، وأمامك الآن الغنيمة الباردة ليل طويل للقيام، ونهار قصير للصيام .

يا مؤمن، قد جاء الشتاء ببرودته فكيف أنت وإسباغ الوضوء، والصبر على المكاره، في الشتاء تأنس النفوس للفراش الدافئ، وتثقل عليها صلاة الفجر، ويتعاسر عليها إسباغ الوضوء، فأي همة هذه التي تبعث المصلين من مراقدهم، يتعرضون فيها للبرد والصقيع، إنهم يريدون رضا ربهم، لذا جزاهم الله خيراً عظيماً ، قال ﷺ : « **بشر المشائين في الظلم بالنور التام يوم القيامة** » وقال ﷺ : «**من صلى البردين دخل الجنة** » والبردان هما: الفجر والعصر .

أما أهل الوضوء والطهور، فلهم مع الشتاء شأن، فهم يصبرون ويكابدون، فهم للغرة يطيلون، وللوضوء يسبغون ، قال ﷺ في شأنهم: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات** ، قالوا: بلى يارسول الله، قال: **إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط** » [رواه مسلم] .

فيا مؤمن، تذكر كلما ضعفت الهمة هذه الأحاديث العظيمة، والأجور الكبيرة ، واغتنم هذه الليالي فإنها والله غنيمة.

عباد الله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فللشتاء مع الفقراء والمساكين، والأيتام والمحتاجين أخبار وأسرار، لا بد أن نشعر بها، وأن نشاطرهم همومهم، **ايها الفاضل** أنت تجلس في بيتك الدافئ، وأبناؤك يحيطون بك، السعادة غامرة، والأطعمة متوافرة ، والدار عامرة، لكن أخا الإسلام، لابد أن تدرك أنك لست وحدك في هذه الحياة، بل لك إخوان لهم قصص تدمي القلوب، وأحاديث تستمطر الدمع من الصخر الجلمود، توالت عليهم نوائب الدهر، وثقلت عليهم أعباء الحياة، فطردت الابتسامة من أفواه الصغار، ورسمت المأساة على جباه الكبار ، حتى أحاطت بهم سباع الرذيلة، يستغلون ضعفهم، ويبتزون كرامتهم، ويدوسون عزتهم .

يا مؤمن، إخوانك المحتاجون، الفقراء المعوزون، ينتظرون أياديك البيضاء، ويأملون فيك وفي أمثالك من الكرماء .

يا مؤمن، قبل أن تلج دارك تذكر كم من امرأة أقلقتها الهموم، وعلتها الغموم ، تسهر على أيتامها، تسقيهم دموعها، وتغذيهم أحزانها، لا تدري ماذا يأكلون أو يشربون، يكسر قلبها ملبسُهم ومظهرهم، يهد قوتها مرضُهم وحاجتهم.

كل ما تقدر عليه هو أن تضمهم إلى صدرها الحنون، وتعللهم بالمنى قبل المنون، من لها غيرك ، **ايها المحسن**؟ من لها غيرك، **ايها المؤمن**؟ يسأل عن حالها، ويكفل أطفالها، ويرفع بؤسها، ويسعد نفسها، ولا تنس **ايها الفاضل**، مع

زمهرير الشتاء، ذلك اليتيم بثيابه الممزقة، ونفسه المكسورة، وقد سالت دموعه على خده، وآهاته سخنت أنفاسه، فباح بسره وروى إحساسه .

هذي دموعي في الحشا عبر السنين ضاقت بها الآهات في قلبي الحزين
أنا اليتيم أنا الفقير أنا الكليم أنا المشرد في البقاع أنا السجين
لا بيت يؤويني ولا ليلي يفيق لا سلو أعرفه سوى أملي الدفين

فيا سعادة ذلك الشهم الكريم، صاحب اليد البيضاء، التي تمسح دمعته، وتسد جوعته ، وتستر عورته ، وتبقي كرامته ، جاء في الصحيحين قوله ﷺ: **«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل»** يالها من كرامة، يا لها من فضيلة، يالها من صحبة، قال ﷺ: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى»** .

أسر تُغلَق عليها الأبواب ، تُستر فيها عورات خلف الحجاب، لا معيل لهم ولا أصحاب، البرد يجلدهم بسياطه، والليل يغطيهم بهمومه وآلامه، بعضهم يسكنون دون فراش، وبعضهم يعيشون بلا أبواب ولا نوافذ، اختاروا الستر وراء تلك البيوت المهلهلة على استجداء الناس، رفعوا شكايتهم للخالق لا للخلق .

لكن بحمد الله، الخير في هذه البلاد عظيم، بتكاتف الجهود بين الجمعيات الخيرية ، وأصحاب الأيادي الندية ، وأهل الخير والعطية، تُسد الجوعات، وتنفس ـ بإذن الله ـ الكربات ، في صبيحة هذا اليوم مررت بيتاً تبرع لإصلاح بعض شأنه أحد المحسنين بمبلغ كلَّف عدَّة آلاف، فجزاه الله خيراً، وأجرى الله على يديه الرزق، وفتح له باب الخيرات وفعل الحسنات، لكن مازالت الحاجة قائمة، وأهل

الخير أمثالكم يُنتظر منهم الكثير، لكنهم قد لا يعرفون الطريق إلى المحتاجين والمعوزين ، فمن كان هذا حاله فليتصل بالجمعية الخيرية ، أو ليأت إلينا نساعده في فعل الخيرات، وإيصال المعونات.

معاشر الفضلاء، كثيرون هم الذين يبدلون ملابس الشتاء، ويشترون الجديد، فمن كانت عنده ملابس مقبولة، فعليه أن يغسلها ويرتبها ويوصلها إلينا، فهناك أناس في أمس الحاجة إليها، فهناك أجساد آذاها البرد، وآلمها زمهرير الشتاء، وقاست كثيراً من البؤس والعناء .

يا مؤمن، لا تنس كذلك وأنت تعيش في هذه البلاد الآمنة، حرسها الله من كل سوء ومكروه، أن هناك شعوباً مسلمة لا تعرف النوم ولا الراحة، حروب طاحنة، وآلام متوالية، وجراح نازفة، بلاد مسلوبة، وأعراض مغصوبة، مشردون ومهاجرون، معذبون ومضطهدون، يفترشون الأرض، ويلتحفون السماء، كيف حالهم في الشتاء، في الثلوج والعناء، آلام في الجسد، وآهات في الكبد .

أطفالهم لا يعرفون ابتسامة، ولا يدرون وطناً، يسامون عذاباً، ويعرضون سلعاً، يقاومون بأجسادهم الضعيفة زمهرير الشتاء، وآلام الفراق والعناء، شعوب مسلمة تطحن وتباد ، ويعربد على أشلائها كفار وأوغاد .

نسبى ونطرد يا أبي ونباد ... فإلى متى يتطاول الأوغاد

وإلى متى تدمي الجراح قلوبنا ... وإلى متى تتقرح الأكباد

نشرى كأنا في المحافل سلعة ... ونباع كي يتمتع الأسياد

ونبيت يجلدنا الشتاء بسوطه ... جلداً فما يغشى العيون رقاد

إخوانكم في فلسطين ما زالت جروحهم نازفة، ودماؤهم راعفة، اجتمع عليهم برد الشتاء وخسة الأوغاد، وثقل عليهم بغي العدو وتخاذل الأنجاد، حول الأقصى ما زالت الدماء تسيل، ويكثر القتل والتمثيل، ويعلو الصراخ والعويل، مازال الأبطال هناك ينافحون ويكافحون، وهم لمساعدتكم ينتظرون، ولنخوتكم يستنهضون، فاستشعروا ـ رعاكم الله ـ قدر المسؤولية، وعظم التبعة، فالأمر عظيم، والخطب جسيم.

في سفح نابلس لهيب معارك ... وعلى جبال القدس صوت جهاد

قل للغفاة عن القتال ألا تروا ... ماذا يراوح قدسكم ويغادي

أأموت في كف اللئام وأنتم ... حولي ولم يهززكم استنجادي

يا نائمين على الحرير وما دروا ... أنا ننام على فراش قتاد

متلفعين دم المعارك ما لنا ... إلا الحصى في القفر ظهر وساد

ونبيت لا ندري أنصبح بعدها ... أم أن عين الموت بالمرصاد

يا نائمين وما دروا أنا هنا ... لسنا نذوق اليوم طعم رقاد

إخواننا ـ والدهر فرق بيننا ـ ... مدوا لنا منكم يد الإنجاد

يا مؤمن، لا تنس وأنت بين أهلك وإخوانك، وأصحابك وجيرانك، أخواناً لك تربطك بهم عقيدة عظيمة، ويصلك بهم أخوة وثيقة، لا تنسهم من دعوات صادقة، ومشاركات فاعلة ، وإسهامات مؤثرة ، ليكن لهم في أموالنا نصيب، وفي دعائنا حق، وفي إحساساتنا مجال، لأننا أمة الجسد الواحد يجب أن نشتكي ونتوجع مما يتوجع منه إخواننا .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

محبطات الأعمال[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فإن العاقل كما يسأل عن سبيل زيادة الخير، فهو يحرص على أسباب الحفاظ على مكتسباته، فكيف إذا كانت هذه المكتسبات هي غرسُ الآخرة وأسبابُ السعادة، كيف إذا كانت هذه المكتسبات هي الحسنات التي تنهال بها الدرجات العلى بعد فضل الله ورحمته، أيها الأخ المبارك، إنك في رمضان جمعت ألواناً من العبادة، فهناك الصيام والقيام، والصدقة والإحسان، هناك الجمع والجماعات، والهبات والأعطيات، هناك حسنُ السيرة، ونقاءُ السريرة، هناك قراءة القرآن وحفظُ اللسان، هناك صفاءُ الروح والتوبة النصوح، يالها من مكتسبات عظيمة تحتاج منك إلى وقفة، لتعرف من أين يأتيها الخطر حتى تَحْرُسَها وتعمل على زيادتها .

أيها **الأخ الفاضل**، إنك لابد أن تولي هذا الموضوع عنايتك، وتعطيه ما يستحق من اهتمامك ورعايتك .

أيها الأخ المبارك، لقد امتن الله على عباده بأن جعل لهم أبواباً واسعة لتحصيل الحسنات، ورتب سبحانه بفضله ومنِّه على قليل العمل عظيم الثواب، ثم تفضل سبحانه على عباده بأن جعل لهم أبواباً أخرى لمحو ما عليهم من

---

(١) ألقيت هذه الخطبة عام (١٤٢٣هـ).

سيئات، بل ودلهم على ما يرفع درجاتهم ويعلي منازلهم، بل ربما اجتمع في العمل الواحد كل ذلك، كالصلاة التي تتكرر كل يوم فهي ماحيةٌ للذنوب، رافعة للدرجات، جامعةٌ للحسنات.

يا عبد الله، مع هذا الخير كله، احذر ماحِيَاتٍ أربعة لحسناتك، مهلكات لعملك.

أولها: العجب والغرور بالعمل.

أيها المبارك، إياك والعجب بكثرة الأعمال الصالحة، فإنه السبيل إلى ذهابها، لقد نهى الله نبيه عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝﴾ [المدثر: ٦]، واعلم أن الشيطان سيعمل عمله هنا، فيستعرض أمامك سجلَّ حسناتك الضخم، حتى يوقعك في شِراك العُجْب والمنّ بها على ربك، ولقد حذَّر السلف رحمهم الله من هذه المهلكة فقال عبد الله بن مسعود ﷺ: «النجاة في اثنتين، التقوى والنية، والهلاك في اثنتين، القنوط والإعجاب» ويقول مطرف بن عبد الله ﷺ: «لأن أبيت نائماً - أي عن قيام الليل - وأصبح نادماً، أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح مُعْجَباً»، ويقول سفيان الثوري: «التاجر الراجي لرحمة الله، أقرب إلى الله من العابد الذي يرى أنه لا ينال ما عند الله إلا بعمله».

أيها الأخ الكريم، إن بعض الناس لا يذكر إلا حسناته، فهي أمامه في كل حين، بينما هو غافل عن سيئاته، متناسٍ لها لا يخاف منها، ولا تقلقه كثرتها، ولا يزعجه تنوعها، وهنا مكمن الخطر، وهنا تكون أحبولة إبليس للإيقاع بالعبد، يقول سلمة بن دينار: «إن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها، وما خلق الله من سيئة أضرَّ له منها، وإن العبد ليعمل الحسنة تسوؤه حين يعملها، وما

خلق الله من حسنة أنفع له منها »، وذلك أن الحسنة تعجبه فيركن إليها ويمنّ بها على ربه، بينما السيئة مع حياة القلب تقلقه وتحدث له وجلاً في قلبه، يخضع معه لربه، ويستكين لخالقه، فهو دائم التوبة كثير الاستغفار.

أيها الأخ المبارك، إن سألت بعد هذا عن علاج هذا الداء الخطير (العجب) فإليك ذلك، اعلم أولاً: أن ما وفقت إليه من عمل صالح إنما هو بفضل الله وجوده فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، وأعلم أيضاً: أن هناك من عباد الله من هو أعظم منك ثواباً، وأكثر منك طاعة، فهناك المنفقون الباذلون، وهناك المصلون القائمون، وهناك الصابرون المحتسبون، وهناك الذاكرون الشاكرون، وهناك المخبتون الخائفون، فهوّن على نفسك ولا تغتر بكثرة عملك، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، ولكن احمد الله على فضله، واسأله المزيد، ثم اعلم أيضاً: أن عملك مهما عظم فلن يدخلك الجنة إذا لم تشملك رحمة ربك، قال رسول الهدى ﷺ كما في صحيح البخاري: **«لن يُدخل أحداً منكم عملُه الجنة**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة»**، بل إن العبد ليحقر ما قدم يوم القيامة لهول ذلك الموقف، ولدقة الحساب، ولأنه يعلم حينئذ قدر عمله بجانب نعم الله عليه، ولأنه يدرك حينئذ أنه إن لم يرحمه ربه فليس بناج، يقول الصحابي الجليل ابن أبي عميرة ﷺ: «لو أن عبداً جُرَّ على وجهه من يوم ولد، إلى يوم يموت هرماً في طاعة الله، لحقره في ذلك اليوم، ولودَّ أنه يرد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب» [قال المنذري: رواه أحمد ورواته رواة الصحيح].

وجاء [فيما رواه الإمام أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٤٦)] أن عتبة بن عبد

الله قال، قال رسول الله ﷺ: « **لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم يولد، إلى يوم أن يموت هرماً في مرضاة الله، لحقره يوم القيامة** » .

ويقول ابن القيم ﷺ: «ومن عرف الله وحقه وما ينبغي لعظمته من العبودية، تلاشت حسناته عنده، وصغرت جداً في عينه، وعلم أنها ليست مما ينجو بها من عذابه... وإذا كثرت في عينه دلّ على أنه محجوب عن الله، غير عارف به وبما ينبغي له » أ.هـ.

واعلم أيضاً **أيها المبارك** حتى يزول ما في القلب من العجب، أن أعمالك الصالحة التي قدمتها لا تدري ما الذي قبل منها من الذي رُد عليك، قال ابن عون: «لا تثق بكثرة العمل فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا، ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري أكُفِّرت عنك أم لا » .

انظر **رعاك الله**، إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] إنه وصف للمؤمنين، قالت عائشة ﷺ: «هم الذين يشربون الخمر ويسرقون يا رسول الله؟» قال المصطفى ﷺ: **لا يا بنت الصديق، إنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، ويخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات**» [رواه أحمد وصححه الألباني، عند الترمذي (٤٥٣٧)، وابن ماجة (٣٣٨٤)] .

أيها الأخ الكريم، إنها آية مرعبة، أهمت الصحابة فسألت عائشةُ الرسولَ ﷺ عنها، فيجب على المؤمن أن يكون على وجل وخوف، من أن ترد عليه أعماله وأن يكون مشفقاً، أن يقدم على ربه يوم القيامة صفراً، رغم كثرة عمله في نظره .

فانتبه أيها السائر إلى ربه من هذه الهاوية، هاوية العجب أن تقع فيها، فهي

من أخطر الأمراض والماحيات الماحقات، يقول عبد الله بن المبارك عندما سئل عن العجب: «أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك، ولا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب».

ثانيها : الاعتداء على حقوق الناس.

أيها الأخ الكريم، ماذا عساك تقول بعقلك النير، ونظرك الثاقب، في رجل جمع أموالاً طائلة، جمع جواهر ودرراً، أمضى فيها عمره وتعب فيها ونصب، حتى إذا جاءت ساعة الاستمتاع بها والإفادة منها، خرج من منزله وأخذ يبعثر هذه الأموال على كل من رأى سفهاً، ماذا يمكن أن تقول عنه، إن أقل وصف يمكن أن تصفه به هو السفه والجنون، فكيف إذا كانت المبعثرة هي الحسنات، والمفرقة هي الطاعات والموزعة هي القربات، ومتى يكون ذلك؟ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، الكل في حاجة إلى الحسنة، وفي تلك اللحظات الحرجة يفلس بعض الناس، وإن كانت معهم حسنات من صلاة وصيام وزكاة، والله إنها الخسارة التي يسعى إليها بعض الناس بأعمالهم، قال نبي الهدى ﷺ لأصحابه كما في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد: «**أتدرون من المفلس؟** قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال : **إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار**».

معاشر الفضلاء، إنه حديث مخيف لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو

شهيد، ولمن تأمل حاله وعلم قدر تقصيره، وكثرة اعتدائه على الخلق، إما بلسانه فيغتاب ويسب، ويشتم ويعير، وإما بيده فيؤذي الخلق إما بسفك دمائهم أو ضربهم والاعتداء عليهم، من يسلم من هذا ؟. طوبى لمن حفظ لسانه وجوارحه ورحم الخلق وأعانهم ورأف بهم .

ثالثا : السيئات الجارية .

وهي تلك التي يبقى أثرها بعد موت الإنسان، عباد الله إن الإنسان يبحث عن العمل الذي ينور عليه قبره ويفسح له فيه، يبحث عن الأعمال الخيرة التي ترفع درجته بعد موته، مثل الصدقة الجارية ودعاء الولد الصالح والعلم النافع، لكن هناك أناساً يعملون جهدهم في أعمال سيئة، تهدم المجتمع، وتبيد القيم، ويكسبون من ورائها إثماً عظيماً أحياءً وأمواتاً، ومن ذلك محلات بيع أشرطة الغناء وما فيها من البلاء، وما يقوم به الممثلون من إصدار أفلام خالعة خانعة ثم يموتون ويتركونها وراءهم ويصلهم بلاؤها في قبورهم، إنها سيئات جارية، ومثل ذلك بيع الدخان والمجلات الخليعة وكل ما هو محرم، ويلحق بهذا من خلف في بيته ما يهدم الخلق ويبعد عن الالتزام بدين الله أو يشكك فيه، سواء أكان عبر أشرطة الفيديو أو القنوات الفضائية، إن أمثال هؤلاء من الباعة أو المغنين أو الممثلين، سيحملون أوزارهم وأوزار الذين أفسدوا دينهم وأخلاقهم، من ملايين البشر سنوات طويلة، قال عليه الصلاة السلام كما في صحيح مسلم : «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً** » ، اعلم **أيها المبارك** أن كل جريمة قتل تقع في الأرض

يقع على ابن آدم الأول كفل منها، وقال النبي ﷺ: «**لا تُقْتَل نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها، لأنه أول من سن القتل**» [رواه البخاري].

فاحرص **بارك الله فيك**، ألا تورث بعدك ذنباً أو ذنوباً لمن خلفك، اتق الله وحاسب نفسك، فأنت عاجز عن حمل ذنوبك، فكيف بذنوب غيرك وأوزارهم، وكيف إذا كانوا آلافاً أو ملايين، يقول الشاطبي: «طوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه، والويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة، ومائتي سنة، يعذب بها في قبره يسال عنها إلى انقراضها»، ويقول حبيب أبو محمد: «إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه».

أيها المبارك، اعمل الصالحات حتى تذكر بعد موتك بالخير، ولاتكن ممن يُلعن بعد موته لظلمه وجبروته، ولاتكن من الذين يخلفون السيئات، ويحبون أن يذكروا ولو بالمحرمات، اتق الله فإن فرعون يذكر على مدى التاريخ، وكذا أبرهة، وكذا أبو جهل، لكنهم يذكرون ليلعنوا، فاعمل ليكن ذكرك حسناً، فيترحم عليك من وراءك، ويسألون الله لك المغفرة:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذِّكْرُ للإنسان عُمْرٌ ثان

عباد الله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فيا **أيها الأخ المبارك**، بقي أن نتذكر أمراً رابعاً هو من الأهمية بمكان كبير، وهو محبط عظيم، وماح للحسنات خطير، وكثير من الناس يستهين به، ذلك هو:

خيانة ساعات الخلوة:

ما رأيك **أيها الفاضل**، كم هي خسارة إنسان يأتي بحسنات أمثال الجبال ثم تُحبط في لحظة، فلا يبقى له شيء منها، لاشك أنه الخسران المبين، ولكن ما الذنب الذي أحبط تلك الأعمال وما الجريمة التي خسر معها الإنسان تلك الحسنات! إنها انتهاك المحرمات في الخلوات، إليك أيها المسلم الخائف من ربه، المشفق من عقابه حديثاً يجب أن ترتعد فرائصك منه خوفاً وفزعاً، إنه حديث أقض مضاجع الصالحين، وزادهم وجلاً على أعمالهم الصالحة، قال رسول الله ﷺ: « **لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً**، قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا جلهم لنا، ألا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: **أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها** » [السلسة الصحيحة (٥٠٥)].

أيها الفضلاء، كل منا يصدق مع نفسه هذه الساعة من منا إذا غاب عن العيون لا يقع في هذا الخطر العظيم، إن منا من إذا خلا في سيارته استباح سماع المحارم، وإذا كان في زاوية بيته استباح النظر إلى المحرم بل ربما ممارسته، إن منا من

يراقب الناس ولا يراقب الله، لذلك جعل الله عقابهم عظيماً.

يا أخي ، إذا خلوت في سيارتك أو غرفتك أو في الصحراء، تذكر نظر الله إليك، واتق الله أن تفعل ما لا يريد خالقك :

وإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان

فاستحْيِ من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

ذُكِر أن الإمام أحمد رحمه الله إذا أظلم عليه بيته يتمثل بقول القائل :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل لحظة ولا أن ما تخفي عليه يغيب

أسأل الله أن يحفظنا بحفظه وأن يكلأنا برعايته .

عباد الله ، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

تداعي الأمم[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فتعالوا **أيها الفضلاء** لنعيش في ظلال حديث كريم ، عجيب الدلالة، ظاهر البلاغة ، يحكي واقعاً ملموساً ، ويصور حالاً محسوساً ، مختصر العبارة ، واضح الإشارة، عميق في معانيه ، جميل في ألفاظه ومبانيه .

تعالوا لنعيش لحظات في ظلاله ، نستكشف كنهه ، ونوضح مقصده ، في ضوء ما نعيشه ، وحول ما نقاسيه .

قال رسول الهدى ﷺ الصادق المصدوق عن ثوبان ﷺ: « **يوشك أن تداعى عليكم الأمم** » ـ وفي رواية: « **من كل أفق** » ـ **كما تداعى الأكلة إلى قصعتها** ، فقال قائل : أومن قلة نحن يومئذ ؟ قال لا: **ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: **حب الدنيا وكراهية الموت**» [صحيح الجامع (٨١٨٣)].

ياله من حديث ما أصدق دلالته، وما أدق وصفه، تأمل كيف قال ﷺ: «**يوشك**» ، أي يقرب ويدنو ، «**أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق**» ، « **تداعى**» يدعو بعضهم بعضا، وينصر بعضهم بعضاً، ويؤلب بعضهم بعضاً، وتلك والله هي الحقيقة، «**تداعى عليكم الأمم**»: إنها ليست أمةً واحدة لكنها أمم، يجمعها

---

(١) ألقيت هذه الخطبة عام (١٤٢٣هـ).

الكفر، والعداوة للإسلام «**من كل أفق**»، أي من كل جهة وإن بعدت، أليس هذا واقعاً ملموساً، معاشاً محسوساً، أمم الكفر تتوالى في تأييد اليهود في أرض الصمود (فلسطين)، العالم كله يرى ويسمع وكأن الأمر لا يعنيه، لكن لو مات كلب من كلابهم أقاموا الدنيا ولم يقعدوها، هاهي أمريكا تبارك، بل وتؤيد وتبرر، والغرب يهدئ ويغرر، حتى تتم المجزرة وينتهي كل شيء، إنها صورة مكررة رسمتها الأحداث الماضية والحاضرة، أمم تتداعى وتتآزر وتتنادى من كل أفق، مثل أي شيء؟ «**كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، ياله من تشبيه ما أبلغه، وتصوير ما أروعه، وخبر ما أصدقه، ووصف ما أدقه، صورة يعرفها الجميع متكررة دائمة.

تخيل **يا عبد الله** مجموعة جائعين نهمين مشهورين بكثرة الأكل، وشدة الشره، كما يدل عليه لفظ (الأكلة)، يُذكر لهم طعام طيب كثير، يُجمع ويثرد في وعاء كبير كما هو مدلول (قصعة)، كيف سيكون إقبالهم؟! وماذا سيكون حالهم؟ لا شك أنهم سيهجمون عليه هجوم الكواسر على الفريسة، كل منهم يريد الفوز بحصته وغنيمته .

صورة واضحة للنهم البشري، صورة مصغرة لتفاهة الحضارات المادية يوم تتناسى إنسانية الإنسان، وتتعامل بلغة المصالح الخاصة، صورة الجشع البغيض الذي تعيشه دول الكفر الباغية، صورة لأطماعهم غير المحدودة في ثروات المسلمين، صورة مصغرة قد يكون مسرحها بيت أو ساحة، لكنها اليوم تتوالى أحداثها على مسرح الأرض الفسيحة .

لقد أقرت الدول الكبرى بأطماعها التوسعية، وأهدافها الاستعمارية،

وخططت لذلك في مسرحيات كبرى، ما مضى من أحداث، وما يجري الآن بعض تلك الفصول، وجزء من تلك المسرحية، كل ذلك لنشر مبادئهم، وتسويق منتجاتهم، والاستيلاء على موارد الخيرات في بلاد المسلمين، إنهم أكلة يتنادون على قصعة ، أليست هذه هي الحقيقة ؟ .

« قال قائل: أومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : **لا** »، إننا اليوم **يا عباد الله** لسنا قلة إننا أكثر من مليار، ـ ألف مليون مسلم وزيادة ـ ، قال: «**لا، أنتم يومئذ كثير**»، عجباً لنا، ما دمنا بهذه الكثرة، نشكل خمس سكان العالم ، ما بالنا ضعفاء؟ لأننا غثاء ، «**ولكنهم غثاء كغثاء السيل** » نعم نحن ألف مليون، تسعة أصفار لا قيمة لها، إنها تحتاج إلى واحد ليكون لها قيمة.

تأمل **يا مؤمن** دقة التصور، غثاء كغثاء السيل، ما أعجب التشبيه، كلنا يعرف غثاء السيل، إنه ما يحمله السيل من رغوة، ومن فتات وأعواد وأشياء على وجه الأرض .

غثاء السيل، جِماع لأشياء كثيرة، لكن لا قيمة لها، فهي ملقاة مهملة: ونحن عدد كثير لكن دون قوة ولا تأثير .

غثاء السيل، جِماع لأشياء لا روابط بينها إلا عدم النفع، وكذلك الأمة؛ أشتات وأخلاط يجمعها الاسم وتفرقها الحزازات والنعرات والتوجهات.

غثاء السيل، يقوده غيره، فالسيل يجرفه ويحركه وينقله من مكان لآخر، وكذلك الأمة غيرها يفكر لها، غيرها يوجهها، أعداؤها يلعبون بها، ويرقصون على جراحها .

غثاء السيل، تكون نهايته حفرة عميقة، يدفن فيها ويتجاوزه السيل، وكذلك مراد الأعداء يودون لو دمروا هذه الأمة، لو أهلكوها، لو أفنوها، احسبوا يا أهل الإسلام كم تسبب الأعداء في قتل نفس مسلمة في كل أنحاء الأرض في عام واحد فقط .

ذلك تشخيص موجز صحيح دقيق لحال الأمة، فهل ينتبه الإنسان لنفسه، ويعلم أنه واحد من هذه الأمة، فيبدأ بالنهوض من حفر الأعداء ، ويطلب السمو والضياء، والرفعة والسناء .

ثم قال: «ولينـزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم »أليس هذا موجوداً؟ فالأعداء اليوم لا يخافون منا، رغم أن العرب وحدهم لو مشوا على أقدامهم لسحقوا اليهود ، ولكن هيهات ما دمنا على هذا الوصف .

«وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن» ، الوهن ذلك المرض الخبيث، حب الدنيا وكراهية الموت، ليسأل كل منا نفسه أفيه هذا المرض، ولينظر في واقع المسلمين أفيهم هذا المرض؟ أظن أننا سنقترب من الإجماع على ذلك، حب الدنيا: أموال ومناصب، نساء ومساكن، متع ولذائد، كل يجري خلف سرابها، كل يغريه لمعانها.

يا هذا، إنما خلقت الدنيا لتجوزها لا لتحوزها، ولتعبرها لا لتعمرها، فارفع رأسك فأمامك دار القرار، هي التي تستحق العمل، عجبا لتعاسة نفسٍ رُفعت بسجود المَلَك، كيف نزلت بالخساسة حتى زاحمت كلاب الشره على مزابل الذلّ .

يا مؤمن، الدنيا لا تساوي نقل أقدامك في طلبها، أرأيت غزالاً يغدو خلف كلب، كلا لن يكون ذلك، الدنيا مجاز، والأخرى وطن، فاقلع حب الدنيا من

قلبك، واجعله في يدك، لا تنتسب لها ولا تكن من أولادها، فإنها مذمومة في كل شريعة والولد يتبع أمه.

تلك هي الدنيا التي تمكنت من القلوب، فعلاها الران ودب إليها الخور، فطمع فيها الأعداء، سلبت الأراضي والكرامات، والكل يفكر في دنانيره وأمواله كيف يحفظها ويعدها ، كيف ينميها ويزيدها؟ تلك هي الدنيا التي لا كرامة معها ولا قوة ، ولا منعة ولا عزة، أصحابها أحرص الناس على الحياة ، لذا فهم يكرهون الموت **«الوهن حب الدنيا وكراهية الموت»** .

هم في الخوالف حين ينطق مدفع   وإذا تحدث درهم رواد

يا قومنا، أليس هذا المرض في قلوب أكثرنا، «الوهن»: حب الدنيا وكراهية الموت، أما تلحظون أن بعضنا يكره من يتكلم في الموت ويذكر به، وتجده يقول : لا تُعقِّد الناس، وقد سمعنا عن رجل كان يمر في طريقه إلى بيته على لوحة مكتوب عليها «المقبرة »، فعمل بكل سلطته لإزالتها عن الطريق حتى لا يتذكر الموت، أليس هذا هو كراهية الموت، كيف سينتصر على نفسه وهواه ثم في أرض الوغى مَنْ هذا شأنه؟ من قبل كانوا يبحثون عن الموت، ويحرصون عليه، وذلك شأن أهل الآخرة، لا أهل الدنيا، أو ما كان النضر ﷺ يقول وهو متوجه إلى الموت: «واهاً لريح الجنة إني لأجده دون أحد »، وهذه المشاهد تتكرر اليوم في صور الجهاد في أصقاع كثيرة، منها ما يحدث على أرض الإسراء، ولن تكسر شوكة الأعداء إلا بمثل هذا، ولكن نحن ماذا فعلنا؟ أمازال الخور يسكن القلوب، أما زال الوهن يسيطر على النفوس؟.

عباد الله، هناك على أرض فلسطين، ملاحم وبطولات، وجولات

وصولات، هناك رؤوس تزال، ودماء زكية تسال، وكل ما عملناه نحن أقوال في أقوال .

في أرض الإسراء إخواننا، تكالبت عليهم قوى الطغيان، من اليهود وحملة الصلبان، يريدون طردهم وإبعادهم، يريدون سحقهم وإبادتهم .

يالله ما أعظم الخطب، في أرض الإسراء نزيف ودماء، وعويل وبكاء، بيوت تُحرّق، وأشلاء تمزّق، وأسر تُشتّت وتُفرّق، جثث في دمائها تغرق، ونفوس زكية تقتل وتزهق .

نادوا بأعلى الأصوات، ونقلت الصور عبر الشاشات، ولكن قابلنا أزيز المدافع والطائرات، باستنكار ورفع شعارات، وقابلنا دخول الدبابات، بالدخول في مفاوضات وتنازلات، هذا طفلهم يخاطب أطفالكم :

يـا أيـها الأطفـال إني مثـلكـم — طفل لأحـلامـي سقيـت ورودي
هل عندكم حلـوى ؟ فإني لم أجـد — إلا رغيفـاً نصفـه للـدود
هل تلعبون وتضحـكون فإننـي — أقضي النهـار بحيـرتي وشـرودي
يوماً رأيت أبي يمـوت وجدتـي — تبكي وتحضنـه (بُنيّ) وحيـدي
الكـل من حـولي يـروّعُ قـلبُه — في والـد وحليلـة ووليـد

لقد بثوا الشكوى، لكن دون جدوى، عند ذلك عرفوا أن المعين هو الله، وأن حبل القوة من الأرض قد انقطع، ولم يبق إلا حبل الله، عندها تفجر على أرض الإسراء بركان الإيمان، فرفعوا شعار التوحيد، وأعادوا لنا بعض تاريخنا المجيد، فتعالى بالعز نشيدهم، وتسامى بالكرامة نداؤهم، وتميز على الأنام

شعارهم:

القدس ومسجدها الأقصى مهد الإسراء
سنحررها شبراً شبراً أرضاً وسماء

لقد ظهرت على أرض الإسراء الملاحم والبطولات، وسطر الشباب هناك صوراً مشرقة من الصمود والقوة، وخلفوا وراءهم الضعف المذلة، فارتفعت هاماتهم وتسامت قاماتهم ، عندها خسئ أحفاد القردة وأرباب الصلبان .

هناك في أرض الإسراء، أسرعت إلى الرضيع رجولته، ونمت في الطفل بطولته، حتى ما عاد الطفل طفلا، بل أضحى مغواراً بطلاً، لا يهاب الموت، ولا يخاف الصوت، يهرب من أمامه اليهودي الحقير، وهو ثابت صامد بل يغير، إنهم أطفال يعيشون المأساة، لكن قلوبهم بالله عامرة ونفوسهم أبية، يرددون أبيات العزة و الكرامة، يوم ردد أولادنا الأغاني والأشعار الفارغة، لا يرضون الذل والمهانة، هم في عرس دائم ، كل يوم يزفون عشرات الشهداء، هم كل يوم في عيد، طفلهم يقول:

عيديّتي عند الصباح رصاصة ... وتعيدون بلعبة ونقود
خلوا لكم في عيدكم ألعابكم ... فلدي ألعاب من البارود
أنا لم أعد طفلاً فما يروي ظما ... قلبي سوى عيش كعيش أسود
طفل وما أنا للطفولة إنني ... فقت الرجال بهمتي وصمودي

أما الشباب فهم يتزاحمون على الموت، يقف أربعة آلاف شاب هناك في فلسطين ينتظرون نصيبهم من الموت الكريم، والإهانة للعدو اللئيم.

هناك في فلسطين الأرض تغلي بالبطولة، والكل يهتف بالرجولة، حتى سرت في قلوب الأطفال، وتوقدت معها مهج الأبطال، وتطلعت إليها نفوس ربات الحجال، الأبيّات العفيفات، المحصنات الغافلات، يا للعار فتيات في عمر الزهور يقدمن أعلى التضحيات، والرجال في صمت وممات، تخدرهم وعود الأمم، ووعد الله أصدق وأتم، يا ليت شعري كيف حال فتياتنا، إنهن مشغولات بالموظات، والتسكع في المحلات، والتشبه بالكافرات، ومتابعة أخبار الفنانات، أما شبابنا، فالعقول خاوية، ساوى بعضهم الرأس بالقدم، فالكل في خدمة الكرة، كيف لأمة هذا حالها أن تنتصر أو تستحق نصر الله، أين العمل ؟ أين الدين ؟ أين الأخلاق؟ أين الإعداد؟ نحن ما زلنا نطلق على أرباب الألعاب أبطالاً، وعلى أرباب الغناء والتمثيل نجوماً، وما أكثرهم ! فأين هم عن ساحات الوغى؟ أين تلك البطولات؟ وأين أولئك الأبطال؟ شعارات فارغة ولافتات خادعة، انحطاط في الدلالة، وتغرير في اللفظ والعبارة.

يا قومنا كم نحتاج إلى رجوع وتدقيق، وحساب للنفس وتحقيق، ونسأل أنفسنا أهذا ما يريد ربنا منا ، ألهذا خلقنا ؟ الجواب نتركه لكل عاقل .

عباد الله، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فليس بغريب ما نراه من تكاتف الصليب مع النجمة السداسية ، فهم ملة واحدة .

إن التاريخ ليذكر إن كنا قد نسينا أن الصليبيين قد زحفوا على بيت المقدس في حملة شرسة، سميت بالحروب الصليبية، دخلوا فيها بيت المقدس كما يفعل اليهود اليوم، وقتلوا ودمروا حتى خاض العسكر في الدماء إلى الركب، هذا هو تاريخ أهل الصليب الأسود، حربهم ما زالت مستمرة، وأحقادهم ما زالت مستعرة ، نوايا قلوبهم تظهر في فلتات كلامهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨].

وإن كنا ننسى فإن التاريخ يذكر يوم اجتياح المغول والتتار ديار المسلمين، حتى أهلكوا الحرث والنسل، يوم سرى فينا مرض «الوهن»،حتى قتلوا في بغداد وحدها ألفي ألف أي مليوني إنسان ، أعملوا السيف فيهم أربعين يوماً، لكن ماذا كان حالهم ، ولماذا اجتمعت عليهم تلك الأمم؟ لأنهم أصيبوا بمثل مرضنا اليوم «حب الدنيا وكراهية الموت »، كانوا في ضعف وخور، وعزف ووتر، غناء ومجون، عربدة وجنون ، أحاطت التتار بدار الخلافة فرشقوها بالنبال، وكان بين يدي الخليفة المحاصر جارية اسمها «عرفة» تلاعبه وتضاحكه، فجاءها سهم فقتلها، وهي ترقص بين يديه، فارتعد الخليفة وفزع وجن جنونه، فأمسك بالسهم وإذا مكتوب عليه: «إذا أراد الله إنفاذ قضائه أذهب من ذوي العقول عقولهم» [البداية والنهاية (٢٠٣،٢٠٠)].

يا عباد الله، ذلك هو التاريخ لا يحابي أحداً، وما أشبه الليلة بالبارحة، فقد تنادوا يومها بالنصرة والتأييد، وظهرت خيانات وخلافات، اسمعوا إلى ما يصور تلك الحقبة، وكيف أنه يشبه ما نحن فيه ، يقول شاعرهم :

مزجنا دمانا بالدموع السواجم ... فلم يبق منا عرضة للمراجم

وشر سلاح المرء دمع يريقه ... إذا الحرب شبت نارها بالصوارم

وكيف تنام العين ملء جفونها ... على هفوات أيقظت كل نائم

وإخوانكم بالشام يضحى مقيلهم ... ظهور المذاكي أو بطون القشاعم

تسومهم الروم الهوان وأنتم ... تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

يا قومنا هذه الأيام دول ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٠] ، والله اشترط النصر للنصر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: ٧] ، فلعلك تتساءل ماذا يمكنني أن أفعل ؟ يمكنك أن تفعل الآتي :

١ـ التغيير الفوري لحالك، حتى تكون على مراد الله ، فأنت واحد من ذلك المليار الذي يشكل هذه الأمة، والله قد ضمن لنا النتيجة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد: ١١] .

٢ـ الدعاء لإخواننا بالنصر، فذلك مما لا يعذر فيه أحد، ادع لهم في الصلوات والخلوات، ادع لهم بالليل والنهار، فسهام الليل لا تخطئ، ولعل فينا

من يستجاب دعاؤه .

٣ ـ التخلي تماماً عما فيه تقوية للكفار، أياً كانوا فهم ملة واحدة، فلا نشتري سلعهم ولا نتاجر بمنتجاتهم .

٤ ـ أخذ العظة والعبرة، فوالله ما ذهبت الممالك والدول، ولا استبيحت الدماء إلا يوم ضاع الإيمان، يا قومنا، تأملوا في أحوالنا، إذاعاتنا طوال ساعاتها لا يفارقها الغناء، وحتى في أحلك الظروف التي نعيشها مازال المغنون يغنون بالحب والغرام، والوله والهيام، بالله عليكم متى انتصرت أمة بذلك؟ اسألوا التاريخ هل صد المسلمون عدوهم بالفرق الموسيقية، والأنغام الوترية؟ كلا والله، هاهم أبطال فلسطين يحملون في قلوبهم الإيمان، ويتلون القرآن، ويربطون على رؤوسهم شهادة التوحيد والإذعان، لاإله إلا الله محمد رسول الله، عند ذلك فقط سرت في قلوبهم العزة والقوة، حتى لا يرضى أحد منهم إلا بالكرامة والرفعة، هتافهم الله أكبر، ونشيدهم :

كل الــذي أدريــه أن تجرعــي	كأس المذلة ليــس فـي إمكانــي
أنا إن سقطت سقطت أحمل عزتـي	يغلـي دم الأحـرار في شــريانــي

يا قومنا، الذي لا يأخذ العبرة من غيره، تؤخذ منه العبرة لغيره، فعودوا إلى ربكم، فالأرض كلها لله يورثها من يشاء من عباده.

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

أفـراح الطـاعة [1]

« خطبة عيد الفطر »

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فهذا هو يوم العيد، العيد ذلك اللفظ الجميل، والمعنى الجليل، العيد ليس لباساً وحلة، بل هو قبل ذلك صفاء وخُلة، العيد نشوة القلب والفؤاد، بطاعة برب العباد، العيد ليس لمن لبس الجديد ، ولكن لمن طاعته تزيد، العيد هو الفرحة بالطاعة، والأنس بالعبادة، العيد مظهر من مظاهر الشكر والعرفان، للرحيم المنان، العيد ائتلاف القلوب، والخضوع لعلام الغيوب، العيد هو سمو الطاعات، ونشوة القربات، العيد فرحة القلوب المؤمنة، والنفوس المطمئنة ، وكيف لا تفرح وقد أنعم العظيم عليها بشهر الصيام، شهر القيام، شهر القرآن، شهر الغفران، ومن تأمل عيدي المسلمين وجدهما بعد طاعتين عظيمتين، وما حيتين للذنوب كبيرتين ، وركنين من أركان الإسلام : رمضان والحج .

إنها إشارة إلى أن كل فرح لم ينتج عن قربة فهو منقطع زائل، وحقيق بصاحبه أن يبكي لا أن يضحك، وأن يحزن لا أن يسر، إنها لمحة لطالبي السرور، وناشدي الحبور، ومؤملي السعادة ، أن يرغبوها في الطاعات لا في المنكرات .

سبحان الله، ما أغفل الخلق!كم هم الذين يبحثون عن اللذائذ في مستنقعات الرذائل، يرومون الهناء والأنس، بحبوب الهلوسة والرجس، يتطلعون إلى النشوة

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في عيد الفطر عام (١٤٢١هـ).

بألوان المجون والشذوذ؟ ، يا ويحهم ما أسوأ حالهم، وما أشد بؤسهم! .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه:١٢٤].

لكن من عاش مع الله، وتلذذ بالقرب منه، وطارت نفسه إليه شوقاً فذلك الناجح، ذلك المطمئن الهانئ، ذاك هو طريق الخلاص وسبيل الهناء، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:٢٨].

معاشر المؤمنين، هل سمعتم أن القلوب ترقص فرحاً وسروراً، وراحة واطمئناناً، إنها جنة الدنيا، إنه العيش الطيب الذي حرمه كثير من الناس، تلك هي السعادة ، وتلك بعض إشارات وإضاءات الفرح بالعيد .

يا عبد الله، إن الفرح بالطاعة يجب أن يكون هو في ذاته طاعة، لذا شرع لنا في يوم العيد أن نرفع أصواتنا بالتكبير، وأن نملأ الدنيا شكراً وتسبيحاً ، وتهليلاً عرفاناً بفضل ربنا سبحانه .

يا أهل الإيمان، هل يلتقي التكبير مع الغناء، أم هل يجتمع التكبير مع فاحش القول والبذاء .

يا عبد الله، تيقن أن علامة قبول العمل الاستمرارية فيه، والحسنة تطلب الحسنة .

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

يا مؤمن، ما فائدة أن ترتسم على الوجه ابتسامه عريضة، والقلب يموت

حسرات، ماذا يغني أن يعلو الغناء، وينتشر الطبل والزمر، والفؤاد مكبل بالمعاصي مأسور بالأحزان ، لنبحث عن أفراح الروح لا ملذات الجسد :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالـروح لا بالجسـم إنســان

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

العيد **يا مؤمن**، صورة مشرقة من التكافل والتواصل، إنها ليست فرحة تطول الغني وتقصر عن الفقير، كلا بل هو شعور عام وتكامل تام ، لذا شرعت زكاة الفطر، حتى لا يبقى محتاج ذلك اليوم، فأي تكافل تعرفون كهذا التكافل، وأية أمة يكون فيها مثل هذا التواصل؟، إن المعهود أن الحفلات، ومناسبات الهناء، تمارس فيها الخبائث والمنكرات ، ويكسل فيها عن الطاعات والقربات ، ويبعد فيها الضعفاء وأصحاب الحاجات، إلا في شريعة الإسلام فالسعادة شاملة، والسرور عام، لأن مصدره طاعة الله والأنس بعبادته .

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

يا أصحاب الأيادي البيضاء، عليكم بطريق الإحسان إلى الخلق فهو من أبواب الخير ، بل وأحد أسباب سرور القلب ، قال ﷺ : « **يا فلان تريد أن يلين قلبك وتدرك حاجتك فامسح على رأس اليتيم** » .

عباد الله، لقد انقضى رمضان، فهل حَصّلنا نتيجته؟ تعالوا إلى آية الصيام لننظر في مقصدها، ونتمعن في هدفها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣] فهاهو ذا الصيام قد تمت أيامه، وتصرمت لياليه، فأين (التقوى) ذلك البلسم

الذي به تحيا القلوب، وتشرق النفوس، ويرقص الجنَان ، ويسموا الإنسان، ليكون أهلا لدخول الجنان: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، أعدت لِمَن ؟ هيئت لمن ؟ للمتقين. فمن هم المتقون ؟ ما صفاتهم ، ما أعمالهم؟ لعلنا نعرض أنفسنا عليها، فنرى أنحن منهم، أنحن على طريقهم، أعندنا بعض صفاتهم، أنحن حقا قد فزنا بنتيجة التقوى من صيام رمضان ، وقيامه، كما قال سبحانه: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة:٢١] أم أن ذلك لم يكن ؟ .

ايها المؤمن، إليك شيئاً من صفاتهم، وبعضاً من سماتهم، في قوله تعالى واصفاً أهل الجنة: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤ ـ ١٣٥].

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

إنها موعظة لمن تأمل واعتبر، وأدام الفكر والنظر، إنه لن ينفق ماله، ولن يخرج من قسيم الروح إلا من سمت نفسه وعلا إيمانه : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان:٨]، تأمل يا مؤمن والناس يعيشون سعار المادة، هذا الوصف للمتقين أهل الجنان: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وفي آيات أخرى: ﴿ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾، وفي أخـرى: ﴿ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ فأين هذه الصفات يا أهل الإيمان؟ كم هم الذين ينفقون أموالهم في السراء والضراء، على مدى الليالي والأيام، في السر والإعلان، عجباً

للناس يثقون بوعد الشيطان وينسون وعد الرحمن : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

ومن صفات المتقين، التجاوز عن الهفوات والعفو عن الزلات قال تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] يالها من مرتبة أن تسمو نفسك ، فتتجاوز الثأر والعقاب، وتتطلع إلى الأجر والثواب ، من الرحيم التواب ، ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧] ، فاصبر على أذى الناس، وتحمل أخطاءهم فتلك سمة العظماء، وخلة النبلاء، يتقدم الأعرابي فينادي خير البشرية أجمعين «يا محمد»، دون ألقاب، أو معرفة بآداب الخطاب: «أعطني» ويجذبه من ردائه فيؤذيه، فيلتفت رسول الله ﷺ مبتسماً، لم يغضب، ولم ينتصر لنفسه ، بل تجاوزت نفسه الكريمة كل ذلك ، يا للأخلاق العالية ، والسلوكيات الرفيعة ، ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] .

ماذا استفاد محبو الضرر للناس، وماذا جنوا إلا أنهم بنوا في قلوب الخلق جبالاً من الكره لهم ، فالأفواه تبتسم والقلوب تلعن، لكن هناك من عباد الله مَنْ يفرح به الجنان، قبل أن تترجم ذلك الشفتان، لما جلبهم الله عليه من حسن الأخلاق، وطيب المعاشرة، وكثرة العفو ، كان الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله مفتي هذه البلاد يتأذى من زحام الناس وأحياناً من دفعهم له، وأحياناً من

كلامهم معه بما يتجاوز حدود الأدب، فلما سئل عن ذلك قال: نعم يلحقنا بعض الضرر، لكننا نصبر، فرحمه الله ما أجمل شمائله، وأكثر فضائله، لذا نشر الله حبه في قلوب العباد ، وها نحن نذكره وهو في قبره بالخير وندعو له بالرحمة .

أما الظَّلَمَة فهم يُلعنون ويُدْعَى عليهم بالهلاك، شتان بين الطريقين: طريق التسامح والتصافي، والحب والتسامي، وطريق الحقد والضغينة، والظلم والأخلاق المشينة، فروّض نفسك وتجاوز عن الأخطاء ، وقد ربَّاك رمضان على التقوى وتلك بعض ثمارها، فانظر **رحمك الله** إلى من قَطَعْتَ حِبال مودته، ومن تعدَّيْتَ على حقوق صلته وقرابته، هل من سبيل إلى وصل ما انقطع، ولرأب ما انصدع؟ نعم إنه العيد فيه تتلاقى القلوب، وتتصافى النفوس، وتذكر أنه لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب، ولتكن أنت الواصل والمسامح ، واعلم أن أعظم من تجب صلته والداك، ما أعظم حقهما، وأجل قدرهما! كيف وقد قرنه الله في آيات ثلاث بعبادته وتوحيده، منها قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ففضلهما لا ينكر، وحقهما لا ينسى، فقد كنا في الصغر ماء عيونهم ، ومهج أرواحهم ،وزينة حياتهم ، يسهرون الليل إذا اشتكينا، ويرخصون الغالي إذا مرضنا، من بذرتهم خلقنا، ومن رحيقهم شربنا، وفي حجرهم نشأنا، فالله الله بحسن عشرتهم بلين الكلام، والتحية والسلام، والإنفاق والإطعام ، وحذار من العقوق والأذى ، فإنه لو كان من العقوق شيء أدنى من «أف» لذكره الله: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء ٢٣]، وقال ﷺ : « **الوالد أوسط أبواب الجنة فمن أراد أن يفتح ذلك الباب أو يغلقه** » .

يا أهل الأيمان، والله إنها لمأساة أن يتنكر الأولاد، وفلذات الأكباد، لوالديهم فلا يعرفون لهم فضلاً، ولا يقدرون لهم منزلاً، يتعدون عليهم بأغلظ الكلام، ويؤذونهم بالعقوق والعصيان، وأحياناً بالضرب والشتم والهجران.

ومن صفات أهل التقوى، يا من جربتم لذتها وثمرتها في رمضان، التوبة إلى الله ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] نعم إنها سمات المتقين يخافون ربهم من فوقهم، ويشفقون من عذابه، تحرقهم ذنوبهم فلا يأنسون حتى يعفو عنهم ربهم، تأتي إلى رسول الله ﷺ امرأة قد أخطأت وزنت فآلمها جرمها، وأحرق قلبها، جاءت مُسَلِّمة لله أمرها، فقالت يا رسول الله: إني قد زنيت فطهرني، فردها ﷺ، فجاءت من الغد، وقالت يا رسول الله لِمَ تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزاً فوالله إني لحبلى، قال: «لا فاذهبي حتى تلدي»، فذهبت ولم تُنْسِها مدة الحمل خطأها، بل جاءت بالصبي في خرقة، فقالت يا رسول الله: قد ولدته، أي إيمان هذا الذي جاء بها دون مراقبة؟ إنها مراقبة الله إنه الخوف من الله، قال: «**فاذهبي فأرضعيه حتى تفطميه**»، فلما فطمته أتت النبي ﷺ بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام، يا لله ما أعظم المراقبة، ما أعظم الإشفاق !، مدة الحمل كاملة، ومدة الرضاع كاملة، كان يمكن أن تذهب ولا تعود، وتنكر ولا تعترف، ومع هذا تجود بنفسها، فيأمر النبي بالصبي، فكفله أحد المسلمين، ثم يأمر بها فرجمت، فنضح الدم على خالد، فسبها، فقال النبي ﷺ: «**مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة، لو تابها صاحب مكس لغفر له**»، ثم أمر بها ودفنت ﵂.

فيا صاحب القلب الحي، يا من أقبلت على ربك في رمضان بادر بالتوبة واحرص عليها ، ولا تزهد فيها فإنها من رحمة الله الواسعة ، قال ﷺ كما في صحيح الجامع: « فتح الله باباً للتوبة من المغرب عرضه مسيرة سبعين عاماً، لا يغلق حتى تطلع الشمس منه ».

ومن سمات أهل التقوى يا أهل الصيام، مداومة الطاعات، وكثرة القربات: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الذاريات: ١٥ـ ١٩] ،فلا تترك يا مؤمن قيام الليل والأنس بمناجاة الله سبحانه .

ومن سمات الأتقياء الإيمان بالغيب، وإقامة شعائر الدين قال الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة:١ـ ٥] .

يا مؤمن، هذه بعض صفات المتقين، وسمات المفلحين، وصفهم بها رب العالمين، أما رأيت كيف تحركت نفسك الكريمة إلى تلك الصفات في شهر رمضان؟ فيدك طولى بالإنفاق ،ونفسك كريمة متسامحة ،تعفو عن المسيء وتحب المحسن ، وقلبك متوجه إلى ربه ، منيب إليه، تذْكُر ربك في آخر الليل، وتستغفره وتسبحه، تخاف من ذنبك وتوجل من خطئك، يقشعر جلدك عند ذكر النيران، وتشتاق نفسك عند ذكر الجنان، وكل ذلك من الغيب الذي لم تره، إذاً أنت تعيش

عبق التقوى، وتتلبس بصفات أهلها، فحذار من التغيير، ومن الرجوع والنكوص بعدما جربت طريق الفلاح، ومضيت قدماً في سبيل الفوز والنجاح .

اللهم ثبتنا على طريق التقوى، وزدنا إيماناً ويقيناً، برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الكبير المتعال القائل ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء:١١١].

فالله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله وأكبر ولله الحمد .

أختي المسلمة ، تأملي **رعاكِ الله** صفات المؤمنات في القرآن، وانظري إلى همتهن ومطالبهن، أختاه إلى متى تقصرين النظر على الحذاء واللباس والمكياج والجمال، متى تعتنين بجمال الروح وسموها، وشفافية النفس ورفعتها، متى تركلين برجلك تلك التفاهات لتكوني شامة بين الناس ، تأملي مطلب مريم عليها السلام : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ٣٦] ،إنها تتمنى الولد ليخدم بيت المقدس، يا مربية الأجيال وصانعة الرجال، هل جال في فكرك يوماً أن تربي أبنائك على تلك المعاني السامية، ليكونوا للقرآن حفظة، ولنافع العلوم جمعة، هل خططت أن تربي ابنتك على سامي الأخلاق، ورفيع المبادئ، أم أنك تركت ذلك للأيام والليالي، والصاحبات والقنوات، والحاضنات والخادمات.

لا يا أختاه، هذا لا يليق بمثلك، ثم انظري ماذا قدمت لنفسك؟ أما تشتاقين إلى الجنة، أما ترغبين في الحلي والجواهر، يكفي أن تعلمي أن نصيف امرأة من نساء الجنة على رأسها خير من الدنيا وما عليها، فاسألي نفسك الآن ماذا عملت من أجل الجنة والنجاة من النار، امرأة فرعون تؤمن بالله، تزهد في الرياش والقصور، والزينة والعطور، والحرس والخدم، وتشتاق إلى جنان الخلاق، يعذبها فرعون ويصلبها ويضربها حتى تسيل دماؤها فلما شارفت على الموت قالت: ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١﴾ [التحريم ١١]، فأراها الله بيتها في الجنة فتبسمت، فقال فرعون انظروا إلى المجنونة تبتسم وهي تموت.

فالله الله **يا أختاه**، لا تكوني لعبة في أيدي صناع الموضة، ومصممي الأزياء، كل يوم لهم لون وجلد ، ومكر وخديعة، عندك **أيتها الفاضلة** ضوابط اللباس الشرعي، اقرئي وتعلمي، ثم سلمي لربك واعملي، فإنه لا قول بعد قول الله وقول رسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ . اللهم فاجعلنا من المسلّمين لأمرك، المنقادين لشرعك .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

إلى متى التباطؤ عن الحج[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد:

فيقول ربنا سبحانه وتعالى آمراً إبراهيم ﷺ: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحج: ٢٧] إنها الدعوة الأولى لحج بيت الله الحرام، دعوة أطلقها إبراهيم ، وبلغها رب العالمين، دعوة بلغت الآفاق، ولبت لها القلوب، وبكت الأحداق، دعوة استجابت لها النفوس المؤمنة، والأفئدة المطمئنة، حتى أقبل الناس «رجالاً» أي على أقدامهم، قبل الذين على رواحلهم، يقطعون المفازات، ويتجاوزون الفلوات، وجاءوا كذلك راكبين، يجهدون في الوصول إلى البيت شوقاً وفرحاً ، متناسين تعبهم، متجاوزين نصبهم ، لسان حالهم يقول :

يحـن إلى أرض الحجـاز فؤادي	ويحدو اشتياقي نحو مكة حـادي
ولي أمل مازال يسمـو بهمتـي	إلى البلـدة الغراء خيـر بلادي
بها كعبة الله التي طـاف حـولهـا	عبـاد هـمُ لله خـير عبـاد
لأقضي فرض الله في حـج بيتـه	بـأصـدق إيمـان وأطيـب زاد
أطوف كما طاف النبيـون حولـه	طـواف قيادٍ لا طـوف عناد

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (١١/ ١١/ ١٤٢٢هـ).

وأستلم الركن اليماني تابعاً لسنة مهدي وطاعة هادي

يا مؤمن، هل هزك هذا الشوق، هل حنت نفسك إلى البيت العتيق؟ عجباً لقلب يرى تلك الصور المشرقة، ويتذكر تلك الأيام الخالية، ولا يتحرك، ولا يشتاق، وما زال مشغولاً بأمواله، مازال لاهياً مع أهله وعياله، والخيرات تقسم، والحسنات تقدم، والسيئات تهدم، قال ﷺ كما في صحيح الجامع « **ما ترفع إبل الحاج رجلاً ولا تضع يداً إلا كتب الله تعالى له بها حسنة ، أو محا عنه سيئة ، أو رفعه بها درجة** » عجيب أمرنا كيف لا نفكر في هذا الفضل، ونتناسى هذا الكرم، والأمر سهل ميسر، والضمان في هذه الرحلة من الله لا من العباد ، يا مؤمن تأمل قول نبيك المصطفى ﷺ كما في السلسلة الصحيحة: « **ثلاثة في ضمان الله عز وجل ، رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله عز وجل ، ورجل خرج غازياً في سبيل الله ، ورجل خرج حاجاً** » .

يا مؤمن لم الخوف إذا، لم التوقف إذاً، لماذا لا تقرر من ساعتك هذه أن تكون من وفد الله هذا العام؟ قال ﷺ كما في صحيح الجامع: «**الحجاج والعمار وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم** » .

يا مؤمن، إلى متى التباطؤ والتقهقر، إلى متى التراجع والتأخر؟ والعمر يمضي، والزمن ينقضي ،فقد لا يمهلك الأجل ، فسارع قبل أن ينقطع الأمل .

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

يا مؤمن تأمل في حالك كم من سفرة سافرتها، وكم من رحلة قطعتها، خططت لها وجمعت لها الأموال، كل ذلك لتروح عن نفسك في أيام محدودة، أو

لتجمع دراهم معدودة، أما فكرت أخي الفاضل في رحلة هي أروع الرحلات وأعظمها بركة، وأعلاها منزلة ، مدتها قصيرة، وفضائلها كثيرة، مقصدها عظيم، وهدفها نبيل، إنها رحلة الحج، الحج الذي هو قصد الكريم، وتذكر الرحيل، وترك الحبيب والخليل، الحج الذي هو سبيل غفران الذنوب وغسل الأدران والحوب، قال ﷺ: « **تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ..** » [رواه الترمذي والنسائي]، الحج طريق الجنة والرضوان، وسبيل العفو والغفران قال ﷺ: « **والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** » [متفق عليه]، وقال ﷺ كما في السلسة الصحيحة: «**ما أهل مهل قط إلا بُشر، ولا كبر مكبر قط إلا بُشر ، قيل : بالجنة قال : نعم**»، أفلا نشتاق إلى الجنان، أفلا نريد الرضوان ، ومحبة الرحمن؟.

يا مؤمن، هل رأيت منظراً أجمل أو أروع من أفواج الحجيج بلباس واحد، ونداء واحد، وهدف واحد؟ قلوبهم مجتمعة، ووجهتهم متحدة، يرجون ربهم، ويأملون في عطائه، هل رأيت اجتماعاً كهذا، أفلا ترغب في مشاركتهم في مؤتمرهم العظيم، الذي شرق به الأعداء من اليهود والنصارى حتى تمنوا زواله، وعدوه من أسباب قوة المسلمين؟.

يا مؤمن، تذكر ذلك النداء الذي ينطلق من حناجر الملايين «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك ،إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**» إنه إعلان للتوحيد، ووضوح في القصد، هذه التلبية تأمل كم ترددها من حناجر، وكم ترتفع بها من أصوات؟ ليس هذا فقط، بل والكون كله يلبي، والدنيا كلها تردد هذا النداء الخالد الذي حرم منه بعض المتكاسلين، قال ﷺ كما في صحيح

الجامع: «ما من مسلم يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر...».

يا أخي، ما زال في الوقت مهلة، هيء أمورك، وقرر قرارك، ولا تتعذر بكثرة المشاغل، ولا بحاجات النفس والأهل، فإن من فاته هذا الفضل فهو محروم، كما قال ﷺ في السلسلة الصحيحة (١٦٦٢): «**إن عبداً أصححت له جسمه، ووسعت عليه في المعيشة، تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد علي لمحروم**».

فاتق الله **أيها الفاضل**، خصوصاً إذا كنت من أهل القدرة والسعة، ولم يسبق لك الحج، اتق الله فأنت تقطع الفيافي والقفار للسياحة والنزهة، أو لطلب المال والفسحة، وإذا جاء الخير، وهبت نسائم الجنة تباطأت وتراجعت، لا، هذا لا يليق بمثلك، يا هذا، تأمل في أحوال أولئك الذين يقطعون المسافات الطويلة، ويجمعون الأموال سنوات عديدة، ليحجوا إلى بيت الله الحرام، وأنت هنا مسهل شأنك لا يكلفك الأمر شيئاً، تأمل إلى أولئك الذين أمضوا أعمارهم وأفنوا شبابهم في شوق إلى مكة، بعضهم بلغها، وبعضهم مات دونها، تأمل إلى أولئك الذين حجوا على أقدامهم مرات عديدة، مستشعرين الأجر والثواب، ومتناسين الأخطار والتعب والنصب، هذا الحسن بن علي رضي الله عنه يحج خمساً وعشرين حجة ماشياً والنجائب تقاد معه، وذلك سعيد بن المسيب يحج أربعين حجة، وقال مكي بن إبراهيم: «قطعت البادية من بلخ خمسين مرة حاجاً»، وأما عطاء بن أبي رباح فقد ذكر عنه في السير (٥/ ٨٢) أنه حج أكثر من سبعين حجة، وكان الأسود بن يزيد يصوم حتى يخضر جسده، ولقد حج ثمانين بين حجة وعمرة،

ويقول سفيان بن عيينة: «شهدت ثمانين موقفاً»، وتأمل إلى هذا العلم، ابن وهب الذي قسم دهره أثلاثاً ، ثلثاً في الرباط، وثلثاً يعلم الناس بمصر ، وثلثاً في الحج .

هكذا تكون الهمم، وهكذا يكون الصبر والعزم، فهيا شمر عن ساعد الجد، وفكر في الأمر بجد، هيا إلى المكرمات والصالحات قبل نزول الموت، وحصول الفوت، عجباً لرجال شابت شعورهم، وهرمت أجسادهم، وما زالوا يماطلون، إلى متى يتساهلون، وعلى ماذا يراهنون، وعلى أي شيء يعتمدون ؟ .

نسأل الله أن يوفقنا لفعل الخيرات، وأن يعصمنا من الموبقات .

عباد الله أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فيقول الله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧] ، حج بيت الله أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، وهو واجب على الفور لمن اجتمعت فيه الاستطاعة البدنية والمالية، بعد الإسلام والعقل والبلوغ والحرية .

يا مؤمن، إن كنت معافى في بدنك، لديك مال تحج منه ذهاباً وإيابا، فاضل عن قضاء ديونك الحالة عليك، وحوائجك الضرورية فبادر، ولا تتعلل بالديون المقسطة إما من البنك وإما من قيم السيارات أو العقارات، لأنها ليست مطلوبة منك وقت الحج، بل المطلوب منها قسط واحد، فإن كان لديك ما يكفي لتسديد القسط الحالي ويبقى ما يكفي للحج فبادر بالحج، ولا تتأخر، ولو فرض أن إنساناً استدان للحج، لا يقال إن حجه باطل، بل هو صحيح لكن الأولى أن يسدد دينه الحال، وعلى هذا فبادروا يا عباد الله قبل أن ينقضي العمر، ويخسر الإنسان الأجر، فقد جاء عن النبي ﷺ كما في صحيح الجامع: « **تعجلوا بالحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له**»، ولقد شدد بعض الخلفاء الراشدين في شأن الذين يتساهلون في الحج، حتى قال عمر رضي الله عنه: « لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فينظروا كل من كان له جدة (أي غنى) ولم يحج ، ليضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين» ، وقال علي رضي الله عنه: « من قدر على الحج وتركه فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانيا »، فما هي حجة بعض الشباب الذين يملكون المال، وليس لديهم ما ينفقونه فيه إلا متع النفس الفانية، ما حجتهم أمام ربهم يوم القيامة، أم

ماذا يقول أولئك الذين تقدم بهم الزمن، وما زالوا يتراجعون ويتعللون، ماذا ينتظرون، استمع **أيها المؤمن** إلى قول نبيك ﷺ كما في صحيح الجامع: «**استمتعوا** (أي بالحج والاعتمار) **من هذا البيت، فإنه قد هدم مرتين وسيرفع في الثالثة** »، وقال ﷺ كما في السلسلة الصحيحة « **لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت** ».

يا عبد الله فكر في الأمر ملياً ، وتذكر أن الموت لا يمهل أحداً.

لا تأمن الموت في طـرف ولا نفـس ... ولو تمنعت بالحجـاب والحـرس

واعلم بأن سهام المـوت نـافـذة ... في كـل مـدرع منـها ومتـرس

ما بـال دينك تـرضى أن تـدنسـه ... وثوبك الدهر مغسـول من الـدنس

ترجو النجاة ولـم تسلك مسالكـها ... إن السفينة لا تجـري علـى اليبـس

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

رحلة الهجرة وتغير التاريخ[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فإن المقلب لصفحات التاريخ عبر الأزمان المتطاولة، يوقفه حدث عظيم لا يستطيع تجاوزه ، ويدهشه عمل جليل يدعوه لتأمله ، فما ذاك العمل؟ وما ذاك الحدث؟ إنه حدث الهجرة، ذلك الحدث الذي تغيرت معه المعالم، وضبط به الزمن .

عباد الله، إن لهذه الذكرى في نفوسنا نحن المسلمين شأناً لا يستهان به، ولها في تاريخنا منزلة لا يمكن تجاوزها، إنها نقطة التحول الكبرى في تاريخ هذه الأمة، تحول من الشرك إلى الإسلام، من الشر إلى الخير، من الضيق إلى السعة، من الباطل إلى الحق ، من الظلام إلى النور .

إن لذكرى الهجرة في النفوس المؤمنة أشجاناً تذرف منها الدموع، وترجف منها الضلوع ، إنها ذكرى عزة الإسلام ومنعته، فمن تلك الساعة والأمة تصعد إلى قمة المجد ، ترفض الدون ، وتحارب الكسل ، فما مات قائد هذه الأمة وهاديها إلى الخير، النبي المجتبى محمد ﷺ إلا وأمته تمتلك زمام الأمور ، وتستعد لقيادة الأمم وسيادة العالم، وكان لها ذلك، إذ تربعت على القمة، ونشرت النور في أرجاء المعمورة .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٣/ ١/ ١٤١٨هـ).

أليست هذه ذكرى عظيمة، أليس هذا حدثاً ضخماً؟ ألا يستحق منا نحن أتباع محمد ﷺ وقفة تأمل، واستحضاراً للماضي العريق! لا لنتباكى عليه ولا نحتفل به، ولكن لنحاول إعادته في صورة سلوك وخلق ، وتضحيته وفداء .

إن المسلمين لم يختاروا ميلاد محمد ﷺ، أو وفاته حدثاً يؤرخون به، بل اختاروا يوم الهجرة، لأنه ليس يوماً لشخص، بل هو يوم الأمة، فيا أبناء الإسلام، أيليق بكم بعد هذا أن يعمد بعضكم إلى تجاهل التاريخ الهجري المرتبط بماض الأمة ومجدها، ويأخذ بالتاريخ الميلادي المعتمد عند النصارى ، زاعماً في ذلك أنه دخل الحضارة من أوسع أبوابها، ظانا أن من ضروريات التمدن أن يتنكر لتاريخ أمته ، عجباً لنا أين تميزنا ، أين استقلالنا، أين شخصيتنا ؟ إن هذا درس عظيم من دروس الهجرة، درس في الاعتزاز بالمبادئ، حتى يعلم كل مسلم أن التابع محتقر دائماً ، معدود في ذيل القائمة ، وأن المعتز بمبدئه الذي لا يقبل فيه مساومة محترم حتى من الأعداء .

فيا **أيها المسلمون** اعتزوا بتاريخكم، وأظهروا تميزكم، وارفعوا هاماتكم، وأصواتكم، واصعدوا سلالم المجد، وابنوا الصرح كما بناه الأوائل، ولن يكون ذلك إلا بعزة الإيمان، وسمو الطاعة .

وممـــا زادنـــي شـــرفاً وتـيـهـاً ... وكدت بأخمصـــي أطـــأ الثريـــا

دخولي تحت قولـك: (يا عبـادي) ... وأن صيَّـــرت أحمـد لـي نبيـــا

هذا درس من الدروس، وأما الصبر والتحمل فإن الهجرة تذكّر به وتدعو إليه، إن التاريخ لا ينسى تلك السنوات التي قضاها الرسول ﷺ في مكة داعياً إلى التوحيد، صابراً على المحن والشدائد، لبث ﷺ ثلاثة عشر عاماً لا يبغيه قومه إلا

شراً، وهو مع ذلك دائب يطلب ثم لا يجد، ويعرض ثم لا يقبل منه، ويجهد ثم لا يتخوله الملل، ويمضي ثم لا يعتريه اليأس، كان يعرض دعوته والنور الذي معه على قوم يعيشون في الظلام، ومع هذا رفضوا النور، وسبوا سيد البشر وشتموه، وسخروا منه وآذوه، وصفوه بالسحر والجنون والكهانة، وضعوا عليه سلا الجزور وهو ساجد، كان إذا تلا القرآن قاموا حوله يسخرون ويتضاحكون ويقهقهون، لكن ذلك كله لم يثن عزيمته، ولم يوقف دعوته، كان يحب منهم أن يجيبوه إلى هذا الدين العظيم، ومع هذا تألبوا عليه وأنصفقوا عنه وتركوه، فأصيب كبيراً باليتم من قومه، كما أصيب به صغيراً من أبويه :

نعم اليتيم بدت مخايل فضله ... واليتم رزق بعضه وذكاء

بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم ... يعرفه أهل الصدق والأمناء

زانتك في الخلق الكريم شمائل ... يُغْرَى بهن ويُولَع الكرماء

يا أيها الأمي حسبك رتبة ... في العلم أن دانت بك العلماء

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة ... بالحق من ملل الهدى غراء

أما الموقف الثالث الذي نتذكره بالتاريخ الهجري، فهو بداية هذا المد الإسلامي الضخم، إن المسلمين اليوم يشكلون ربع سكان العالم، إنهم يزيدون على ألف مليون، فما أصل هذا العدد الضخم ، إنه واحد هو رسول الله ﷺ ، ثم نما العدد إلى ثلاثة رجل وامرأة وغلام، فالرجل هو محمد ﷺ، والمرأة هي خديجة رضي الله عنها، والغلام هو علي رضي الله عنه، ثم زاد حراً وعبداً ، أما الحر فهو أبو بكر وأما العبد فهو بلال رضي الله عنهم أجمعين، ثم اتسق هذا النمو قليلاً قليلاً ببط الهموم في

سيرها، وصبر الحر وتجلده، وكأن التاريخ واقف لا يتزحزح، ضيق لا يتسع، جامد لا ينمو، وكأنه ﷺ أخو الشمس يطلع كل يوم وحده، وينزل عليه جبريل وهو منفرد في جبل قفر منعزل، في قرية صغيرة متوارية وراء الرمال المحرقة، والصحراء المهلكة اسمها مكة قرية لم تسمع بها (روما)، ولم تحس بها القسطنطينية، ولم تباها مدائن كسرى، فأمر ﷺ من تلك اللحظة بالتبليغ والدعوة، ولسان الحال والمقال يقول له: انهض يا محمد وحدك ليس معك إلا تأييد ربك وكفى به نصيراً، قف وحدك في وجه قريش فاكسر أصنامها، وحطم آلهتها، ثم أبدل العرب بانقسامهم وحده، وجهلهم علماً، واجعلهم أساتذة العالم وصناع التاريخ مؤيداً بنصر ربك، وعون خالقك، وفعلاً فعلت تلك الدعوة فعلها وأحدثت أكبر انقلاب شهده التاريخ في زمن وجيز، إنها لم تكن ثورة سريعة ما تلبث أن تخمد، ولا كانت وثبة كنار القش تشب في لحظة وتنطفئ في لحظة، بل كانت بامتداد الزمن، وصمدت قرناً بعد قرن، ورغم مرور مئات السنين إلا أن أتباع تلك الدعوة ما زالوا يقولون بقول أسلافهم ويقتفون آثارهم، رغم كثرة ما يتنازعهم ويشوش عليهم، وفي هذا تكمن عظمة هذا الدين، حتى شهد بذلك أعداؤه ! يقول كوستاف لوبون: « تأثير دين محمد ﷺ في النفوس أعظم من تأثير أي دين آخر، ولا تزال العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشداً لها، تعمل بأحكامه كما كانت تفعل منذ ثلاثة عشر قرناً »، وبعد الصراع المرير الذي لا بد منه في مكة لصقل النفوس، وتهذيبها حانت ساعة الهجرة، التي تجلت فيها ألوان من التضحية، وهذا هو الموقف الرابع، ألوان من الفداء، فهاهو ذا علي ﷺ ينام في فراش رسول الله ﷺ لغرضين: لإيهام المشركين وفدائه ﷺ، ولإعادة الودائع والأمانات التي كانت للمشركين عند رسول الله ﷺ، وهنا وقفة، هل مر من قبل

أن يودع الأعداء عند عدوهم أموالهم ووثائقهم، إن ذلك لم يكن إلا عند الأمين محمد ﷺ صاحب الخلق المعروف، إنه من طراز فريد، إنه أمة وحده عليه الصلاة والسلام .

وهاجر المصطفى ﷺ مختفياً ومعه صاحبه الوفي أبو بكر ﷺ، الذي نصره من قبل وآزره، خرج معه في طريق الهجرة وكان يخاف على المصطفى ﷺ أكثر من خوفه على نفسه، فمرة يمشي خلفه ومره أمامه، ومرة عن يمينه ، ومره عن شماله ، فيسأله رسول الله ﷺ عن ذلك فيقول: «يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك »، ثم إنه وضع ماله كله بين يدي رسول الله وجعله تحت تصرفه، تلك بعض نماذج الفداء والتضحية، التي سطرها الصحابة ﷺ.

اللهم اجعلنا على طريقهم سائرين ، وعلى منهجهم ماضين .

عباد الله أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فقد مضى الركب الميمون، هما اثنان لكن سيكون عليهما من الأعباء مالا تحتمله الجبال، ومع كل خطوة يخطوها ﷺ يقدم الفجر نحو الدنيا، ليضيء دياجير الظلم، وبدت الدنيا تتقلقل كأنما مر برجله على مركزها فحركها ، كانت أقدامه ﷺ تخط على الأرض، ومعانيها تخط في التاريخ، كانت المسافة بين مكة والمدينة تمثل المسافة بين المشرق والمغرب، وكان زمن الرحلة يمثل زمن انتشار الدعوة .

ومشى الموكب إلى الدنيا الواسعة، موكب صغير، لكنه أجمل من أعظم موكب أحست بوطئة هذه الأرض، لم تعرف موكباً أنبل منه مقصداً، ولا أبعد غاية، ولا أخلص نية، ولا أعمق أثراً، موكب صغير يمشي في الصحراء الساكنة لا رايات ولا أعلام لا أبواق ولا طبول، لا تقوم له الجند على الصفين، ولا تصفق له الناس من النوافذ، ولكن تصفق له الرمال فرحاً بمشيه عليها، لأنها شاركت في حمله لتبليغ دعوته، وتزدهي الجبال طرباً بالذي سيقيم علها أعلام النصر والعز، وتبرز على مر الزمن جحافل القادة والعلماء والأدباء الذين أنبتتهم مسيرة محمد ﷺ في الصحاري، حتى أشرق على المدينة، وأقبلت إليه الجموع تماماً كالجموع التي خلفها في مكة، لكن تلك كانت للشر وهذه للخير، وتلك تنادي بموت محمد ﷺ وهذه تنادي بفدائه، وقدم الركب الميمون ودخل مشارف المدينة، فخرجت المدينة مستقبلة محيية، يا له من مشهد يهول العقول أعداد متكاثرة من الناس، رجال ونساء وصبيان، في شوق إلى الهادي البشير، والسراج المنير، نبي الرحمة وهادي الأمة، جموع غفيرة لا يعرف بعضهم شخصيته، لكنهم يعرفون

فكره ودعوته، يسأل بعضهم أيهم هو؟ أيهم محمد؟ لا يعرفونه لأنه لم يكن ملكاً ولا يلبس الحرير، ولا تلوح عليه شارات الملك، ولا يتألق على جبينه التاج ، بل كان عبداً متواضعاً يلبس ما يلبس الناس، ويأكل ما يأكلون، يجوع إن جاعوا، ويشبع إن شبعوا، رغم هذا التواضع الجم إلا أنه كان الداعية العظيم ، والقائد البارع ، والمربي المصلح، الذي أرسله ربه بالهدى ودين الحق، فتغيرت بدعوته معالم الأرض، وفي فترة وجيزة لا تتجاوز خمسة وعشرين عاماً، دانت له جزيرة العرب، ولم يتم لدعوته قرن من الزمان حتى دانت لها نصف المعمورة، فأي ديانة هذه وأي عظمة هذه ؟، إنها صناعة التاريخ الحقيقية ، صناعة سجلت بالأحداث والوقائع، صناعة بهرت الأعداء، حتى أقروا بها رغم كرههم لها، لكنه ضوء الشمس لا يمكن حجبه، كأن التاريخ توقف عند محمد ﷺ، ليأخذ بعداً جديداً وصفة جديدة ، لقد كان التاريخ قبل دعوته ﷺ شيئاً، وأصبح بعده شيئاً آخر، فأين أنتم يا أتباع محمد من دين محمد ﷺ.

وتوقف التاريـخ عنـدك مصغيـاً   تملـي عليـه وصحبـك الأقـلام

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

نحن أحق بموسى منهم [1]

« عاشوراء »

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فقد أمرنا أن نصوم في هذه الأيام يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، فما الحكمة من ذلك، وما فضل ذلك اليوم، وما قصته ؟

الجواب عن ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم النبي ﷺ، واليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: **ما هذا اليومُ الذي تصومونه**، فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون، قال النبي ﷺ لأصحابه: **أنتم أحق بموسى منهم فصوموا** » .

فيستحب صيامه شكراً لله، فقد صامه كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام شكراً لله، وصامه نبينا ﷺ، وأمر بصيامه وأعلم بفضله وعظيم أجره فقال: «**أحتسب على الله أن يكفر سنة ماضية** » .

عباد الله، إن في قول النبي الكريم ﷺ: «**أنتم أحق بموسى منهم** » دلالة على أن صلة الأمم بأنبيائها ليست صلة نسب، ولا عرق ولا لغة، إنما هي صلة مبدأ، ورابطة عقيدة، فإذا كان اليهود قد حرفوا دين موسى عليه الصلاة والسلام، فنحن المسلمين أحق به منهم، فلا مجال للادعاءات التي لا يساندها عمل، ولا يقام عليها برهان.

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بمناسبة يوم عاشوراء عام (١٤١٩هـ).

والدعـاوى إذا لم يقيمـوا عليهـا   بينـات أصـحـابهـا أدعيـاء

ولأجل التميز عن اليهود في عملهم، أمرنا بمخالفتهم في صيام يوم قبله أو يوم بعده .

أما قصة هذا اليوم، فتعود إلى موسى عليه الصلاة والسلام في مواجهته مع أكثر ملوك الأرض طغيانا، «فرعون» الذي ملأ الأرض قتلاً وسفكاً للدماء : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ ﴾ [القصص : ٤]، ادعى لنفسه الألوهية فقال : ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ ﴾ [النازعات: ٢٤]، علم من بعض مساعديه ومعاونيه ما هو مشهور، من أنه سيخرج من نسل إبراهيم من بني إسرائيل غلامٌ يكون هلاك فرعون على يديه، فجن جنونه، وأمر بقتل كل أبناء بني إسرائيل، وفي التعبير بقوله تعالى :﴿ يُذَبِّحُ ﴾ بالتشديد ما يدل على إسرافه في القتل، حتى كاد أن يفنيهم، فلما قيل له في ذلك، أمر بالقتل سنة والعفو أخرى، فولد هارون عليه الصلاة والسلام أخو موسى في سنة العفو، وولد موسى عليه الصلاة والسلام في سنة القتل.

كان يظن فرعون أنه بهذه الهمجية المفرطة يرد قضاء الله، وأنه يستطيع إخراس صوت الحق ولكن هيهات، لقد أسال كل هذه الدماء من أجل غلام واحد، أليس هذا هو غاية الطغيان، شعب يباد من أجل واحد، أمة تسحق لأجل توقعات بزوال عرش ذلك الطاغية، وهو مع كل تبريراته هذه وجبروته وسطوته ينسى أنه ضعيف ، وأن قدر الله ماض، يا أيها المغرور بكثرة جنوده وسلطانه قد حكم العظيم الذي لا يُغالب، والقدير الذي لا يمانع، والجبار الذي لا يخالف،

لقد حكم وقضى أن المولود الذي تحذره، وعلى يديه تقويض عرشك، وقتلت بسببه كل هذه النفوس لن يكون مرباه إلا في بيتك، ولن ينام إلا على فراشك، ولن يتغذى إلا من طعامك وشرابك، وأنت الذي تحرسه، ثم يكون هلاكك على يديه لمخالفتك أمره، لتعلم أنت وسائر الخلق أن الله هو الفعال لما يريد، ولن يكون إلا ما حكم وقضى، لأنه صاحب العظمة والملكوت والقوة والجبروت، والمشيئة التي لا مرد لها .

حفظ الله موسى صغيراً عند أمه، ثم ألقته في اليم، فاتجه التابوت إلى بيت فرعون لتكتمل حلقات الملحمة، ولتظهر علامات القدرة الإلهية، وليعلم الذين يعلقون آمالهم بغير الجبار سبحانه أنهم خاسرون، ورفع الرضيع إلى زوجة فرعون، ففرحت به وقالت: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ [القصص : ٩]، فقال: أما لك فنعم، وأما لي فلا، والبلاء موكل بالمنطق فقد هداها الله به، وأسكنها جنته، وأما هو فقد خذله الله، ومات غريقاً ذليلاً، وأما في الآخرة فمثواه النار: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر : ٤٦] .

ومن عظيم تدبير الله لنبيه وحفظه له، أن رفض المراضع كلها، حتى عرض على أمه وهم لا يعرفونها فالتقم ثديها، فعاد إليها وعادت إليه، والتأم شمل الأم الرؤوم مع ولدها الرضيع موسى عليه الصلاة والسلام، فانظروا عباد إلى عظيم إنعام الله على أوليائه، وحفظه لهم، وتربى هذا الرضيع في كنف أمه تحيطه عناية الله: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه : ٣٩]، حتى بلغ أشده واستوى، واكتمل خَلقه وخُلقه، وذلك في سن الأربعين، وهي السن التي يبعث الله فيها الأنبياء، وينبئون، قال تعالى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ﴾

[طه :٤١]، ليس لك في نفسك شيء، وما لأهلك منك شيء، إنما أنت لربك ولدينه ولدعوته: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[طه : ٤٢-٤٤]، اذهب يا موسى محفوظاً بحفظ ربك، فقد حفظك وأنت في ظهر أبيك، ثم وأنت في رحم أمك، ثم وأنت في المهد، ثم وأنت في التابوت واليم، ثم وأنت في بيت فرعون، أفلا يحفظك الآن : ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[يوسف : ٦٤] .

لكن فرعون لما كان طغيانه مشهوراً، وبغيه كان مشهوداً، وسطوته كانت عظيمة، فداخل الخوفُ الإنساني نفس موسى وهارون : ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ [طه: ٤٥]، إنهما يريدان من الكريم أماناً، ويرجوان من العظيم ضماناً: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه : ٤٦]، ومن كان الجبار معه فمم يخاف وممن يخاف؟ إنه سبحانه يوجد الأكوان والمخلوقات ويفنيها بقول: كن، ولا زيادة، فمن يكون فرعون، و ما يملك فرعون وغيره، وما يصنع جبابرة الدنيا حين يكون الله معك يسمع ويرى ؟ مهما اجتمعت القوى ، ومهما اتحد الطغيان، فإن القوة لله جميعا.

ومضى موسى وأخوه واثقين آمنين بأمان الله، معهما الآيات الباهرة، والحجج الظاهرة، فعرض موسى على فرعون التوحيد، عبادةَ رب الأرض والسماء، رب العالمين فقال منكراً متعجبا لجهله وغروره: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشعراء : ٢٣]، فأجابه موسى ﷺ : ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الشعراء : ٢٤]، فقال ساخراً مستهزئاً بموسى وقوله : ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الشعراء : ٢٥]، فذكَّره موسى بأصله وأصل آبائه وأجداده : ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الشعراء:٢٦]، وحينئذ بهت فرعون،

فادعى دعوة المكابر المغبون فقال : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشعراء : ٢٧]، فطعن في الرسول والمرسِل والرسالة، فرد عليه : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشعراء : ٢٨]، وفي قوله (تعقلون) رد للجنون الذي نسبه إلى موسى فإنه هو أحرى به، فلما عجز المفتون عن الرد لجأ إلى ما يلجأ إليه العاجزون المتكبرون، من البطش والترهيب فقال : ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشعراء : ٢٩]، ولم يقل لأسجننك، بل قال من المسجونين تدليلاً على كثرة الذين سجنوا، وموسى يكون واحداً منهم، وداخلاً فيهم إمعاناً في التهديد والإرهاب.

وما زال موسى يأتي بالحجج الباهرة، والآيات الظاهرة، وفرعون يحاول ردها وطمسها حتى قال لقومه : ﴿ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف : ٥١ - ٥٦]، ثم حصل التحدي مع فرعون وسحرته، فنصر الله نبيه، وأعلى شأنه فآمن السحرة، فجن جنون فرعون، حيث خسر في كل هذه الجولات وهو الذي معه القوة والسلطان، لكنه نسي أن موسى معه الله، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً.

ولما تمادى أنباط مصر في كفرهم وعتوهم ومتابعتهم لملكهم الضال، بعد إقامة الحجج العظيمة عليهم، ورؤيتهم من الخوارق ما يثير العقول ويحير الألباب ولم يؤمن منهم إلا القليل، وهم السحرة، وثلاثة: امرأة فرعون، والرجل الناصح الذي جاء يسعى، ومؤمن آل فرعون الذي وعظهم في قتل موسى ﷺ ، فأمر الله

نبيه ومن آمن معه أن يتجهوا إلى البحر: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾ [طه: ٧٧-٧٩]، لما وصل موسى إلى البحر ضربه بعصاه بأمر الله فانفلق اثني عشر طريقاً، وصار الماء السيال بين هذه الطرق كأطواد الجبال الشامخة، الله أكبر ما أعظمه من مشهد، إن أحدنا إذا رأى المياه الكثيرة الجارية، والأمواج العاتية المتلاطمة تبلغ منه الروح الحلقوم، فكيف بالبحر كله من سطحه إلى قاعه يكون كالجبل متماسكاً لا يسيل، إنها ليست نظرياتٍ علمية، ولا تدبيرات أرضية، لكنها أوامر علوية تقول للشيء كن فيكون، ثم تأمل قوله تعالى : ﴿ يَبَسًا ﴾ ، في لحظة واحدة يرتفع الماء ثم تُرسل الريح فيُجفف المكان، حتى لا يعلق شيء بالأقدام وسنابك الخيل والدواب.

إنها آية شهدها بنو إسرائيل فهل شكروا ربهم واقتفوا أثر نبيه، ورأوا نعمة أخرى في إغراق عدوهم ، الذي لما عاين الموت وأشرف على الهلاك قال: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [يونس : ٩٠]، وقد أورد ابن كثير بعض الآثار، تذكر أن جبريل ، كان يأخذ الطين والماء ويضعه في فم فرعون حتى لا تسبق رحمةُ الله غضبَه فيرحمه، فنجا بنو إسرائيل بفضل الله ورحمته، وهلك فرعون وجنوده بقدرة الله وحكمته، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

اللهم احفظنا بحظك، واكلأنا برعايتك، يا أرحم الراحمين.

عباد الله، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فرغم هذه الآيات وكل هذه النعم إلا أن بني إسرائيل بمجرد ما جاوزوا البحر، عادوا إلى جهلهم وأرادوا أن يجعلوا لله الذي أنجاهم شريكاً، كما قال سبحانه في وصفهم: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، أفلسنا بعد هذا أحق بموسى عليه الصلاة والسلام منهم، إنهم يصومون شكراً لله على إنجائه موسى من فرعون، لكنهم يعارضون ذلك بالإشراك بالله، ونحن نلتقي مع موسى في العقيدة وهي توحيد الرب جل جلاله، ثم إنه لما أمرهم الله بدخول بيت المقدس والجهاد في سبيل الله قالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢]، ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٣]، فحرمها الله عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض.

ثم إنهم بعد هذا اتخذوا العجل وعبدوه من دون الله، ثم إن الله جعل لهم من النعم العظيمة ما لا يحده حصر، فقد يسر لهم المن والسلوى، طعامين شهيين من غير كلفة، وفي الصيف يظلهم السحاب، والماء يتفجر من الصخور، لكل أناس مورد خاص ومع هذا ضجروا، وأرادوا غير هذا النعيم فقال لهم موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، وقد جاء في الصحيح: «أنهم آذوا نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام، فقد رموه بالعيب في جسده، فقالوا به برص أو آفة، فبرأه الله من ذلك، عندما ذهب الحجر بثوبه وهو

يغتسل، فذهب في طلبه حتى انتهى إلى رجل من بني إسرائيل، فرآه عرياناً أحسن ما خلق الله»[رواه البخاري]، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب : ٦٩]، وقال ﷺ لما قسم ذات يوم قَسْماً : فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، قال ﷺ: « **رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر** » [رواه البخاري ومسلم].

أفلسنا بعد هذا أحق بموسى منهم،، ولقد نسبوا إلى نبي الله موسى ﷺ من الافتراء في كتبهم ما هو أشد من ذلك، ثم إنهم حرفوا دينه وكذبوا عليه، لذا كنا نحن المسلمين أولى به من اليهود، وقد جاء في الصحيحين عن رسولنا ﷺ أنه قال: «**لا تفضلوني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أولَ من يفيق، فأجد موسى ماسكاً بقائمة العرش، فلا أدري أصعق فأفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور** ».

فهذه هي منـزلة موسى عليه الصلاة والسلام في ديننا نبي مكرم، وأحد أولي العزم من الرسل، أدى الأمانة وبلغ الرسالة، فصلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين .

فيا أصحاب محمد ويا أتباع ملته، أين الاتباع لسنة نبيكم، والسير على محجته، أفنريد أن نشابه اليهود في ترك اتباع الأنبياء، والانسياق وراء الشهوات، أم نريد أن نشابههم في الالتجاء إلى غير الله من المخلوقين في دفع الضر أو جلب نفع، أم نريد أن نشاركهم في الاستخفاف بأنبيائهم، إن بعضنا اليوم إذا قيل له قال رسول الله ﷺ، لوى رأسه وربما هزأ بكل ما يسمع، وهذا أمر خطير وجرم كبير، فالمرجو منك **أيها المؤمن** أن تقول بدل ذلك: سمعنا وأطعنا.

إننا **معاشر الأخوة الكرام** ما كنا أولى منهم بموسى إلا لأننا على المحجة، وعلى ذات المعتقد، ولو خالفنا فلن ينفعنا نسب ولا مال، فأروا الله من أنفسكم خيراً وأنتم على أبواب هذا العام الجديد، وخالفوا اليهود في تنكرهم لأنبيائهم، واستجيبوا لأمر نبيكم محمد ﷺ في صيام يوم عاشوراء فهو على الأبواب، فضله عظيم يكفر سنة ماضية، وقبله يوم عرفه يكفر سنتين، تأملوا **يا عباد الله**، يومٌ في نهاية العام ويومٌ في أوله كلاهما لتكفير الذنوب، فالحمد لله على مننه العظيمة، وآلائه الجسيمة.

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

خطورة العنوسة[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فلقد شرع الله الزواج وجعله من سننه وآياته ونعمه، قال تعالى عن كونه من سننه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٤] ، وقال سبحانه عن كونه من آياته: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم:٢١] ، وقال تعالى عن كونه من نعمه: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل:٧٢] والآية تحتاج إلى تفكر وعناية ، والنعمة تحتاج إلى شكر ورعاية .

عباد الله إن الزواج ليس تكاليف لا تطاق، ولا هو عادات موروثة، أو أخلاق مستوردة، إنما هو اتصال بين رجل وامرأة، في أطهر صورة، وأنقى علاقة، الزواج ليس بيعاً وشراء، بل هو تآلف وارتباط، لذا حث عليه الإسلام ورغّب فيه، قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ ﴾ [النور:٣٢] ، لكن المتأمل لحال الناس اليوم يجدهم يرددون المبادئ في المجالس، ويعقدون الاتفاقيات في القبائل، فإذا جاء

---

(١) ألقيت هذه الخطبة عام (١٤٢٣هـ).

التنفيذ تغير كل شيء، وتسلطت العادة، وبرزت العصبية، وأطلت المظاهر، وظهرت سطوة النساء ، حتى ينقلب الزواج إلى جحيم لا يطاق ، وقد أدى هذا إلى أمرٍ خطير في المجتمع، ألا وهو انصراف الشباب والشابات عن الزواج ، حتى أصبح ذلك واقعاً لا يمكن إنكاره، دراسات وإحصاءات تنذر بخطرٍ كبير ، وتحولٍ خطير عن سلوك الفطرة ، في مصر مثلاً يزيد عدد الشابات والشباب الذين في سن الزواج على اثني عشر مليوناً، ويزيد عدد اللائي دخلن في سن العنوسة على أربعة ملايين فتاة ، وفي الكويت بلغ عدد العوانس أكثر من أربعين ألف امرأة ، وفي بلادنا التي تعد الأولى في العالم من حيث نسبة الزيادة السكانية ، زاد فيها عدد العوانس على المليون والنصف، كان نصيب منطقة تبوك منها أكثر من ثلاثين ألف امرأة، وهذا بلا شك خطرٌ كبير إن صح التقدير من الجريدة الناقلة للخبر.

والمؤشرات العامة تشير إلى عزوفٍ ظاهرٍ من الشباب والشابات عن الزواج، والحق أنها مشكلةٌ أبعادها كثيرة، و نتائجها خطيرة، صنعناها بأيدينا ، ودعونا إليها أحياناً بأفكارنا ، وحملتنا عليها ضغوط اجتماعية، وزينتها أفكار مستوردة، ولعل أهم تلك الأسباب التي هي من صنعنا :

إكمال الدراسة: فقد أصبحت عذراً مقبولاً في المجتمع ، فالفتاة لا تتزوج إلا بعد التخرج ، ولن يتم ذلك لها ـ كما هو معلوم ـ إلا بعد الثانية والعشرين من عمرها، وبعد الدراسة لابد من العمل فليس من المعقول ـ كما يتردد في الأوساط ـ أن تعلق الشهادة على جدران المطبخ، وما هي إلا لمحة حتى تتجاوز الثلاثين ، عند ذلك يفوت القطار ، ويخبو الأمل، وتجتمع الهموم ، وتقتل الأحلام ، والسبب في

بعض ذلك الوالدان ، فهما يشجعان ويؤيدان ، إما مجاراة للمجتمع ، وإما حرصاً على المال من وراء تلك المسكينة، هذه فتاة تعلمت ودرست وطُلبت للزواج وعمرها خمسة عشر عاماً، لكنها رفضت حتى تخرجت، وأصبحت طبيبة، ولم تفق إلا وهي على أبواب العنوسة ، فلا زوج ولا أنيس، حياة رتيبة ملؤها البؤس، والحرمان من حياة الأمومة والزوجية، كانت تقول في حسرة وندم «خذوا شهاداتي ومعاطفي، وكل مراجعي وجالب السعادة الزائفة (المال) وأسمعوني كلمة (ماما)».

لقد كنت أرجو أن يقال طبيبة ... فقد قيل فما نالني من مقالها

فقل للتي كانت ترى فيّ قدوةً ... هي اليوم بين الناس يرثى لحالها

وكل مناها بعض طفل تضمه ... فهل ممكن أن تشتريه بمالها

وما زالت هذه المشكلة في تنامٍ مستمر، حتى أعلنت إحدى الجرائد أن عدد المعلمات اللاتي ينتظرن قطار الزواج في بلادنا يزدن على عشرين ألف معلمة ، عدد كبير، وقد يكون المستور أعظم وأكثر، فلم نجعل التعليم عائقاً عن الزواج والارتباط العفيف ؟.

يا أيها الآباء، إن المغريات كثيرة للشباب والشابات، وليس يعقل أن نغفل عنهم ، ونتذرع بالدراسة والتعليم ، وكثرة التكاليف ، وأن الزواج قد يؤخر عن الدراسة، انظروا في أحوال الشباب والشابات، تأملوا في أوضاعهم، إنهم يشتكون ويصرخون .

يقول أحد الشباب: أنتم لا تعلمون عنّا شيئاً، والكل يقف ضدنا، فالطالب

لا يصلح أن يتزوج لأنه ليس لديه دخل ، إننا في وسط هذه الفتن والمغريات لا نرى بين سطور الكتب إلا صور الفتيات، وإغراء الشيطان ، عقولنا مشغولة وغرائزنا ملتهبة ، وأوضاعنا تنذر بخطر .

يا ايها الأب زوّج ابنتك إذا تقدم لها كفء ودعها تكمل دراستها وهي في حراسة الفضيلة، وكذلك ابنك إن كنت مستطيعاً فلا تتردد حتى تحصنه بإذن الله من زلة قد تودي بشرفه وعفته، وسمعته ومكانته.

أما **تكاليف الزواج** فهي عقبة كؤود صنعتها أعراف وآراء، لا يهمها إلا المظهر والمنظر، والشباب عندما ينظرون في حجم تلك التكاليف تتلاشى من خيالهم صورة الزواج الجميلة، وتتقرر عندهم قناعة أنه أصبح من الأمور الصعبة، وربما المستحيلة، مسكن مريح ومهر، وحفل زفاف وقصر، وأحوال قبل الزواج وبعده جعلت الزواج جحيماً لا يطاق ، ومطلباً عسيراً لا ينال .

معاشر الأولياء ، لِمَ المغالاة في المهور؟ إنه ليس كرامةً ولا فضلاً وإلا سُبقنا إليه، بل إن أهل المروءات وأصحاب الفضائل والمكانة ، لا نجد عندهم شيئاً من ذلك، هذا رسول الهدى ﷺ يقول مرشداً أمته: «**أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا**» [رواه الإمام أحمد والبيهقي].

معاشر الآباء ، اتقوا الله فيمن تحت أيديكم لا تجعلوا الفتيات سلعاً تعرض، ثم تعطى للأعلى دفعاً، إنه ظلم كبير أن تحرم الفتاة من حقها في إحصان فرجها، وبناء مستقبلها وأسرتها، وكم عانت فتاة من جور الولي في عضلها عن النكاح حتى خسرت، أو انحرفت، أو انتحرت، فتاة وقف أبوها لها بالمرصاد يرد الخاطب تلو الخاطب، بحجج وأعذار ضعيفة، حتى مضت السنوات ، وكبرت

البنت، وتعداها القطار، وحضرت الوفاة والدها، وعلم خطأه وطلب منها المسامحة ، فقالت له والله لا أحللك ولا أسامحك، كم سببت لي من حسرة وندامة، لقد حرمتني من حقي في الحياة، ماذا أعمل بشهادات أعلقها على جدران منـزل لا يجري بين حوائطه طفل، إني يا أبتِ لم أرضع طفلاً، ولم أضمه إلى صدري، لم أشكُ همي إلى رجلٍ أشاركه الحياة، اذهب عني واللقاء يوم القيامة بين يدي عدل لا يظلم، لن أترحم عليك ولن أرضى عنك حتى موعد اللقاء، يوم الفصل عند العليم الخبير .

إنها مآسٍ وصور، وأحداث وعبر، تهز المشاعر وتوقظ الوجدان ، وهي من واقع الحال ، وليست من نسج الخيال .

يا أيها الأولياء، الزواج ليس صفقة تجارية، وليس هو مزاداً علنياً، بل الزواج إهداء نفس لنفس لا متاع لشاريه ، الزواج حراسة للفضيلة ، وإحصان للفروج ، وسبيل من سبل الأمن و الاطمئنان ، هكذا يفهمه العقلاء ، وهكذا ينظر إليه النبلاء ، لا تعيقهم في ذلك أعراف قبلية ، ولا مظاهر خادعة ، هذه فاطمة بنت قيس القرشية كان يقول النبي ﷺ لها كما في صحيح مسلم: «انكحي أسامة بن زيد، فكرهته لأنه مولى وهي الحسيبة النسيبة، ولكن هذا ليس هو الميزان ثم عاد ﷺ وقال : انكحي أسامة فنكحته ، فجعل الله فيها خيراً كثيراً، وكان زواجاً مباركاً»، وهذه فاطمة بنت المصطفى ﷺ صاحبة الشرف في الدنيا والآخرة، إحدى سيدات نساء العالمين، كان جهازها: مخدة ورحى وقطيفة وقربة، وهذا سعيد بن المسيب يبحث عن صاحب الدين لابنته على بضعة دراهم، ويرد الأمراء والأموال والمراكز، هذه نماذج رائعة يجب أن تُحتذى، وصور مشرقة لابد أن

يقتدى بها، وأما الإصرار على رد الأزواج ، فهو فتح لباب فتنة كبيرة، قال عنها ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**» [رواه الترمذي] .

فكيف بعد هذا يطلب الأولياء الثمانين والتسعين ألفاً، إن المهور التي تزيد على الثلاثين في زماننا هذا ، مع الدخل المحدود أصبحت باهظة، قد يعجز عنها الشباب، لم لا يزوج الأب ابنته بمبلغ معقول ، ويعين على جهازها، ويحفظ لها عفتها ، رجل عاقل حدثني بأنه يجهز شقة صغيرة أعدها لابنته، حتى يعينها على زواج يسترها ويسعدها، هذا هو المأمول من أمثالكم أيها الكرام.

عباد الله، ألا يمكن أن يتم زواج دون هذه التكاليف الباهظة، وهذه البهارج الخادعة، وليمة متواضعة يدعى إليها الأقربون، تكون في البيت أو مكان عام ، ويعلن النكاح ويتم كل شيء، ويبارك الله فيه، إن هناك من لم تتجاوز تكاليف زواجه الثلاثين ألفاً من ضمنها المهر والصداق، أهذا خير أم من يخرج من الزواج بديون تقض مضجعه، وهموم تؤرقه؟ أي سعادة جلبها له ذلك الزواج، وأي سكن وجده في زواج أزعجته فيه طلبات أصحاب الحقوق، وقهره فيه الرجال ؟.

عباد الله، لنكن على مستوى المسؤولية، ولنتعقل في تصرفاتنا، وما جعل الله القوامة للرجال إلا لما فيهم من التعقل والاتزان، فليقم كلٌ منا بواجبه .

ومن أسباب العزوف عن الزواج **الخوف من المسؤولية**، فبعض الشباب يرى أن الزواج يكبله ويحد من حريته، والفتن من حوله تحيط به، والمغريات تدعوه، فلا بد للشباب من تجاوز هذه الأفكار المستوردة، والقرارات الخاطئة، إن

مسؤولية الزواج خير بلا شك من الضياع والشرود، والانحراف والشذوذ، فليس من العقل أن يفر الشاب من تكاليف الزواج، ومسؤولياته إلى الضياع والانحراف .

والمستجير بعمر عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

معاشر الآباء والأولياء ، لابد من النظر إلى مشكلة العنوسة في النساء، وتأخر الزواج في الشباب، على أنها مشكلة لها مضاعفاتها الخطيرة ونتائجها المدمرة، فالفتاة التي فاتها قطار الزواج تصاب غالباً بعقد نفسية، تكره معها المجتمع وتحقد عليه، وربما تؤذي نفسها أو الآخرين .

وفي غير حادثة حاولت بعض الفتيات الانتحار، تخلصاً من الهموم والأحزان، وغالباً ما يصيبها الوهن ويلحقها السقم من كثرة التفكير، وتأكلها الهموم، وتتسارع إليها الأمراض حتى تسكن جسدها، ثم تأخذ زهرتها في الذبول، حتى تأتي ساعة الفراق، فتاة هذا حالها نقلت إلى المستشفى ما بها علة إلا الحرمان والهم والغم، وزادت عللها حتى شارفت على النهاية، فأتاها والدها الذي حرمها من الزواج حتى بلغت الأربعين، أتاها ليطمئن عليها ويسأل عن حالها، فلما أحسّت بدنو الأجل جمعت قواها وقررت أن تواجه أباها في اللحظة الأخيرة، وأن تستجمع كل ما في قلبها من آهات وهموم، فتقول يا أبتِ اقترب مني فاقترب ، قالت : اقترب فاقترب، قالت: قل: آمين ، قال: آمين ، قالت: قل: آمين ، قال: آمين ، قالت: قل: آمين ، قال: آمين ، قالت: أسأل الله أن يحرمك الجنة كما حرمتني الزواج ثم ماتت. نهايات محزنة، وقصص مؤسفة، لكنها حقائق ووقائع.

عباد الله، ليس المرض هو كل آثار العنوسة وترك الزواج، بل هناك الإقبال البغيض على الفن الهابط، ومحاولة التنفيس بالحرام، والتسلية بما يخدش الحياء، ويزيد البلاء، فالشباب والشابات أمام شاشات الدش، أو صفحات الأنترنت في صور فاضحة، وكلمات خادشة، إثارة للغرائز، وبعث لكوامن الشهوة ،حتى تستعر، فتتحول إلى عزيمة، ثم إلى فعل وفاحشة، فيظهر المجون والسقوط والاعتداء والاغتصاب، والعادة السرية واللواط، وسفور النساء والسحاق، وكم من فتاة أقرّت بالانحراف عن طريق العفة لـمَّا سُدَّتْ أمامها أبواب الزواج .

عباد الله، إن هذا الفن الهابط الذي يعرض على مسامع الشابات والشباب وأبصارهم ، ليلاً ونهاراً لهو من أعظم الفتن، ولهو من أعظم الأسباب لولوج الفاحشة، والوقوع في الخطيئة ، في المجتمعات الغربية التي لا حشمة فيها، تذكر الإحصاءات أنه يحصل كل ثلاث ثوانٍ جريمة أخلاقية، عصمنا الله وإياكم من الزلل وحمى بلادنا من هذا البلاء .

عباد الله، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فإن ما نراه هذه الأيام من كثرة الزواجات لهو أمرٌ يسر النفس ويفرح الخاطر، لكن هذا لا ينفي كثرة القابعات في البيوت، أسيرات الدراسة وغلاء المهور، والعادات الوافدة.

معاشر الآباء، إننا بخطوات يسيرة نكون فيها على قدر كبير من الواقعية والتعقل، نصل إلى حلول كثيرة لهذه المشكلة، فما المانع من تسهيل أمر الزواج وتقليل المهور، وديننا يحثنا وعقولنا ترشدنا إلى كل هذا، لِمَ لا نبدأ بتطبيق الزواج المختصر؟، الذي يكون في البيت، فلا تكاليف ولا قصر، لننحي نظر الناس جانباً، ولنفعل ما هو حق وصحيح، رضي الناس أم غضبوا ، أهناك ما يمنع أن يعرض الرجل ابنته على من يراه كفئاً لها، بطريقة تحفظ لها كرامتها ، إن هذا فعل النبلاء وطريقة العقلاء، شعيب ﷺ يقول لموسى ﷺ : ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ ﴾ [القصص:٢٧] وعمر ابن الخطاب ﷺ يعرض ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان ثم يتزوجها رسول الله ﷺ، فما بارت سوقها كما يقول الناس، ولا زهد فيها الخطاب، بل تزوجها أكرم الخلق ﷺ .

ولابد من تربية البنات تربية صحيحة تقوم على غرس الانصياع لحكم الله وتقديمه، لا على الاعتراض عليه والتسخط منه، فالتعدد مثلاً أمر مشروع ، لكنه اليوم بسبب التربية الإعلامية، والتعبئة الكلامية أمر محرم محذور، يوازي في نظرهم كبائر الذنوب، وأحد أسباب انهيار الأسرة، من الذي أوجد هذه المفاهيم وغرسها في عقول الشباب والشابات، إلا القنوات، والمجلات، والصاحبات،

والأبوان يباركان ذلك أحياناً، كم من فتاة عندما علمت خطأها وزيف ما يقولون وينقلون ندمت ، وقالت بكل قناعة : إنني أرضى ولو بربع رجل .

يا أيها الآباء، اغرسوا في بناتكم حب الدين والانصياع لحكمه، حببوا إليهن الذرية والحياة الزوجية، حتى تحرص الفتاة على بنائها من أول يوم ، عودوهن على ممارسة أعمال البيت حتى يكنّ زوجات صالحات ناجحات، أما أن تبقى بناتنا عارضات أزياء في البيوت والشوارع، لا هَمَّ لهن إلا الغواية والإغراء، واللبس والزينة ، فهذا لا يرضاه عاقل، ولو بحثنا في البيوت لوجدنا أن أكثرها لا يوجد فيها برنامج توجيهي يفيد الشباب والشابات، وهذا خلل وقصور في التربية والمسؤولية.

يا أيها الأب، إن كلماتك الطيبة وتوجيهاتك الحسنة، لها أثرها في نفس ابنتك فقرر مع زوجتك أن تصرف اهتمامك إلى تحصين ابنتك بغرس القيم الفاضلة، والاهتمام بالأمور العالية، اربطها بالله وبكتابه، حببها في سيرة الرسول المصطفى ﷺ والصالحات، ابذل لها مالاً أو هبةً كلما قرأت في السيرة العطرة، والآداب والفضائل، وسترى شيئاً غير الذي تعهده من مثلها، وإليك هذا النموذج الفذ الذي تربى على الإسلام ، وعرف هدفه في الحياة، إنها الرميصاء بنت ملحان ، أم أنس خادم رسول الله ﷺ آمنت برسول الله وشهدت بالحق، وعارضها زوجها مالك، لكنها صبرت وكانت تلقن ولدها أنس شهادة التوحيد، فيقول لها زوجها مالك: لا تفسديه فتقول: إني لا أفسده، ثم قُتل زوجها مالك، فبقيت تربي رضيعها ثم أخدمته رسول الله ﷺ ، فجاءها طلحة وكان كافراً ودفع لها مهراً عالياً فردت عليه: «لا ينبغي أن أتزوج مشركاً، أما تعلم يا طلحة أن آلهتكم ينحتها

فلان ، وأنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت ».

إنها والله عزة الإسلام ، وسمو الإيمان :

إذا عـــدد النـــاس أربـــابهـــم فنحـــن لنـــا ربنـــا الواحـــد

ثم عاد إليها بمهر أكبر ، لكنها أبت واعتصمت ، بل ودعته إلى الإسلام وقالت: « مثلك لا يرد، لكنك رجل كافر وأنا مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذلك مهري ولا أسألك غيره »، فهزت هذه الكلمات أعماقه ، وملأت كيانه ، وأسرجت النور في قلبه، فأجابها أنا على مثل دينك ، أشهد ألّا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، وحصل الزواج وبارك الله فيه ، نماذج حية، ونفوس طاهرة نقية ، لابد أن نجعلها المثل الأعلى لشبابنا وشاباتنا، علنا نزرع في نفوسهم المقاييس الصحيحة والموازين الحقيقية.

اللهم أعنا على أنفسنا، وبصرنا بعيوبنا، ووفقنا إلى الهدى والصلاح .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

وقرن في بيوتكن «١» (١)

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فقد مضت خمسون عاماً على دعاة تحرير المرأة وهم يبثون سمومهم ، ويروجون أفكارهم، ويرفعون شعارات شتى لكن الغاية واحدة، فالمرأة مظلومة، والمجتمع يتنفس برئة واحدة، ونصف المجتمع معطل، والحجاب يحجب إبداع المرأة، والمرأة مستعبدة من الرجل والدين ولا بد أن تتحرر، والمرأة كالرجل سواء بسواء لا بد أن تأخذ حقوقها، وعمل المرأة حق مشاع لابد منه .

واستعرت تلك الدعوات المضللة، وألفت الكتب، وعقدت الندوات ونظمت المؤتمرات من أجلها، ومن أظهرها مؤتمرات السكان، وأديرت اللقاءات وأجريت التحقيقات على مدى خمسين عاماً، فانتشر البلاء ووصل إلى بلاد المسلمين، واستهدفت مصر لما لها من التأثير في العالمين العربي والإسلامي وتمت مسرحية نزع الحجاب في موقع سمي بميدان التحرير تخليداً لتلك الذكرى السيئة، وخرجت المرأة وعملت جنباً إلى جنب مع الرجل، ومثلت وغنت ورقصت وأهملت بيتها، فقل الزواج وكثرت العنوسة، وانتشرت الرذيلة وحوربت الفضيلة، وصدّقت النساء تلك الدعوات، وانطلت عليهن الحيلة بأن البيت يقتل طموح الفتاة ، فتركت المرأة بيتها لتكون سلعة معروضة لكل راغب ،

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (١٩/ ٨/ ١٤٢٣هـ).

وغرضاً مشاعاً لكل رام، كل هذا **يا عباد الله** حيلة من الرجال ليقضوا وطرهم من النساء، كل هذا ليخدم أولئك الناعقون أهدافهم، خاطبوا في المرأة جمالها وفتنتها وإغرائها واستغلوا نقص عقلها ودينها فأقنعوها بل خدعوها، فخرجت وراء سراب خادع، ووهم كبير اسمه تحرير المرأة، ونفذت ذلك بخطوة تراها يسيرة وهي الخروج من البيت، وما علمت المسكينة أنهم لا يريدون منها سوى قضاء الوطر ، وترويج السلع، وإنفاق البضائع حتى ولو كانت أحقر ما يكون، استغلوا كل قطعة من جسدها، وكل لون من إغرائها، وكل ثانية من شبابها حتى إذا مضى جيلها، وذبل شبابها، وتلاشى إغراؤها، رموها كالجيفة وتركوها تهيم على وجهها، وشوارع أوربا وأمريكا شاهد صدق على ذلك.

يا عباد الله إن الذين ينادون بنصرة المرأة، ويطلبون تحريرها، ويدعونها لمخالطة الرجال، وترك البيت، إنهم لا يريدون لها خيراً، ولا يبغون لها طهراً، بل يريدونها سلعة غواية ، ومصيدة ذباب ، يقتنصون بها عباد الشهوات وأسرى اللذات، إنهم يريدونها (سلعة ومتعة) كما يريدونها لصاقة ذباب، يضعون صورها في إعلانات السينما،وأغلفة الكتب والمجلات،ويوظفونها في المكاتب والمؤسسات وفي الفنادق ومكاتب السفريات، بل حتى إعلانات السجائر والأحذية والملابس والمشروبات يزينونها بصور الحسان الفاتنات لجذب الزبائن، كما تجذب اللصاقة بعض الذباب .

هكذا استعبدت المرأة، واسترقت في عصر الحضارة لكن تحت ستار المدنية والتقدم .

إنهم لا يسمون ذلك رقاً ولا عبودية، لكنهم يسمونه حضارة وحرية،

والحقيقة أن النتيجة واحدة، فالمرأة في نهاية الأمر متعة خادمة للرجل، وإن موهوا ذلك بالعبارات الرنانة، والأوصاف الحسنة، فالمرأة وسيلة لغايات الرجل عندهم، وكل غايتهم متعة ومنفعة، فالمتعة تتم بجسد المرأة، والمنفعة تتم بترويج السلعة.

كانت إحدى الراقصات أمام جمهور رجال في فرنسا، قد بلغت شهرةً عظيمة لكنها أحست أنها تعامل على أنها آلة تسخر في سبيل أحقر الغايات، وأخس المطالب وأحطها، فوقعت على خشبة المسرح وانفجرت باكية مخاطبة الجمهور، أنتم أيها الرجال لا تريدون من المرأة إلا جسدها، إلا جمالها، إلا زينتها، إلا إغراءها، أنتم لا تراعون فينا إنسانية، ولا ترعون لنا كرامة.

هذه هي العبودية الجديدة مغلفة بغلاف الحضارة، ظاهرها الحرية وباطنها الذل والعار، والخيبة والدمار، لذا كانت أكثر حالات الانتحار بين الممثلات والراقصات وعارضات الأزياء.

أخي الكريم، إن دعاة تحرير المرأة المخادعين إلى يومنا هذا لا يريدون تحريرها كما يزعمون ، بل يريدون حرية الوصول إليها ، لتتم لهم المتعة والمنفعة، وقد يقول القائل قد أثمرت دعواتهم، فرأينا المبدعات والكاتبات، نقول لهذا المخدوع وأين رأيتهنّ إلا على الشاشات الفضية وخشبات المسرح، وأغلفة المجلات ، وتلك هي اللصاقة التي بها يصاد الذباب.

أما الفكر، والاختراع، والإدارة، والتربية فأين المرأة حتى في بلاد الحرية المزعومة؟ إنك لا تكاد تجدها عندها إلا نادراً والنادر لا حكم له ، في أمريكا وأوربا أين النساء عن الحكم والسياسة والوزارات والإدارات؟ ، إننا لا نجد

منهنّ إلا نوادر خلال عشرات السنين .

فأين الإبداع الذي يتكلمون عنه وأين الإنتاج النسوي الذي به يجادلون ؟ إن المرأة لم تستخدم عندهم إلا في الغناء والرقص والتمثيل، والسكرتارية، وجذب الزبائن في المعارض، وهذا أكل بالثديين لا باليدين وعمل بالجسد لا بالجهد .

يا قومنا، إنها خدعة وضلالة، مازال بعض الموتورين يروجون لها، ويزينون بريقها، ولو سبرت أغوارهم لوجدتهم لا يمثلون ثقافة بلادنا، ولا يقدرون قيمنا ومبادئنا، فهم أبواق لغيرهم، وجسور يعبر منها الفكر المنحرف، وقنوات لبث السم القاتل .

إنك اليوم **أخي الفاضل**، لا تكاد تطالع جريدة أو مجلة إلا وتجد مقالاً أو تعليقاً أو دعوة إلى أمر يخص المرأة، ولعلكم رأيتم وترون ما يكتب من الدعوة إلى الاختلاط في التعليم والعمل بحجة أننا على دين واحد ، ومن بلد واحد ، وعلى كوكب واحد ، فلم لا نتعلم سويا ونعمل سويا، ولعلكم تقرؤون الاهتمام المبالغ فيه من قبل بعض هؤلاء الكتاب لقضية صورة المرأة وبطاقتها، رغم أن التقدم العلمي يثبت أن الصورة اليوم ليست هي طريق الإثبات المقنع، ولعلكم ترون الحملة التي تستعر وتخبوا وتدعوا إلى قيادة المرأة للسيارة .

ناهيك عن الهجمة الشرسة على الحجاب واللباس، فضلاً عن الدعوة الملحة لدخول المرأة في الإذاعة والتلفاز والتمثيل والغناء .

سبحان الله من كان يتوقع أن فتاة الجزيرة التي ما عرفت إلا الإسلام والحشمة، يمكن أن تطيع هذه الشرذمة وتخرج من بيتها وعرينها، وتشارك في كل

هذه المجالات الخادشة لحيائها وطهرها .

ثم إن كثيراً من هذه التحقيقات الصحفية التي لا تخلوا منها الصحف غير نزيهة، بل تستهدف بها فئة معينة لإظهار رأي مبيت من قبل، كل هذا لإقناع الناس بتوجه المجتمع نحو ما يريدون ، وهذا تزوير للحقائق قد يسفر عن نتائج وخيمة، وقد يقود إلى هاوية سحيقة .

عباد الله، كل هذه الدعوات المحمومة تعاد وتكرر دون سأم، وإذا طرح رأي آخر، أو رد شرعي لا يفسح له المجال غالباً بل سبيله إلى سلة المهملات .

إن هذه الحملة لا يراد معها لأي رأي آخر أن يظهر، فلا تصدقوا ما ينشرون وخصوصاً عن المرأة، وليكن مرجعنا وتحاكمنا دائماً إلى ديننا لا إلى ما يطرحون وما يروجون .

ومما ركز عليه دعاة التحرير، قضية عمل المرأة، وهي قضية تبدوا في أول الأمر لا مأخذ عليها، فالمرأة تعمل مع بنات جنسها وقد حصل هذا واقتنع به الناس، وجلبوا له من الأدلة من السيرة والتاريخ ما يقنع وهذا حق لا مراء فيه، لكن لا أدري أين هذه الأدلة إذا صادمت دعواتهم أو وقفت ضد مخططاتهم، ما بالهم ينسونها، ما بالهم يتجاهلونها؟ إن القضية ليست هي عمل المرأة بل هي خروج المرأة من بيتها، وهذا في حد ذاته إنجاز عظيم تحقق لهم ، لأنهم أخرجوها من خدرها، ولما خرجت أصابها الخدش، وبدأت الفتنة، لأن المرأة في ديننا العظيم كالقارورة الشفافة النظيفة، قال ﷺ: «رفقاً بالقوارير»، وقال سبحانه عن نساء الجنة: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن:٥٨]، ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩﴾ [الصافات:٤٩]، والزجاجة تحتاج إلى صون ورعاية، حتى لاتكسر وتلطخ بما يدنسها ويذهب رونقها، فيصعب بعد ذلك إصلاح خللها.

أخشى على الأخلاق كسـراً فادحـاً إن الزجاجـة كسـرهـا لا يجبـر

والبيض يحتاج إلى تعامل خاص حتى لا يخدش أو يفسد، واللؤلؤ والمرجان والياقوت في صفائه وألوانه ونفاسته يحتاج إلى حفظ وحماية، فهل من المعقول أن تطرح نفائس الجواهر هذه في الطرقات تداس بالأقدام، وهذا هو الذي يظهر من دعاة تحرير المرأة فالجواهر عندهم أعظم شأناً، وأجل قدراً من المرأة التي ينادون بنصرتها، ويعملون على إخراجها لتكون سلعة ومتعة .

عباد الله، إن مرادهم هو إخراجها فحسب، سواء للعمل أم الدراسة أم غير ذلك، وقد نجحوا في بعض بلاد المسلمين، فخرجت المرأة وشاركت الرجل، وغنت ورقصت، وعمت الفتنة وطمت، فهل تقدم المجتمع، وهل ساد الأمن وتحقق الرخاء،كلا بل زاد الفقر وتشتتت الأسر، وكثر الانحراف.

عباد الله، إن مقتضى هذا الدين المنزل من رب العالمين، الخالق لهذا الإنسان سبحانه العالم بما يصلحه، مقتضى هذا الدين أن موطن التأثير القوي للمرأة هو بيتها، وإنه ليس بقليل أن تهيأ الأم أطفالها للحياة والإنتاج، وكيف سيتم ذلك إذا خرجت المرأة وخلا البيت من أهم قادته وهي الأم والأخت والزوجة ؟ قال ﷺ : «**والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**»، ذلك هو موطنها ومكان مسؤوليتها فهل نعقل هذا، ونعمل به؟، إن دعاة تحرير المرأة لا يذكرون في أطروحاتهم وصف الأمومة والزوجية وهي المهمة السامية للمرأة، بل يريدون لها أن تكون نجمة أو بطلة ليتسنى لهم التمتع والانتفاع بها، وإننا **يا عباد الله**، لنعجب اليوم من تلك الاستجابة الغريبة لإخراج المرأة بحجة العمل والدراسة، فالفتاة عند كثير من الآباء لا بد أن تتعلم مهما كلف الأمر حتى لو بعثها إلى مدن بعيدة وحيدة، أو ربما أخرجها إلى خارج البلاد وهذا موجود وحاصل، ولا

اعتراض على تعليمها لأن ذلك من حقها لكن أين ضوابط الدين والأخلاق؟، وفي المقابل لا نجد هذا الحرص ولا هذا الحماس مع الأبناء الذكور، فلماذا إذاً هذا الاهتمام الزائد بالفتاة وإهمال الفتى ألأجل المستقبل والزواج أم لأجل الأموال والوظيفة ؟ أما الأول فاعلم **بارك الله فيك** أن أكثر العوانس في بلادنا اللاتي يزدن على مليون ونصف المليون، أن أكثرهن من الموظفات، وقد نشرت إحدى الجهات المهتمة بأمر الزواج أن هناك أكثر من عشرين ألف معلمة على قائمة الانتظار للزواج في مدينة واحدة .

أما الوظيفة والعمل فإنني والله أعجب من أولياء أمور الفتيات، أعجب من هذه الاستماتة العجيبة في إيجاد وظيفة لابنته، فقد يصاب الولي في سبيل ذلك بالمرض والوصب، وقد يناله حظ وافر من الجهد والتعب، كل هذا لتنال البنت وظيفة استجابة لمقولتهم: «ليس من المعقول أن تعلق الشهادة على جداران المطبخ»، ثم لا نجد مع الابن نصف هذا الاهتمام، ثم ألا يهم هذا الولي إلا الوظيفة؟، حتى لو اختلطت فيها بنته بالرجال، كما هو حال الممرضات والطبيبات، وحتى لو أرسلها إلى هجرة بعيدة، أو قرية مقطوعة، يعرض بذلك عرضها للخدش والمقالة بسكناها وحدها أو مع نساء ضعيفات مثلها، يعرض حياتها للخطر بسبب بعد الطريق، تنطلق بعضهن قبل الفجر ولا تعود إلا بعد العصر، ما هذا الكفاح المستميت، وهذا الإصرار العجيب؟ وبعض الأبناء يتركون في البيت دون تعليم أو عمل والأب لا يحرك ساكناً .

يا قومنا، والله ما هكذا تقاس الأمور، أمن أجل حفنة مال، تعرض الأعراض للخدش والمهانة، ونحن مأمورون في شأنها بالحفظ والحماية؟ إن المغريات اليوم كثيرة وإن الفتن عظيمة، وكم قرأنا وسمعنا من حوادث يندى لها

الجبين على الطرقات وفي تلك الخلوات، أين عقولنا، أين غيرتنا، أين ديننا قبل ذلك ؟.

أيها المؤمن الفاضل، نحن لا نعترض على عمل المرأة في تعليم أو تطبيب أو تمريض مع بنات جنسها، لكن الواقع غير هذا، وما هذا إلا طعم لخروج المرأة، فلما خرجت بدأ الإلحاح على دخولها مجالات أوسع، وبيئات أخرى لا تناسبها .

نحن ننكر هذه المرحلة من تلك الخطة الطويلة القديمة لإخراج المرأة، ثم استثمارها في هدم المجتمع لا بنائه كما يقولون .

نحن ننكر هذه الاستماتة من أولياء الأمور في السعي لتوظيف البنات، حتى ولو أدى ذلك إلى تنازلات كبيرة على حساب الدين والأخلاق.

وفي المقابل بطالة مستفحلة في شبابنا، لم تعالج كما ينبغي، ولم ينبر لها الكتاب ليناقشوا أمرها، مع أنها هي القضية الجديرة بالنقاش والحوار.

أخي الكريم، أرجو أن تكون على قدر كبير من الوعي بمراحل هذه المخططات وليكن حكمك ومرجعك هو دينك لا المصلحة ولا ضغط المجتمع.

اللهم خذ بأيدنا إلى الخيرات، وجنبنا برحمتك المنكرات، يا أرحم الراحمين.

عباد الله، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فها هنا سؤال لابد من طرحه: هل لابد للمرأة أن تعمل؟ ومن الذي يجب عليه الكد والعناء والتعب والشقاء؟، إنه الرجل لأن الله سبحانه قال عن أبوينا: آدم وحواء: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه ١١٧] ، كانا يعيشان في نعيم في الجنة، فحذرهما ربهما من إخراج الشيطان لهما من دار النعيم إلى دار العمل والتعب (الدنيا) ، فقال سبحانه:﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

تأمل **أيها المؤمن بربه** هذه الآية بعين بصيرتك، تجد التحديد الدقيق لمهمة كل من الرجل والمرأة في هذه الدنيا، يقول ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين، انظر كيف شرك بينهم في الخروج «يخرجنكما» وخص الذَّكر بالشقاء «فتشقى» وما قال: « فتشقيا »، لاشتغاله «وحده » بالكسب والمعاش والمرأة في خدرها.

وهذا مدلول جلي من مدلولات الآية ، لأن الله تعالى قال بعد ذلك : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه -١١٨- ١١٩] كل ذلك في الجنة أما في الدنيا فلك يا آدم الجوع والتعب والنصب والظمأ، إذاً من الذي يتعب ويعمل ويشقى وينصب؟ إنه الرجل لا المرأة لأن الله تعالى قال: ﴿ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ فخص آدم وحده بذلك، أما المرأة فقال عنها سبحانه : ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف:١٨٩]، ومقتضى السكنى أن تبقى في البيت تهيئ شؤونه وترتب أموره، انصياعا لأمر الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب:٣٣] .

يا أيها المؤمن، هذه إشارات عابرة في موضوع خطير، لاكته الألسنة، وتكلم فيه الأدعياء، وتحدث فيه الرويبضة، والحكم أولاً وآخراً لشرع الله لا لأهواء الناس، أما ما أضرار ذلك الخروج، وما نتائج تلك الدعوة فذلك موضوع سيأتي مجاله إن شاء الله .

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقرن في بيوتكنّ « ٢ »[١]

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فقد سبق الحديث عن عمل المرأة وخروجها من بيتها، وكيف استغل أهل الشهوات ذلك لحسابهم غير مراعين لضوابط الشرع وقواعد الأخلاق .

واليوم نتذاكر سوياً بعضاً من أهم آثار خروج المرأة على المجتمع، وننظر بتمعن وتعقل، إلى قدر الفائدة التي عادت على الأمة، أو قدر الفاجعة التي منيت بها بسبب ذلك الخروج .

معاشر المؤمنين، إن الخالق الحكيم، الرحيم العليم سبحانه قد وضع للمرأة قانوناً عاماً، يعد هو الأصل، وما سواه فخروج عن الأصل له أحوال تقتضيه، وأسباب تستدعيه، أما الأصل فهو الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾، موجّهاً أمهات المؤمنين ، أطهر النساء، وأبعدهنّ عن الفتنة فكيف بغيرهنّ ؟ .

تأمل **يا مؤمن**، فالله قد قال: ﴿ قَرْنَ ﴾، ولم يقل: «امكثن» ولا«ابقين» ، لأن ﴿ قَرْنَ ﴾ هذه تدل على جملة أشياء، لابد لطالبة الحياء والحشمة منها، فهي إما من القرار وهو المكوث والاستقرار، وإما من الوِقر وهو الثقل، وإما من الوقار، وإما من قرة العين، فيكون المراد: اقررن عيونا في بيوتكن، أي في بيوتكنّ قرة عين لكنّ فلا تتطلعن إلى ما جاوز ذلك، ولو تأملت كل هذا **أخي الكريم** لأدركت السر في

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٢٦/ ٨/ ١٤٢٣هـ).

إيثار هذا الفعل ﴿ قَرْنَ ﴾ وفي قراءة « قِرْن » ، على ما سواه، لأن كل هذه المعاني: القرار، الاستقرار، المكوث، الوقار، قرة العين، الثقل، كلها مقصودة في حفظ المرأة ذات المنزلة الرفيعة في هذا الدين، ولن تحصل لها تلك الحماية إلا في بيتها .

ثم قال سبحانه ﴿ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾، فنسب البيوت إليهنّ لا إلى الرجال، ولم يجعلها مطلقة فيقال «في البيوت»، كل ذلك لندرك أن البيت بدون المرأة لا يستحق هذا الاسم، لأن البيت هو مستقر المرأة، ومثابة نفسها، ومبرز قدراتها، وحافظ حشمتها، هو مصنعها، تجد فيه حقيقة ذاتها، وتحقق فيه كيانها كما أرادها الله، غير مشوهة، غير ملوثة، غير مكدودة في غير وظيفتها، التي هيأها الله لها بالفطرة.

وحتى يتم ذلك وتقوم المرأة بواجبها، وتؤدي مسؤوليتها، جعل سبحانه القوامة للرجل وجعل السعي والشقاء عليه، وألزمه بالنفقة فقال سبحانه: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء ٣٤] .

أخي المؤمن لا مجال هنا للمساومة ولا المراوغة، فالأمر واضح فالمرأة لها البيت، وللرجل الكد والعمل والضرب في الأرض، وإذا اختل هذا الناموس وقعت الحيرة ، واضطربت الحياة .

أخي الفاضل، إن من أعظم آثار خروج المرأة من بيتها وتركها لمسؤوليتها اختلال نظام الأسرة وزعزعة كيان البيت بأكمله، وإن الأم المكدودة بالعمل، المرهقة بالأشغال المقيدة بمواعيدها، المستغرقة لطاقتها خارج منزلها، لا يمكن أن تهب للبيت جوه وعطره، ولا يمكن أن تمنح للطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها،

ولا يمكن أن ترعى للزوج مكانته، ولا أن تهيئ له ما يريد من السكينة والراحة والطمأنينة والهدوء .

إن بيوت الموظفات والعاملات لا تزيد عن جو الفنادق والمطاعم، لا يشيع فيها الأرج الذي يشيع في بيت الأم القائمة بواجبها .

إن البيت ليس جداراناً وأبواباً، ليس أثاثاً فخماً منظماً، كل ذلك لا قيمة له إذا فقد روحه وعطره وأرجه، البيت دون امرأة هو اسم دون حقيقة، وأرجُ البيت وأنسه لا يفوح إلا أن تطلقه زوجة، وحنان البيت لا يشيع إلا أن تتولاه أم.

والمرأة أو الأم أو الزوجة التي تقضي وقتها وطاقتها الروحية في العمل والوظيفة، لن تنشر في البيت غالباً إلا الإرهاق والهموم والكلام والملال، وأزواج الموظفات يعرفون ذلك ويشعرون به، إذ لا يكادون يحسون بالزوجة إلا في أوقات الإجازات، وقد يكون بعضهم مع طول الزمن قد تعود تلك الحياة فأصبح لا يفرق ولا يشعر بشيء مما نذكر .

خروج المرأة يا مؤمن قد يعصف بالبيت، ويهد أركانه، ويقوض جدرانه، لأن السكينة التي يبحث عنها الرجل معدومة أو قليلة لا تكفي، إن المرأة سكن للزوج، هي بيت له وإن لم يكن له بيت، هي مثابة له وإن لم يكن له مأوى، ما أكثر الأزواج الذين ساءت بينهم العشرة، وربما انفرط عقدها بسبب ضغط العمل والإرهاق، ولو أن المرأة بقيت في بيتها تهيئ الجو لشريك حياتها وتخفف عنه هموم الحياة، وتمتص غضبه لتغير الأمر، لكن إذا كان الزوج مرهقاً، والزوجة مرهقة، والجو كله عمل وكد وتعب وإعياء، فكيف للتوافق أن يتم، وللوئام أن يكتمل؟ لذا كانت الطلاقات في الخليج تتم بعد الساعة الثانية ظهراً، حسب ما ذكرت

ذلك بعض الدراسات، وهي ساعة الالتقاء بين الزوجين بعد إرهاق العمل .

إخوتي الفضلاء، المشاعر والأحاسيس والقدرات رصيد يتبدد بالجهد والعمل، فالمرأة العاملة تنفق من ذلك الرصيد قدراً كبيراً خارج البيت، فإذا عادت كانت خاوية من روح الزوجية، وظهرت في مقام الندية، عندها يكثر الشقاق، وربما يكون الطلاق، قبل فترة وجيزة كانت الإحصائية تقول إن حالات الطلاق تزيد على ستة عشر ألف حالة في عام واحد فحسب، لتكون هذه البلاد هي الأولى في نسبة الطلاق بين دول الخليج .

وللعاملات نصيب وافر من ذلك، والمرأة العاملة غالباً ما تشعر بندية معينة نحو زوجها فهي مثله سواء بسواء، وأحياناً قد تستعلي عليه، وهذه هي قاصمة ظهر الزوجية ، لأن الطاعة هي أبرز مظاهر الزوجة العارفة بحقوقها وحقوق زوجها ، قال ﷺ: « **لو كنت آمراً أحداً بالسجود، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»، زواج بلا طاعة، أغلال وشناعة، شهدت به مجتمعات مقفرة من الأخلاق والدين، حتى ظهر فيها مؤخراً ـ كما في أمريكا ـ جمعيات نسائية تتبنى الطاعة العمياء للزوج، وقد نجحن في زواجاتهن مما أغرى الكثيرات بالانضمام إليهنّ، فهل نعتبر؟.

أخي المؤمن، إذا خرجت المرأة من بيتها خلفت وراءها مسؤوليتها الكبرى في التربية، فمن سيرعى صغارها ويتفقد شؤونها؟، وكان الحلّ هو الخادمة، وفعلاً توافد الخدم حتى قارب عدد الخادمات في بلادنا نصف مليون، يربين مالا يقل عن مليونين من فلذات أكبادنا بمتوسط أربعة أولاد في كل بيت .

عباد الله، أيهون علينا أن نعرض أكثر من مليونين من فلذات الأكباد

للأمراض النفسية، والانحرافات الأخلاقية بل العقدية .

لا تحاول **أخي الفاضل** تهوين الأمر فالدراسات تَذْكُر وتُذَكِّر كل يوم بخطورة الخدم في البيوت، تذكر إحدى الدراسات الحديثة المجراة على مائتي فتاة في سن أحد عشر عاماً ممن تعمل أمهاتهنّ، أن ٧٪ من مشكلات الطفل والمراهق النفسية ناتجة عن هروب الأم عن مسؤوليتها وترك الأمر للخادمة، كما أظهرت الدراسة أن خريج مدرسة الخادمة ، انطوائي عدواني متأخر دراسياً (عكاظ عدد ٧١٠٣١).

كما أثبتت دراسة أخرى أن جيل الخادمات جيل يائس، حزين، مكتئب، يفقد القدرة على التواصل من الآخرين، منعزل، لا يعرف غير مصالحه، لذا يكثر فيه الانحراف والعدوان .

معاشر الفضلاء ، لماذا إذاً نحتمل كل هذا الآثار، ونصر على بقاء الأمر على ما هو عليه؟، بل لماذا يسعى بعضنا لتوظيف ابنته أو زوجته دون حاجة ملحة تدعوا إلى ذلك؟، تقول إحدى العاملات وقد أدركت خطورة ما هي فيه على أبنائها معللة فعلها: «ألجأتنا إلى ذلك متاعب الحياة وظروف الوظيفة»، وهذا وإن صدق على عدد فإن الأكثر يمكن أن يستغني عن الوظيفة، لأن البيت أهم ومسؤوليته أجل وأعظم، إن الدراسات تثبت أيضاً أن هناك فروقاً هائلة في الشخصية بين من تربوا على أيدي الخادمات وبين من رضعوا من لبان الأمهات، ولا غرابة فالأم تراعي مصلحة أولادها، ترشدهم، تنصحهم، تحن عليهم، توجههم نحو الخير والفضيلة، فتنمو معهم الفضائل ويبرز فيهم جميل الشمائل .

هي الأخـلاق تنبـت كالنبـات   إذا سقيـت بمـاء المكرمـات

نحن والله بحاجة إلى إبراز أثر الأم، لا دعوتها إلى العمل، لأن في بقائها بقاءً للأجيال، وصنعاً للرجال، وإعداداً للأبطال، لأنهم سيكونون محصنين ضد أوبئة العصر النفسية، وأمراضه الأخلاقية .

طوبى لهن مصليات خاشعات　　متبتلات عابدات قانتات

ينشئن أجيالا على نهج الهدى　　يغرسن في الأبناء محمود الصفات

المرأة الإيمان خير معلم　　ومؤدب وموجه للمكرمات

معاشر الأولياء ، أبناؤنا أهم من المال والوظيفة، فاتقوا الله، لا تتركوهم نهباً للخادمات، يحرفن سلوكهم، ويبدلن عقائدهم، شاب يروي قصته يوم كان بين يدي الخادمة، يرويها لأحد المشائخ وهو يبكي، يرويها وهو يقف مرة ، ويتأوه مرة، ويتنهد مرة، أحياناً تخنقه العبرة، وأحياناً تذهب عنه الغشاوة، يذكر أنه تربى في أحضان الخادمة وبعدما بلغ ثماني سنوات خلت به الخادمة يوماً، فأخذت تقبله وتضمه بصورة غريبة غير مألوفة، دعته إلى دورة المياه، يقول: فتبعتها ولم أنكر شيئاً لأنها كانت هي التي تغسلني، ثم نزعت ثيابي حتى جردتني تماماً، ثم بدأت تحسس كل جسمي ثم بدأت بنزع ثيابها حتى تجردت منها، ثم دعتني ، وهنا خنقه البكاء فلم يستطع مواصلة الكلام، ثم تحامل وقال: لقد زنيت يا شيخ وأنا ابن ثماني سنين، والفضل لوالدي اللذين تركاني للخادمة، وأنا أترك لذوي العقول تحليل أبعاد هذه القصة الواقعية .

عباد الله، بعض الخادمات رسخت في الأبناء بعض عقائد النصارى أو البوذية، والأبوان سادران غافلان، أو مشغولان موظفان، إنها صورة جديدة لليتم .

إن اليتيم هو الـــذي تلقـــى لـــه أمّـــاً تخلّـــت أو أبـــاً مشغـــولا

يا مؤمن، تأثير الخدم على العقائد والأخلاق أمر مقرر حتى عند دعاة الحرية المزيفة، نشرت مجلة تلفازية واسعة الانتشار في أمريكا، تقريراً مخيفاً حول إساءة المربيات للأطفال، مما حدا بعدد كبير منهم إلى منع الخادمات من مشاهدة التلفاز، إذا انفردت بالأبناء في المنزل، وأصبح غير خاف هناك إخفاء آلات التصوير لمراقبة سلوك الخادمة مع الأبناء.

ونحن أهل الدين والأخلاق لماذا لا نراقب، لماذا لا نحس بالخطر، لماذا لا نعمل شيئاً لمعالجة الأمر ؟، **عباد الله** ، إنها نذر وعظات ، لو عقلها الناس .

ايها الفضلاء، ما خرجت امرأة لوظيفة إلا وخلفتها أخرى، تخرج الأم الرحيمة الشفيقة، وتدخل الخادمة الغريبة، فأين العقول؟ .

وإن الواقع ليشهد أن الأم العاملة أقل حدباً على أطفالها، فقد تسمعهم يصيحون وقد تراهم يسقطون لكنها لا تعير ذلك اهتماماً، لأنها لم ترضعهم لبانها، ولم تضمهم إلى صدرها، ولم تختلط مشاعرها بمشاعرهم، هذا أمر موجود يعرفه الناس فأين الأمومة إذاً، أين الحنان والرحمة؟ التي بلغت بها الأم ما بلغت في هذا الدين، حتى رفعت درجتها على الأب ثلاث مرات، أين ذلك كله ؟، لقد تلاشى أو كاد مع كد الوظيفة، وإنفاق المشاعر خارج البيت .

يا مؤمن ، خروج المرأة من بيتها يعرضها للفتنة، ويغريها بالسفور، ويسهل عليها الاختلاط بالرجال، وكلها مخاطر بعضها أعظم من بعض، لو كان الناس يعلمون.

كانت المرأة تخرج للعبادة، للصلاة، ومع هذا يوجهها رسول الله ﷺ أن صلاتها في بيتها خير لها، ولما رأت عائشة رضي الله عنها ما أحدثه النساء، قالت: «لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهنّ من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل» [رواه الشيخان].

فيا ترى ما الذي أحدثه النساء، ما الذي أنكرته عائشة، حتى حملها على قول ما قالت؟ إنه يتلاشى أمام إغراءات اليوم، وفتن هذا الزمان، إن خروج بعض النساء بحجة الصلاة وخصوصاً في رمضان، أصبح غير مقبول لما يرتدين من ملابس الفتنة لا الحشمة، تأتي للمسجد لدور العبادة بالبنطال والعباءة المخصرة، والروائح الفواحة، أي عبادة تريد هذه وقد تكون بصحبة السائق وحدها، من قال لها تأتي على هذه الحالة؟ إن مثل هذه يجب أن تبقى في بيتها، حتى لا ينتشر شرها.

يا عباد الله، إذا كان هذا هو شأن العبادة فما بالك بالأسواق، والمتنزهات التي خرجت المرأة إليها في غاية الإغراء والفتنة، وهي لا تكون كذلك إذا قرت في بيتها، لذا نهى سبحانه بعد الأمر بالقرار في البيت ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، نهى عن التبرج فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾، وكأن هناك تلازماً بين الخروج والتبرج، أو أن الخروج هو أحد أهم أسباب التبرج، وإلا لما نهى الله أطهر نساء العالمين، أمهات المؤمنين عن ذلك، أو تدرون أيها الأزواج أيها الآباء ما تبرج الجاهلية الأولى، يقول مجاهد: هو خروج المرأة تمشي بين الرجال، ويقول قتادة: هو مشيهنّ بتكسر وتغنج، ويقول مقاتل: هو إلقاء الخمار عن رأسها فتظهر قلائدها وأقراطها وعنقها وصدرها.

هذه صور التبرج الجاهلي، وهو غاية النهي، فماذا نقول الآن عن التبرج الذي يعرض على الناس، عري كامل لا يكاد الجسد يوارى إلا بقطع قماش هنا وهناك، أصبحت المرأة تمشي في ملابس يستحي الرجل من لبسها، ونساؤنا يرتدين من ضيق الملابس ومشقوقها وشفافها ما يفوق ما ذكرنا من تبرج الجاهلية الأولى .

واختلاطها اليوم بالرجال ليس كعهود سبقت، إنها تخلو بهم في السيارات والفلوات، والغرف والحانات، والمسارح والمنتزهات، وهناك إصرار غريب من بعض الكتبة على دعم هذا الاختلاط، ليتسنى لهم ما يريدون من المتعة بجسد المرأة، وذلك ذوق بدائي غليظ، ذوق ينحط بالإنسان إلى حضيض مهين .

إنهم يطلبونها اليوم موظفة وصرافة في البنوك، وبائعة في المحلات، وسيمضون في مطالباتهم بفتح أقسام نسائية في كل مصلحة، تخص المرأة أولا تخصها، لأن المرأة على زعمهم أصبحت اليوم سيدة أعمال ومفكرة، ومهندسة، وقائدة طائرات، ومقاتلة، وكل هذا لو أمعنوا النظر فيه خارج عن طبيعتها، لكنها حشرت فيه حشرا ليبرروا ما يريدون، تقول إحدى المتحررات على حد تعبيرهم بعد زمن طويل من التجربة وهي من بلاد المسلمين: «كبرنا وكبرت آمالنا وتطلعاتنا، نلنا كل شيء، نهلنا من العلم والمعرفة ما يفوق الوصف، أصبحنا كالرجال تماماً ، نقود السيارة ، نسافر إلى الخارج ، نلبس البنطال ، الرجل كما هو والمرأة غدت رجلاً تشرف على منزلها وتربي أطفالها، وتأمر خدمها، وتقف مع المقاولين والعمال، وتقابل الرجال في العمل، أقول بصراحتي المعهودة ـ ومازال الكلام لها ـ ما أجمل الأنوثة، وما أجمل المرأة التي تحتمي بالرجل

ويشعرها الرجل بقوته » .

وهذه القوة التي تطلبها هذه المتحررة تركها بعض الرجال، وهي جزء من مفهوم القوامة العظيم الوارد في قوله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٣٤] لما خرجت المرأة ابتذلها الرجال، و لما اختلطت بهم استغلها الرجال، فجعلوها ألعوبة، فهل يريد بعضنا تكرار هذه التجربة الخاسرة في بلادنا، امرأة غربية تقود سيارة أجرة، هذا عملها، ركب معها رجل مسلم فسألها، أما لك أحد ينفق عليك بدلاً من هذا العمل المضني؟ ذهلت وأوقفت السيارة، وقالت هذا أغرب سؤال سمعته في حياتي، قال لماذا ؟ قالت: لأنه لا يوجد أحد يفعل ذلك، أي النفقة، قال: بل نحن في الشرق نفعل ذلك، قالت لو وجدت ربع ذلك لما عملت هذا العمل.

لما خرجت المرأة زاحمت الرجال في أعمالهم، فقد يوجد في المكان الواحد أربع نسوة ورجل واحد، ففقد الرجال وظائفهم وانتشرت البطالة، وكثر التفكير في الانحراف وأغري الشباب بالرائحات والغاديات في الأسواق والمنتزهات ومواطن العمل، ولو أنهنّ بقين في بيوتهنّ لعمل الشباب ولخفت الفتنة ، ولرأينا الإنتاج، لكن دعاة السفور يقولون إن عملها في بيتها لا قيمة له ولا أجرة عليه فهو عمل مجاني، سبحان الله تربية الجيل والأمومة والزوجية لا قيمة لها، أما سفورها وفجورها وفتنتها فذلك هو الذي له قيمته، لقد أثبتت الدراسات أن المرأة العاملة تهدر أموالاً تصل إلى المليارات على المكياج ومحمر الشفاه، حتى قيل إن ما نسبته ٦٠٪ من دخل العاملات يصرف على الزينة والملابس والموضة : فأي نفع قدمته هذه المرأة إلا ترويج سلع الشركات اليهودية والأمريكية ، ولو أنها

ربت أولادها ، وحفظت بيتها، ورعت شؤون زوجها ، لكان خيراً لها .

اللهم احفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ورد عنا كيد أعدائنـا برحمتـك يا أرحم الراحمين .

عباد الله، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فالمرأة إذا خرجت تعرضت للعادات القبيحة، والخلال الرذيلة، لأن بيتها حصن لها، إن الدراسات لتثبت بأن التدخين بين فتيات الجامعات هو الأكثر، وأن الأمر في تزايد وهو يتناسب تناسبا طردياً مع ارتفاع مستوى التعليم، وكل ذلك لأن الفتاة وجدت لها خارج البيت متنفساً لفعل هذه القبائح، فأين الثقافة التي عنها يتحدثون ، أين العلم والتربية ؟.

بفضل هذا التنامي في المدخنات وصل عدد المدخنين من الجنسين في بلادنا هذا العام (١٤٢٣هـ) إلى ستة ملايين مدخن، يستهلكون سنوياً خمسة عشرة مليون سيجارة، وينفقون يومياً ثلاثة ملايين ونصف المليون ريال .

الفتاة إذا خرجت تعرفت على صديقات السوء، أو أصدقاء السر والأخدان فحصلت المخالفات، والفظائع والمنكرات، إنها لا تستطيع فعل ذلك في بيتها لكنها تفعل ذلك في الخلوات، وأخبار السائقين غير خافية وقصصهم أصبحت ظاهرة وخصوصاً مع الفتيات، عندما يخلون بهنّ مع فورة الجنس والتهاب الغريزة، والمواعدات أين تكون، والتقاط الأرقام أين يكون إلا عند المدارس والكليات، وفي الأسواق، أي عند ما خرجت المرأة من بيتها .

عباد الله، كم فقد من شرف، وذهب من عرض بسبب ذلك الخروج غير المشروع ولا المبرر، فكيف لو استجابت المرأة لدعوات التحرير المزعومة ؟ .

فتاة كانت متفوقة تدرس الطب، أصبحت تخرج مع صاحباتها في الكلية في

غيبة أب مسافر وأم ضعيفة مقهورة ، تقول تلك الفتاة : أصبحت أخرج معهنّ للملاهي والأسواق، ثم تطور الأمر سهرات الفيديو والفضائيات والتدخين، فتدهورت دراستي فعرضت علي إحداهنّ حبوباً تساعدني على التركيز ، تقول فلا أدري كيف قبلت عرضها، رغم معرفتي بخطورة ذلك، رغم ثقافتي رغم تخصصي (الطب)، لكنه تأثير الأصحاب، وغياب الرقابة وفعلاً أخذت الحبة الأولى، والثانية والثالثة، وهكذا أصبحت أتردى حتى كنت أخرج من البيت ولا أعود إلا الفجر، لأن الرقابة معدومة، لأن أبي كان مشغولاً وكان يثق بي وذلك الذي دمرني، تدنت درجاتي وفصلت من الجامعة، لكنني ترقيت في المخدرات حتى وصلت الأفيون، وتحولت إلى وحش كاسر، إلى مجرمة خطيرة أضرب وأكسر بعد ما كنت زهرة ندية، كنت أصرخ في وجه أمي فتخاف مني، ويوماً ساءت حالتي ونصحتني أمي وعاتبتني، فلم أتحمل كلامها ودون وعي رفعت اليد الآثمة لأصفع بها أمي على وجهها البريء، وحاولت قتل أحد إخوتي الصغار، فهربت أمي بإخوتي، وطلقها أبي وبقيت وحدي مع الخادمة والسائق، أفعل ما أشاء فساء بي الحال حتى أصبحت مروجة، ولم أنتبه إلا وأنا خلف قضبان السجن، لكنها كانت بداية التصحيح، ونقطة العودة إن شاء الله .

إنها عبرة **أيها الآباء** ، إن هذه الفتاه لولا تقدير الله ثم خروجها المستمر لما تعرضت لهذه الثلة الفاسدة التي أفسدت دينها وأخلاقها، فهل نتعظ ونعود إلى ربنا، ونحفظ أعراضنا، ونقف في وجه هذه الهجمة الشرسة التي تنادي دوماً بإخراج المرأة بحجة العمل أو الدراسة أو غير ذلك .

عباد الله، إن ديننا يعلمنا بأن الإنتاج، ودفع الفقر، ومواجهة الحياة، وتأمين

لقمة العيش لا يكون أبداً على حساب الدين والأعراض، بل العرض يصان بالمال ويذاد عنه بالدم.

أصون عرضي بمالي لا أدنسه　　　لا بارك الله بعد العرض بالمال

حلل التبرج إن أردت رخيصة　　　أما العفاف فدونه سفك الدم

اللهم رد عنا كيد الأشرار، وإفساد الفجار، اللهم أبعد عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

عباد الله، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة، محمد بن عبدالله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

رعاية حرمات الله[1]

الخطبة الأولى:

أما بعد :

فعن أبي بكر ﷺ قال خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر ، فقال: «**أتدرون أي يوم هذا ؟** قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال : **أليس يوم النحر؟** قلنا: بلى ، قال أي شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال : **أليس ذو الحجة؟** قلنا: بلى، قال: أي بلد هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: **أليس بالبلد الحرام؟** قلنا: بلى، قال: **فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟** قالوا: نعم ، قال: **اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**» [رواه البخاري] .

قال ابن عباس والذي نفسي بيده إنها وصيته ﷺ لأمته، إنها وصية جامعة أطلقها رسول الهدى ﷺ في حجة الوداع ، ليسمعها آلاف المؤمنين ، وصية جاءت بأسلوب مميز، لأن موضوعها عظيم، ومضمونها خطير، إنها وصية تتعلق بحفظ الدماء والأموال ، وقدم الدماء لأن خطرها أعظم ، ومنزلتها أكبر .

أيها الكرام : كان يمكن أن يقول النبي ﷺ لأصحابه مباشرة: دماؤكم

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بتاريخ (٢١/ ٤/ ١٤٢٤هـ).

وأموالكم عليكم حرام ، لكنه ﷺ سلك بهم مسلكاً آخر ، لأن الأمر جلل ، يحتاج إلى تهيئة للنفوس ، يحتاج إلى استعداد خاص لتلقي هذه الوصية .

لقد عمد النبي ﷺ إلى السؤال، ثم السكوت، ثم التفسير، وبمثل هذا تتضح أهمية ذلك الأمر، ويستقر في الأذهان المراد، يقول النووي رحمه الله: «هذا السؤال والسكوت والتفسير ، أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظم مرتبة هذا الشهر والبلد واليوم ».

عباد الله، تقدير الناس لمكة ولأيام الحج أمر مستقر في النفوس عند أكثر المسلمين، لكن الذي تساهل به الناس، هو إزهاق الأرواح والتعدي على الممتلكات ونشر الفساد في الأرض، لذا عرض النبي ﷺ هذه الأمور في صورة زادت من قيمتها، وأعادت لها هيبتها، فمن ذا الذي لا يعظم مكة، ولا أشهر الحج، ولا يوم النحر، إن ذلك أمر مستقر في نفوس المؤمنين، فلما عرض ﷺ ذلك بهذا الأسلوب، تحفزت النفوس لمعرفة ما سيذكره النبي ﷺ، فلما تعبأت القلوب بقدر ومكانة هذه الشعائر ، ألحق بها ﷺ حرمة الدماء والأموال وجعلها شبيهة لها، ليشعر الناس تجاهها بما يشعرون به نحو مكة وأشهر الحج ويوم النحر .

ياله من أسلوب ما أروعه، وما أشد تأثيره، وما أبعد أثره، ومع هذا فالناس عنه غافلون، وفي غيهم سادرون ، أفي مكة تستباح الدماء، ويقتل المسلمون ، إن ما حدث[1] هناك **أيها الكرام** جريمة شنعاء، تحت أي تبرير وأي مسوغ، وما دعا إلى ذلك إلا فكر منحرف، وغلو وتشدد، نهينا عنه شرعاً.

---

(١) إشارة إلى ما حصل من قتل في أحداث مكة في شهر (٤) لعام (١٤٢٤هـ).

إن في قوله ﷺ في نهاية الوصية: « **فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**» إشارة إلى أن هذا قد يحدث، وأنه ينبغي التصدي له، لأن إراقة الدم المعصوم كبيرة من الكبائر وعظيمة من العظائم، والنفس المعصومة هي كل نفس عصمت بالإسلام ، أو الجزية ، أو الأمان أو العهد، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء ٢٩].

قال الطبري رحمه الله: «يعني ولا يقتل بعضكم بعضاً، وأنتم أهل ملة واحدة ودعوة واحدة ، ودين واحد ، فجعل جل ثناؤه أهل الإسلام كلهم بعضهم من بعض، وجعل القاتل منهم قتيلاً ، بمنزلة قتله لنفسه » .

ويقول ﷺ معظماً حرمة دم المسلم: «**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق** » [صححه الألباني] . ويقول ﷺ : « **لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار** » [صحيح سنن الترمذي] .

أيها الكرام ، من منا لا يعظم الكعبة، من منا لا يعرف حرمة مكة؟، لكن منا من لا يعظم دم أخيه المسلم وهو أعظم، استمع **أيها الفاضل** لقول حبيبك ﷺ وهو يطوف بالكعبة ويقول : «**ما أطيبك وأطيب ريحك، وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ، ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً** » [صحيح الترغيب والترهيب] .

معاشر المؤمنين ، إن الأمر يتعلق بديننا، ورأس مالنا يقول ﷺ: «**لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً** » [رواه البخاري].

أيها الكرام ، تأملوا في أحوالنا أنحن ننزل حرمة الدم المعصوم منزلتها، أم أن القتل انتشر واشتهر، حتى أصبح يهدد به الصغير والكبير، والله إنه لأمر ينذر

بخطر، فإذا اجتمع إلى ذلك إفساد في الأرض، وإخلال بالأمن، واعتقاد بأحقية ذلك القتل فهذا جرم فوق جرم.

قال ﷺ فيما يرويه أبو الدرداء ﷺ: « **كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً، أو مؤمن يقتل مؤمناً متعمداً، ومن قتل مؤمناً فاعتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ولا يزال المؤمن معنقاً** [أي مسرعاً سالماً] **صالحاً ما لم يصب دماً حراماً، فإذا أصاب دماً حراماً بلح** [أي انقطع وتوقف] » [رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح السنن، والسلسلة الصحيحة]، قال خالد بن دهقان وهو من رواه الحديث، سألت يحيى بن يحيى الغساني عن قوله: «**اعتبط بقتله**» قال: «الذين يقاتلون في الفتنة، فيقتل أحدهم فيرى أنه على هدى لا يستغفر الله من ذلك».

وهذا قريب مما نحن فيه هذه الأيام، نعوذ بالله من الضلال، ولا شك أن هذا الذنب، وهو استحلال الدم يكون أعظم جرماً إذا كان في البلد الآمن مكة، التي جعلها الله بلداً حراماً آمناً، مازالت منزلتها في قلوب المؤمنين رفيعة ومكانتها سامية، لكن لما قل العلم، وضعف الدين، رأيت من لا يقدر هذا البلد حق قدره، هذا عبد الله بن عمر ﷺ «له فسطاطان، أحدهما في الحل والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، فسئل عن ذلك فقال: كنا نحدّث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل: كلا والله، وبلى والله».

سبحان الله أي تعظيم هذا لحرمات الله؟ وبعض شبابنا لا يحلو له الفسوق والعصيان إلا في مكة، ثم رأينا وسمعنا من يستحل الدم فيها، أي تغير هذا في الموازين، رحماك يا رب.

أيها الكرام، يقول عبد الرحمن بن زيد: « كان الرجل يلقى في الحرم قاتل أبيه

أو أخيه فلا يعرض له » ، كل هذا تعظيماً لحرمة البلد الأمين .

وكما علمت **أيها المبارك** ، فالنفس المعصومة تشمل المسلم بإسلامه، وغير المسلم بالذمة والعهد ودفع الجزية، يقول ابن حجر في تعريف المعاهد: «هو كل من له عهد مع المسلمين بعقد جزية ، أو هدنة من حاكم ، أو أمان من مسلم » .

كل ذلك دم حرام، لا يجوز التعدي عليه، هذا ليس ميثاقاً من مواثيق هيئة الأمم، ولا عرفاً من أعراف الدول، بل هو دين يسألنا ربنا عنه، انظر **رعاك الله** إلى التشديد في هذا الأمر، يقول ﷺ : «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً** » [رواه البخاري] .

وجاء في مصنف عبد الرزاق : «أي رجل أمّن رجلاً على دمه فقتله، فقد برئت من القاتل ذمة الله وإن كان المقتول كافراً ».

اللهم بصرنا بالحق والهدى ، وارزقنا العفاف والغنى ، يا رب العالمين .

عباد الله، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد :

فإن المتأمل لبعض كلام الناس، وتحليلاتهم لمثل هذا الحدث يجد تجاوزات ليست من حق المتكلمين بها، فيعرِّضون فيها بالدين وأهله، وهذا خلل كبير، وانتكاس في التصور خطير، فالخطأ يجب أن يعالج في إطاره، ويجب أن نكون يداً واحدة ضد الإفساد، حتى ولو كان باسم الدين، لكن من له الحق في تحديد ذلك، إنهم أهل العلم الذين يرجع إليهم الناس في مثل هذه الفتن .

إن من الخطورة بمكان اتهام الدين وأهله، لأننا كلنا متدينون مسلمون، ألسنا نؤمن بصحة ما نحن عليه، أليس نبراسنا هو القرآن وسنة سيد الأنام ﷺ ، إذاً لابد أن نحافظ على ذلك، لا أن نحاربه، أو ننتقص منه، أو نستهزئ بأهله، فعواقب ذلك وخيمة وشواهد التاريخ في ذلك ظاهرة .

ومما لا مراء فيه أن مثل هذه الانحرافات لن يعالجها إلا الرجوع إلى المعين الصافي، والري الكافي الكتاب والسنة، وتحكيم شرع الله كاملاً .

إن الدين **أيها الكرام**، هو الذي يحرم علينا قتل النفس والخروج على الحاكم ما لم يظهر كفراً بواحاً، وهو الذي يلزمنا بالطاعة، وهو الذي يأمرنا بالصدق والأمانة والرحمة وبذل المعروف، فأين نحن عن ديننا .

إن مثل هذه الحوادث يجب أن تكون دافعاً لنا لنراجع أنفسنا وعلاقاتنا مع ربنا، فوالله لن ننتصر، ولن يعمنا الخير إلا بهذا الدين فلنكن جنداً صادقين له، لأنه العامل الأوحد للم شملنا وجمع كلمتنا .

نسأل الله أن يزيل عنا أسباب الفرقة والخلاف، وأن ييسر لنا الاجتماع والائتلاف .

عباد الله ، صلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، كما أمركم بذلك الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

فهرس الموضوعات

م	اسم الخطبة	رقم الصفحة